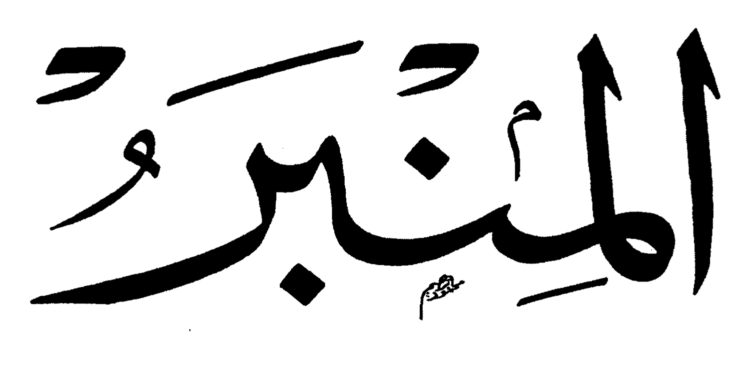


وأثره في اتجاهات الرأى العام

الشيخ
منصور الرفاعي عبيد

الدار الثقافية للنشر

عنوان الكتاب : المنبر وأثره فى اتجاهات الرأى العام
اسم المؤلف : منصور الرفاعى عبيد
17 × 24 سم . 156 ص.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : 2000/15290
اسم الناشر : الدار الثقافية للنشر

Al Menbar Wa Atharoh
Manssor Obied
17 x 24 cm. 156 p.
ISBN: 977 - 339 - 013 - 6

الطبعة الثانية
مزيدة ومنقحة
1422 هـ/ 2002 م

الدار الثقافية للنشر - القاهرة
ص.ب 134 بانوراما أكتوبر 11811 - تليفاكس 4172769 - 4035694
Email: nassar@hotmail.com



مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله . . والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه .

وبعد .

فهذه الطبعة الثانية بين يديك من كتاب (المنبر وأثره) نقدمه إليك فى ثوب جديد . . وقد رأينا أن نقدم هذه الطبعة لكثرة طلب الأصدقاء الذين أرادوا الانتفاع به فجزاهم الله عنا خير الجزاء .

وهذا الكتاب يحتاجه كل مسلم ليكون بين يديه ؛ لأن المسلم مهمته الأولى وهو يتنقل فى جنبات الحياة سعيًا وراء رزقه عليه أن يدعو إلى الله بسلوكه ، وأخلاقه ، وصدق يقينه وتمسكه بالمحافظة على تأدية أركان الإسلام أين كان وحيث وجد .

أما الداعية المتخصص فعليه أن يكون قدوة كذلك فى سلوكه وعمله ، وأن يتعرف على فقه الدعوة ، وأن يضع أمام عينيه مشكلات المجتمع ويعالجها برفق ولين ويسر وسهولة ، فلا يتشدد فى أفكاره ولا يفرط ، وإنما عليه أن يعتدل ويتوسط وأن يكون سهلا ميسرًا .

الإسلام الحنيف هو دعوة التوحيد الكبرى التى بعث الله بها الأنبياء جميعا وختمهم بسيدنا محمد ﷺ ؛ لأن دعوة التوحيد عليها يقوم نظام الإنسانية الكامل فى حياتها الروحية والمادية فى كل زمان و مكان . .

والداعية مهمته الأولى إيقاظ القلوب من غفلتها . . لذلك عليه أن يعمل على فهم الأولويات فى المشاكل البيئية ويعمل على تهذيب الغرائز ويعالج المشاكل برفق ولين ، والداعية هو الذى يمعن بدعوته ويتغلغل بها فى صميم حياة الناس وأن يسكب العلاج فى قلوبهم وأعصابهم ، وأن تكون دعوته فى مسائل الساعة التى ترتبط بحياة الناس ، ونحن فى هذا نقتدى برسول الله ﷺ الذى اهتم بالدعوة واقتحم بها كل مجلس وناد وتخير لأحاديثها ما يلقى الناس ، من كوارث مع الدقة والنظام وخفض الجناح وترك المراء والصبر ، واجعل على وجهك نورا من البشاشة يراه كل من يلقاك لأنه رمز الثقة بينك وبين الجمهور وشعاع يجدد الأمل فيمن حولك .

إن أوضح مظاهر فقه الدعوة أن يدرك الداعية أن الرسالة حق وأنه يدعو إليها وأنه يفطن لقيمة كل كلمة يلقيها، كما يفطن لكل كلمة يسمعها، ومن فقه الدعوة أن الداعية يستقبل الناس جميعا وهم لديه سواء، وفى نفسه يقين أن يجد من الجميع أعوانا له على الخير الذى يدعو إليه.

إنه من المؤكد أن العقل البشرى تُعرَض له الأوهام والضلالات والشكوك، وبسبب قصور العقل البشرى يحتاج إلى تقوية وتوضيح وبيان من المصدر المبرأ من الخطأ.. والمصدر بين يديك (أيها الداعية) لأنه زادك الأول فهو (القرآن الكريم) فإن أنت استطعت أن تعرض هذه المشاكل العقلية التى تُعرَض على العقل من خرافات وأوهام وخيالات فسوف تجد الحل المقنع من وحى الله؛ لأن الشيطان يتربص بالإنسان ليدفع به إلى نقاط الضعف عند الإنسان ثم يتركه حيران، فتأتى أنت المنقذ لتعمل على صياغة العقل من جديد.. لأن التوحيد الخالص هو الذى يقوى عقل المسلم ويجعله يتحول وبسرعة من الحيرة إلى الهدى ومن الانحراف إلى الاعتدال ومن الاضطراب إلى الاستقرار، ومن الخوف إلى الأمن. وبيدك أنت مفتاح الخير لأنك تدعو الحيران إلى أن يتأمل فى كون الله الواسع، وأن تضع له الضوابط عندما تكشف له عن علاقة الإنسان بالكون وأن تقوده برفق ليقرأ فى القرآن الكريم. وأنت بذلك تجتهد لترتيب إعادة العقل إلى وضعه الصحيح واهتدائه بالمنهج الربانى، وأنت تبث فيه من روحك ووعظك وإرشادك ما يمنحه القدرة على التخلص من الأوهام، وهذه المعالجة دائمة ومستمرة؛ لأن تخليص العقل من أوهامه وشفائه من أمراضه يعطى للحياة طعمًا ومذاقًا من السعادة.

إننا نؤكد على معالجة المشاكل فى الظروف الراهنة خاصة وأن المجتمع الإنسانى أصبح كقرية صغيرة والسماء أمام الناس أصبحت مفتوحة، ومحطات الإرسال الإذاعى والتليفزيونى تبث برامجها بلا توقف وتنوعت المحطات بين الهزل الكثير والجد القليل. وإن توقف البث فالأشرطة موجودة والإنترنت جاهز لبث المعلومة المطلوبة.. وأنت أيها الداعية فى وسط كل هذا أقوى بكثير منها.. لأن الناس تعرف صدق رسالتك ونبل غايتك، ولأن وحى الله له هيمنته على النفوس وتأثيره فى القلوب.

والداعية دائما عنده أمل يشرق فى نفسه يبعد عنه شبح اليأس. والداعية يعلم أن المنبر فى المسجد له أثره فى توصيل المعلومة؛ لأن الناس يأتون إلى المسجد طواعية وعندهم صفاء ذهنى واستعداد لتقبل ما يقال.. والداعية الناجح كما قلنا هو الذى يعايش آلام الناس وأوجاعهم ومشاكلهم، ويعمل على وضع الحلول ورسم خطة العلاج، بل ويقدم

البرشام المهدئ وكل ذلك يجده الداعية فى كتاب الله . . والداعية يقول ما قاله علماء بنى إسرائيل من قبل عندما فشى فى مجتمعهم الاضطراب والانحراف وشاعت الرذيلة فقال بعض الناس للعلماء ﴿**لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا**﴾ [الأعراف : ١٦٤] فكان رد العلماء على هؤلاء أن ﴿**قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾[الأعراف : ١٦٤] .

إن الإيمان له سيطرة على النفوس ، وعاصم عن الخطأ ومن هنا نجد أن الداعية فى وسط هذه المعمعة التى ملأت المجتمع من حولنا علاوة على الخرافات والأوهام فإن أقوى علاج لكل هذا هو الدين .

فعلِّم الناس، وشاركهم فى أفراحهم وأتراحهم، ولا تعزل نفسك عنهم، واسمع منهم كثيرا واجعل إجابتك محددة قصيرة واتخذ المنبر للتوفيق بين الناس وشرح أسلوب التعامل مع هذه المخترعات التى ملأت الساحة ، فلا تنفر منها وتجرم من يتعامل معها وتحرم عليه دخول الجنة ، ولا تفرط فى حب التعامل مع هذه الأشياء وإنما عليك أن تعتدل فى الرأى وتتوسط فى الأمر ، وأخبر الناس أن مفتاح هذه الأشياء بيدهم وأن تغيير المحطات يأتى من أنفسهم ، فمن وجد مناظر مخلّة بالآداب أو دعوة إلى شرب الخمر والاستهتار فعليه أن يتحول إلى محطة أخرى يجد فيها الفن الرفيع واللهو البرىء ومتعة النفس للتسلية وإلاّ فهناك محطات القرآن أحسنت الدول صنعًا الآن إذ جعلتها تبث برامجها طول الليل والنها ، . إننا لن ننغلق على ما يجرى على الساحة الدولية ولن نكفِّر الناس ولكن علينا أن نصحح ونحتك بالمجتمع الدولى نأخذ أحسن ما عنده ونغمض أعيننا ونصم آذاننا على أسوأ ما عنده . . إن المنبر فى المسجد أقوى صوت إعلامى لو أُحْسنَ استخدامه لتضاءلت أمامه جميع الأجهزة الأخرى . وهذا يحتاج منا أن نكون على درَجة من الكفاءة فى (فقه الدعوة)، (وترتيب الأولويات)، (وتشخيص الانحرافات والمشكلات الموجودة فى المجتمع)، (ووضع العلاج المناسب وتقديمه فى الوقت المناسب بالحكمة والموعظة الحسنة) .

هذا وإن من نافلة القول أن نقول للداعية : جدد حياتك وجدد معلوماتك ، وتحلّى بالصبر ، وعامل الناس بخلق حسن هذا وبالله التوفيق .

فإن الدعوة إلى الله هى وظيفة رسل الله جميعًا . . ومن أجلها بعثهم الله إلى الناس كلهم . . والأمة شريكة لرسولها فى وظيفة الدعوة إلى الله وكل شخص يدعو إلى الله على حسب قدرته وظروفه . . لكن هناك من حملوا راية الدعوة إلى الله وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم : ﴿ **فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** ﴾ [التوبة : ١٢٢] . . وهذه الطائفة لها مكانة عظيمة جدًا أشار إليها الحق سبحانه ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [فصلت : ٣٣] . والداعى إلى الله على بصيرة له أجر عظيم وثواب كبير ففى الحديث عن رسول الله ﷺ : «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا» . وفى حديث آخر أن النبى ﷺ قال لعلى رضى الله عنه : «فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم» . إن الداعى إلى الله لابد أن يوثق صلته بالله فيتوكل عليه فى جميع أموره ، وهذه الصلة تكون من ثمراتها الإيمان العميق بالرجاء فى الله فيحمله هذا الرجاء على طاعة الله وامتثال أوامره راجيا من الله أن يؤيده ويوفقه فى أداء مهمته ، وعلى الداعى أن يعلم أن من عرف الله خافه هو أولاً ، والخوف أن يتألم قلب الإنسان بسبب الإهمال أو القصور فى أداء الواجبات . . وإذا خاف الإنسان من الرب فإنه يؤثر ما يحبه الله على ما يحبه هو ، وعلى الداعى أن يتحلى بالخلق الكريم وأول هذه الأخلاق الصدق ، الصبر بالله ولله ، أن يتحلى بالرحمة . . فينبض قلبه بالرحمة والشفقة على الناس ويرجو لهم الخير ويقدم إليهم النصح . . يتحلى كذلك بالتسامح وسعة الصدر وضبط النفس والعفو عن المسيء والصفح عنه . . ومن ثمرات معرفة الله سبحانه التواضع وهذا خلق يحتاجه الداعى دائمًا لأنه يخالط الناس ويدعوهم إلى الحق وإلى أخلاق الإسلام وقد قال الله لحبيبه ومصطفاه : ﴿ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[الحجر : ٨٨] . والداعى إلى الله وهو يخالط الناس عليه أن يعرف حقوق الصحبة ويحمل نفسه على الوفاء بها لأن الوفاء كذلك خلق كريم يجب على الداعى أن يكون هذا من أخلاقه .

تنوع أحاديث الداعى

إن الداعى إلى الله تبارك وتعالى يعتمد فى دعوته على (الخطبة) . . والدرس . . والمحاضرة . . ولكل من هذه الثلاثة أمور هى : -

١ - **الخطبة**: يُلقى الداعى إلى الله خطبته التى يكون قد أعدّها إعدادًا جيدًا وذلك على الوجه الآتى : -

أ - لابد للخطيب أن يتعرف على المناخ الاجتماعى والبيئة التى سيُلقى فيها خطبته . . والجمهور الذى سوف يستمع إليه . . ثم يقوم بدراسة أهم الأمور التى يجب أن يعالجها وأن يجمع عناصر الموضوع فى خاطره ويرتبها فى نفسه . .

ب ـ من الأفضل أن يكتب الخطيب عناصر خطبته وأن يسجلها فى مذكرة لتكون مرجعًا له وضابطًا من التفلت . .

جـ - لو كان هناك فسحة من الوقت فإن الخطيب الجيد الذى يحترم جمهوره هو الذى يُمرِّن نفسه على الإلقاء بصوت مرتفع فى غرفة مغلقة عليه أو مكان خلوى . . وهذه الطريقة تربى عنده ملكة الإلقاء .

د ـ ومع كل ما قدمناه يُفضل أن يقوم الخطيب بكتابة الخطبة وأن يقرأها مرات لترسخ فى ذهنه وتتعمق فى وجدانه . . ولنعلم أنه لكل مقام مقال ولكل وقت ما يناسبه .

هـ ـ حُسن التآلف بين الكلمات بحيث يحسُنُ وقعها فى الأسماع وبحيث يكون عند نهاية كل جزء من كلامه تام المعنى ، وأن يؤدى المطلوب من هذه الجُمل .

و ـ على الخطيب أن يتخذ صديقًا له يطلب منه النصيحة ليدلّه على عيوبه ليعمل على تلاشى هذه العيوب .

أمور لازمة للخطيب

لابد للخطيب أن يعلم أن هناك أمور لازمة له أهمها : -

١ - إخراج الحروف من مخارجها الصحيحة . . ولكى يصل إلى أفضل شىء فى هذا المجال فعليه أن يتعلم تجويد القرآن وترتيله ليكون نطقة سليمًا وحتى لا يثقل قوله على السامعين فلا يفهمون منه شيئًا .

٢ - التمهل فى الإلقاء فيجعل صوته يصل إلى السامعين جميعًا وتصل الكلمات إلى آذانهم فى نغمات تستريح الأذن لسماعها ، وأن يكون كلامه مصورًا للمعانى التى يريد أن يغرسها فى نفوس السامعين .

٣ – البعد عن اللحن : فلا ينصب الفاعل ولا يجر المفعول ، لأن هذا اللحن يفسد الذوق ويكون كنغمة شاذة لا تتقبلها أذن السامع لهذا يجب على الخطيب أن يهتم بتصحيح الكلام الذى ينطق به .

٤ – الصوت الحسن : لأنه يجذب الناس وتستريح إليه ، والصوت الحسن يؤثر فى نفوس الناس ويحرك مشاعرهم ، ولهذا كان الصوت الحسن من الأمور الطيبة . . أما الصوت الأجش فإن الناس تصاب بالسأم والملل من سماعه ويودون سكوته لهذا قال الله تعالى : ﴿إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان : ١٩] .

٥ – الوقفة : على الخطيب أن يكون فى وقفته أثناء أداء الخطبة مستقيمًا فلا يعتمد على رجل واحدة ويترك الأخرى ولا ينحنى انحناءة تخل من وضعه ، ويستحسن أن يكون فى مكان عال ليشرف على السامعين وحتى يتمكنوا من رؤيته فإن الرؤية تعين على حسن الاستماع ، وهنا لابد للخطيب أن يكون : حسن المنظر ، جميل الهندام ، نظيف الملبس ، لأن كل ذلك يؤثر فى شخصيته ويتطلب منه قبل أن يصعد على المكان المرتفع أن ينظر فى مرآة أو يجعل أحد أصدقائه ينظر إلى هندامه وملابسه ليعالج العيوب التى تنفر الناس منه ؛ لأن طبيعة الجمهور أن ينفر من صاحب الملابس الرّثة .

٦ – الإشارة : الإشارة هى كلمة صامتة ، ولغة تفاهم فى كثير من الأحايين لأنها حركة تعبّر عما فى وجدان الإنسان ، والإشارة يدفع بها الإحساس الوقتى للخطيب وقد تكون حركة نابعة من شعور الإنسان لا دخل للإرادة فيها ، المهم أن تكون الإشارة الصادرة من الخطيب ملائمة للمعنى الذى يثيره . . يشعر السامعون بقوة دلالتها . . ومع ذلك فإنه يحسُنُ للخطيب عدم تكرار الإشارة وعدم الإكثار منها وبالتالى عدم الحركة أثناء الخطبة ؛ لأن كل ذلك يذهب بسمت الخطيب ومهابته ويكون لذلك أثره فى السامعين . .

٧ – قوة الملاحظة : فإن الخطيب النبيه هو الذى يتفحص وجوه القوم ويقرأ على وجوههم ما تكنه نفوسهم ، وهو حاضر البديهة دائمًا ، فمع قوة الملاحظة وسرعة البديهة يعرف من وجوه الناس إن كان قد أصابهم فتور فينفخ فيهم من روحه ، أو اعترضه شىء كأن تدخل عليه جنازة أثناء الخطبة أو يعترضه شخص ليقطع عليه كلامه . . هنا لابد من استعمال الحكمة وتدارك الموقف وتغيير الاتجاه ، للحديث عن الموت عند دخول الجنازة وحث الناس على أخذ العبرة من الموت وما بعده . . أو الاستماع إلى السائل والسيطرة على الموقف بسرعة وعدم تجريح أحد من الناس حتى الذى قطع الخطبة .

والأمر إذًا يتطلب الحكمة ووضع الأمور فى نصابها وفى هذه الحالة على الخطيب أن يكون مطمئن النفس غير خائف ولا مضطرب وإنما قوة شخصيته تجعله رابط الجأش قوى الحجة يسيطر على الموقف بقدرة ولباقة مع سداد رأيه وحُسن تعبيره . . وكل ذلك يكتسبه الخطيب من سعة الاطلاع فى أمهات الكتب التى تذخر بها المكتبة الإسلامية .

٨ - الموضوع : الخطبة يستحب لها أن تكون فى موضوع واحد (وحدة الموضوع) لها مقدمة تثير حماس السامعين ويجهز عواطفهم للتأثر بما سيقول ويجعلهم يستحضرون أذهانهم وأن يستهل مقدمته بالحمد لله ، ثم بعد المقدمة يتكلم فى الموضوع الذى أعدّه وأن ينبع كلامه حول الموضوع الذى يطرحه ، ويرتب عناصر موضوعه لتكون النتيجة فى النهاية مُحصِّلة الموضوع الذى يخطب فيه ، وأن يسوق الأدلة التى تبرهن على كلامه وأن يكون الاستدلال من كتاب الله وسُنّة رسوله وأقوال السلف ، وأن يضرب المثل ، وعلى الخطيب أن يعلم أ ن الناس لهم عادات قد تكون متمكنة من نفوسهم ومستولية على عقولهم ، والخطيب الناجح هو الذى يعتمد فى إثارة هذه العادات وربطها بالدين وإن كانت مخالفة فعليه أن يصحح برفق وأن يلمس موضوع العلاج بحذر ، لأن الناس قالوا للأحنف بن قيس وكان من أبلغ خطباء العرب بمَ سُدت؟ فقال : لو أن الناس كرهوا الماء ما شربته . وهو هنا يُعبّر على أنه يحتَرم العرف والتقاليد . . ثم الخاتمة يجمع فيها معانى خطبته فى كلمات قليلة بصوت هادئ ثم يختم . إذًا لابد للخطيب أن يعلم أن الخطيب يعرض نفسه على الجمهور ويعرض فكره فى كل أسبوع فلا يليق به أبدًا أن يكون أقل ثقافة من مستمعيه ، ثم إن الألفاظ لها مدلولاتها فعليه أن يتخير الألفاظ الحسنة وأن يبتعد عن الألفاظ المستهجنة وألا يطيل حتى لا يسأم الناس ويُنسى كلامُه كلامَه .

٢ - **الدرس**: لاشك أن الدرس الدينى وسيلة من وسائل الإعلام ؛ لأنه يحث الناس على الخير وينشط فيهم قوة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وقصدنا هنا الدرس الدينى الذى يقوم به علماء الإسلام فى المساجد من باب التوعية الدينية وربط الناس بالإسلام ، كذلك ما يكون فى المحافل العامة لتذكير الناس بالعمل على نزع فكر فاسد وإحلال فكر مستنير . والدرس الدينى بلاشك أصعب من الخطبة ؛ لأن الخطبة تنحصر فى موضوع واحد ، أما الدرس فهو يتشعب فى أمور كثيرة يدخل فى موضوع ويخرج إلى آخر . وجمهور الدرس دائمًا أقل من جمهور الخطبة ولكى ينجح من يُلقى الدرس الدينى عليه أن يهتم بالأمور الآتية : -

أ - أن يكون الدرس حافلاً بموضوع الرقائق التى تُحرك القلب وتشد انتباه السامع ويُساق أثناء الكلام القصص الدينى خاصة ما كان من القرآن الكريم أو السُّنة النبوية .

ب - أن يكون الدرس فى موضوع يهم المستمعين بحيث يكون من الأمور الواقعة فى حياتهم والمرتبطة بالبيئة . وأن تكون اللغة مفهومة بحيث ينزل إلى مستوى السامعين ويخاطبهم باللغة الدارجة بينهم ثم يرقى بهم، وهو فى أثناء الحديث يأتى بالمثل الشعبى أو بما يُروّح عن النفس .

جـ - أن يشتمل الدرس على التحليل الدقيق للأمور الحياتية ، وأن يكون المدرس حليما صبوراً يترك فرصة للأسئلة التى تعتمل فى نفوس الجماهير وأن يكون الحوار بينه وبين الجمهور أساسه الحكمة والتسامح عما يبدر من السائل من ألفاظ قد تخدش الحياء أو تسىء فهنا على الداعى أن يمسك بزمام الأمر ، وأن يُبيّن للناس برفق كيفية السؤال ثم يجيب على السائل وإن كانت المعلومات مشوّشة فى ذهن المدرس فلا يتعجل الإجابة وإنما يستمهل الجمهور حتى يتعرف أكثر ويأتى بمعلومات دقيقة خاصة وأنه يلتقى بجمهوره فى كل ليلة .

د - إن أفضل الدروس التى يستفيد منها السامع ويخرج وقد تأصل فى نفسه ما أراد المدرس أن يوصله للمستمع من معلومات .

هـ - لقد قلنا بأن الخطبة يجب أن تكون قصيرة ، أما الدرس فهو ممتد الوقت لأن من أراد أن ينصرف من الجمهور فلا مانع كذلك من خرج لتجديد وضوئه أو قضاء مصلحته ثم يعود فلا مانع لكن فى الخطبة لا . . والداعى إلى الله على بصيرة لابد أن يكون حصيفًا وعليه إن أراد شرح خطبته فليكن فى درس بعد صلاة الجمعة حتى لا يشق على الناس أو أن يذكرهم بأنه سيشرح ما جاء فى الخطبة يوم السبت أو يوم الأحد .

و - الخطيب يؤدى الخطبة وهو واقف متأثر بما فى الخطبة من مؤثرات أما الدرس فالإنسان يُلقيه وهو جالس وقد يتخلل ذلك المشى بين الجمهور ، وقد يضحكون جميعًا إذا كان هناك ما يثير الضحك إلى غير ذلك من الأمور التى نفرق بها بين الدرس والخطبة .

٣ - **المحاضرة**: تتفق مع الدرس والخطبة لأن كل هذه الأمور هى فن مخاطبة الجمهور وإقناعه ، كما أن هذه الأشياء لابد لها من جمهور ، كما أنه لابد للمحاضر أو المدرس

أو الخطيب أن يتغلغل فى نفوس سامعيه ليربطهم به، وتمتزج روحه بروحهم، فلقد قال رجل لرجل بلاغى : ما البلاغة؟ فقال : كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حُبْسَه ولا استعانة فهو بليغ، قال السائل : قد عرفت الإعادة والحُبْسَه فما الاستعانة؟ قال : أن يقول عند مقاطع كلامه . يا هناه . يا هذا، اسمع منى، إلى غير ذلك من مثل هذه الألفاظ، ومن الاستعانة أن يكثر من التفاته أو تشبيك أصابعه أو الإشارة بيديه من غير موجب لذلك، كما أننا قلنا أن الخطيب هو المدرس يجب أن يكون كل واحد منهما : رائع المنظر، جيد الإلقاء، حسن الهندام، جهير الصوت، كذلك المحاضر عليه أن يتسم بهذه السمات، فالمحاضرة إذًا من الفنون التى يجب الاهتمام بها وهى تعتمد على مقدمة وموضوع وخاتمة، ولها قواعد أهمها :

أ - تعتمد المحاضرة على التحليل العلمى لأمر تخصصى، قد تكون فى الدين، فى الهندسة، فى الزراعة، فى تحليل الأحداث السياسية، فى الطب ، فى العلوم .

ب - إن المحاضرة أقدر الوسائل الشفهية على الإقناع؛ لأن المحاضرة وقتها متسع وتتسم بالهدوء والعقلانية وتعتمد على المنطق والتحليل العلمى .

جـ - موضوع المحاضرة أوسع فى الموضوع، والجمهور الحاضر فى مستوى ثقافى واحد لأن الجمهور مهتم بهذا الموضوع الذى تُلقى فيه المحاضرة .

د - المحاضرة قد تخلو من النواحى العاطفية؛ لأن المحاضر يحاول إقناع العقل بما يسوق من أدلّة وما توصلت إليه معامل التحليل من نتائج .

هذه هى الأمور التى يجب أن يهتم بها الداعى وأن يكون على بيّنه بها . . كما أن على الداعى أن يعرف أن هناك **(المناظرة)** وهى :

١ - حوار بين طرفين فى موضوع واحد كل منهما يريد إثبات عكس ما يريده الآخر .

٢ - تحدث القرآن الكريم عن الكثير من المناظرات وساق لنا ما جرى بين الأنبياء وأقوامهم، كما ساق لنا الحوار بين أصحاب الجنتين، وقصة أصحاب الكهف وإبراهيم، وموسى .

٣ - أن يكون رائد كل من المتناظرين معرفة الحق وتجليته دون تعصب أو تجريح الآخر .

٤ - أن يتحلى كل من المتناظرين بالتواضع والأدب وكل واحد لا يُسفِّه رأى الآخر .

٥ - أن تبنى المناظرة على آراء لها مقدمات سليمة ليس فيها مغالطة وليس فيها تعمية للحقائق .

أيها الداعية إنك تعرض عقلك على الناس وتقدم لهم ما عندك من تجارب فأنت مفتقر إلى التعمق إلى حُسن الذات وأنت عندك زاد عظيم هو (القرآن الكريم والسُّنة النبوية) واسمع معى إلى ما قاله عبدالملك بن مروان عندما قيل له (عُجِّل إليك الشيب يا أمير المؤمنين، قال: وكيف لا يُعجّل علىّ وأنا أعرض عقلى على الناس فى كل جمعة مرة أو مرتين، ثم قال: شيَّبنى صعود المنابر والخوف من اللحن).

إن الألفاظ تبدل معانيها مع الزمن فللألفاظ أعمار وأطوال تختلف فيها دلالتها، وفى بيئة من البيئات قد يتحول اللفظ من معنى إلى نقيضه. فاللفظ رمز إلى فكرة ومعنى والخطيب الماهر هو الذى يراعى ذلك؛ لأن الأسلوب فى الخطبة أو الدرس أو المحاضرة أو فى المناظرة يحتاج كل ذلك إلى وضوح اللفظ الذى له معنى يكون كفيلا بالإقناع مع إثارة العاطفة وإبراز الحماس لتلتهب الألفاظ مع قوة العاطفة والحماس، فتمتزج بنفوس السامعين وتندفع إلى الوجهة التى يريدها المتحدث، وأن يكون الخطاب الموجه خفيفًا على اللسان حسن الوقع فى الآذان.

وهكذا إن البلاغة هى مراعاة مقتضى الحال. الأمر الذى يدعونا إلى أن نقول للخطيب: إن عليك أن تراعى المتغيرات التى طرأت على الساحة المحلية والدولية، وأن مخترعات العصر حوّلت المجتمع الكبير إلى مجتمع صغير، فواجب عليك أن تتزود بالمعارف التى استحدثت على الساحة وأن تتعرف على منافعها وأضرارها، لتناقش الناس فى المنافع وتبيّن لهم بالحكمة أن استعمال (الإنترنت) أو (الدِّش) أو (التليفون المرئى) أو (التكنولوجيا) بكل ما تحمل هذه الكلمة من مفهوم علمى علينا أن نطوع كل ذلك لخدمة الدين الذى لا تؤثر فيه هذه المخترعات؛ لأنه يحتويها ويُرشِّدها ويحولها من طاقة مدمرة إلى طاقة بنَّاءة. إن الدين لا يتعارض أبدًا مع العلم ومستكشفاته ومخترعاته، ذلك لأن الإنسان هو صانع الحضارة، والدين أساسها فهو ينمى الأفكار ويدعو إلى الابتكار ولا يتعارض أبدًا مع ما يستحدث على الساحة، لأن الداعى إلى الله رجل يعرف كيف يخاطب الجماهير بلغة العصر فهو كالشاعر والموسيقار والرسام عنده فن ينبع من نفسه ولهذا قالوا (أصل البلاغة فى الطبع)، وقد سأل معاوية بن أبى سفيان أحد جلسائه يوما فقال ما هذه البلاغة التى فيكم؟ فقال: (شىء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا). إن الناس متباينون فى ميولهم واستعدادهم، والداعية إلى الله هو الذى يجذب الكل إليه بلباقته. إن العصر الحديث يتطلب من الداعية أن يعمل على تنمية مواهبه وأن يتحدث إليهم بلغة العصر لأن الله تعالى يقول: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾

[إبراهيم : ٤] والداعية إلى الله لا يهرب من المواقف أبدًا؛ لأنه رجل المواقف الصعبة، وكتاب الله يمده واللسان فيه آية البيان وهو وإن كان صغيرًا إلاّ أن له أثرًا كبيرًا فى ميزان الكلام، فالمرء بأصغريه قلبه ولسانه. لذلك نحكم على الإنسان من خلال كلامة فقديمًا قالوا (المرء مخبوء تحت طى لسانه).

لقد قلنا إن المنبر فى المسجد وساحة المسجد وما يقال فيهما أقوى تأثيرًا فى الجماهير من الإنترنت والدِّش وما يدور فى فلكهما، إذا أحسن الداعية عرض الموضوع وكان من أهل الثقة عند الناس فإنه وبلاشك سيصل إلى ما يتمناه. ولكى نحقق ذلك لانسُب الجانحين ولا نتطاول على العراة والقوّادين، بل علينا أن نعالج المواقف برفق ونُبيّن رأى الإسلام بالحكمة ثم نعلن على الناس: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ثم إن الحق سبحانه علّمنا الأدب فى تعاملنا مع الخارجين على الدين فقال: ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٨]

هذا هو الأدب الذى يجب أن نتعلمه ونتربى عليه. وإذا كان القرآن قد نبهنا إلى أننا لا نسب الكفرة ولا نسب الضالين فى خطبنا ودروسنا ومحاضراتنا ومناظراتنا، فإنه كذلك نبهنا إلى عدم الجلوس مع الذين يخوضون فى آيات الله، إلاّ إذا كنا سنقدم إليهم موعظة أو نصحح لهم فكرة عنا أو نشرح لهم أمرًا دينيًا يتحدثون فيه. لكن، إذا كان الجلوس للتسلية واللهو مع الضالين المنافقين، فالوحدة خير من جليس السوء ولهذا قال الله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨].

على هذا الأساس أيها الداعية نقدم لك هذه الطبعة مزيدة ومنقحة من كتابنا المنبر وأثره، سائلين الله أن ينفع به، وأن يكون زادًا لنا على طريق الخير والرشاد، وأن ينفع به. إن ربى على ما يشاء قدير.

مقـدمة الطبعة الأولى

الحمـد لله الذى جعل المساجـد منارة للهـدى، ومكانًا لإصـلاح النفـوس وتهـذيب القلوب .

سبحانه : تكرم على روّادها فأضفى عليهم من رحمته، وكساهم من محبته، وقال فى الحديث القدسى : «إن بيوتى فى الأرض المساجد، وعمارها زوارى ، وحق على المزور أن يكرم زائره» . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى كان أول عمل له حين دخل المدينة مهاجرًا أن شيَّدَ المسجد ليكون مقرًا لعبادة الله . ومدرسة يعلم فيها الرواد الذين سيحملون مشاعل الهداية ليضيئوا بها أرجاء الدنيا، وبعد : فإن المسجد هو مكان للصلاة، كما أنه مكان لحفظ القرآن وتحفيظه، ومركز للإعلام والتعليم والتربية والتوجيه لما فيه خير الإنسانية وسعادتها فى الدنيا والدين والآخرة. ولن يستطيع الناس أن يتعرفوا على الواجب لله إلا من خلال رسالة الأنبياء لأن النفس الإنسانية مهما بلغت من السموّ والنضج والكمال لا تدرك عظمة الله إلا إذا قرأت فى صحف الأنبياء الذين ترادفوا لتوضيح ذلك من عهد آدم عليه السلام إلى أن ختم الله أنبياءه بسيدنا صاحب الرسالة العالمية الخالدة الذى مشى على أعقاب من سبقوه من إخوانه المرسلين الذين أوحى الله إليهم جميعًا ﴿**أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ولا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾ [الشورى : ١٣] . ورسالات الله حيثما ظهرت كانت من الكمال بالقدر الذى يملأ على الإنسان أقطار نفسه ويزيل وحشتها فلا يتطلب وراء هذا مزيدًا . وأنبياء الله ورسله صلوات الله عليهم دعوتهم لحياة القلوب، وإيقاظ النفوس، ومهمتهم الأولى تصحيح العقيدة فى نفس الفرد حتى يعبد الله خالقه، وبتصحيح العقيدة يصح العمل، ويستقيم السلوك، ويطبع الإنسان من داخله على نظافة القلب وطهارة الوجدان . وعندئذ ينهض بكل عمل يوكل إليه، مع الدقة والأمانة، والتمسك بالأخلاق فتراه يحترم الكبِّير، ويعطف على الصغير .

كما أنه يمشى على الأرض بخلق السماء، ويتطلع إلى السماء بحسن السعى فى الأرض، ويؤثر فيمن حوله من بنى جنسه، ويكون قدوة لغيره لأنه وهو يسعى فى الأرض موصول القلب بالله يشعر بوجوده معه ورقابته عليه وهو يتزود دائمًا بتوجيهات المنبر ومكانه فى المسجد الذى يتردد عليه رجال يحبون أن يتطهروا حسيًا وجسميًا ومعنويًا، ويمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا، يعملون بجد ويسعون

بنشاط لا يتخاذلون ولا يتكاسلون، قلوبهم طاهرة ولسانهم صادق يتحلون بالأمانة ويتصفون بالمروءة والكرم والحلم والوفاء بالعهد والتصالح مع الكون بأسره، لا يتسرب اليأس إلى نفوسهم لأن الأمل فى الله والثقة فيه تملأ كيانهم والاعتماد على الله يقوى عزائمهم وهم يهتدون إليه ويقتدون بأنبيائه ورسله الصالحين، وأنبياء الله هم رواد الإنسانية فى مجال الخير، والدعوة إلى الإسلام الذى يشمل نظام الحياة بأسرها. فهم يعملون على إيجاد مجتمع فاضل سداته الرحمة والعدل ولحمته المساواة والتعاون.

إن رسالات السماء تستهدف مصلحة الإنسان. وتضع له من المناهج والبرامج ما فيه سعادته وفلاحه.. لأنه خليفة اللّٰه فى الأرض، ولقد كرَّمه اللّٰه سبحانه وفضَّله على كثير من خلقه، ومنحه العقل. لذلك ترادفت رسالات السماء لتوضح للناس معالم الطريق السويّ الذى يوصل إلى عز الدنيا وفلاح الآخرة. يقول الحق سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]. ويقول الحق سبحانه: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]

الدعوة

الدعوة:

هى طلب فعل شيء أو تركه استجابة لطلب الداعى. وموضوع الدعوة المقصود هنا: هو الإسلام الذى أوحى اللّٰه به إلى رسوله الكريم محمد ﷺ فى القرآن الكريم والسنة المطهرة.. وهى كذلك توجيه خطاب لشخص أو أكثر بغية الاقتناع بمبدأ يؤمن به الداعى.. وهى من الدعاء إلى الشيء والحث على التمسك به. قال الحق سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: ٢٥].

والداعى:

هو المكلف شرعًا بالدعوة إلى الله امتثالاً لقول الله سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] وقوله سبحانه: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]. والداعى هو الذى يوصل أهداف مبدأ يؤمن به إلى من لا يؤمن به. ويستطيع أن يعبر بمستمعيه حاجز الجهل الذى يفصل بينهما ويوصل فكره إلى أعماق المدعو بقوة ليقينه بالهدف الذى يعمل على تحقيقه.

والداعية:

شخص يعيش للمبدأ الذى يؤمن به . كل وقته مشغول به . يحمل لواء الدعوة للفكرة التى ترسخت فى أعماقه . إن أكل فَلكىْ يتقوى على السير للتبشير بها . . وإن استراح فلكى ينهض ليواصل السير فى سبيلهاَ كأقوى ما يكون همة ومضاء عزيمة . . دعوته هتاف يقظته، وحلم منامه . يتابع كل ما يناهض دعوته، ويحاول بكل طاقته أن يتابع كل جديد فى دائرة تخصصه لا يصرف فكره عن النهوض بالمجتمع ولا يتراخى عن مواكبة الأحداث، ولا ينطوى على فكر معين يحاربه الدين . فهو يعيش مشاكل أمته . لأن واجبه أن يدعو غيره للتغلب على تلك المشاكل ووصف العلاج الناجع لها . فلا بدَّ إذن أن يكون أقدر على توجيه الحديث إلى من يدعوه . لأنه لا يليق به أن يتحدث إلى قوم حديثًا ينبئ عن قصور فكره وعدم فهمه له .

والمدعو:

هو كل إنسان توجه إليه الدعوة على لسان إنسان آخر، والمقصود هنا هو كل إنسان توجه إليه دعوة الإسلام من أى إنسان تحقيقًا لعالمية الدعوة واعترافًا بقول الحق سبحانه على لسان رسوله الكريم : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[الأعراف : ١٥٨] . لأنه مع احترامنا للعقل الإنسانى، والضمير البشرى لا نرى فيهما غناء عن كلام الله سبحانه، وهدى المرسلين، لأن بعض المعارف تتصل بذات الله سبحانه وما ينبغى له، وما كلف به عباده من فروض لا مجال لتلقيها إلاَّ من الوحى على لسان رسول أمين من رسل الله الذين يرسلهم لعباده وقد تمت الرسالات بسيدنا محمد الذى أوحى الله إليه ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾[المائدة : ٣] .

ولما كان الناس خطَّائين بطبيعتهم، وكانت أهواؤهم تغلب على أحوالهم فإن نقلهم إلى الصواب وتثبيتهم عليه يحتاج إلى جهد متصل . . ودعوة مستمرة ليستبين للإنسان طريق الخير من الشر . ورسالات السماء لا ترسمها اجتهادات الأنبياء ولا تنبع من فلسفة فكرية، بل هى من صنع الله الذى هو أدرى بالمصلح والمفسد، فمن وفى بها على حسب نهج الله وهدى رسوله فله الحسنى وزيادة يقول الحق سبحانه تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ ﴾ . [الشورى : ٥٢-٥٣] .

أثر القدوة فى تكوين الداعية

إذا كان لكل أمة ثروة تعتز بها وتحرص على تنميتها وتهيئة المناخ الطيب لها . لما لها من أثر حميد فى إبراز خصائصها ورفع قدرها والعمل على سموٍّ مكانتها بين الأمم . فإن العقول المفكرة فيها هى أغلي ثروة لما لها من دور بناء فى إدخال الرفاهية على الأمة وجمع شملها ، وتوحيد صفها ، والدفع بها إلى مجالات الحضارة والتقدم والازدهار ، وفى مقدمة هؤلاء العلماء والمفكرون جميعًا يأتى دور «علماء الإسلام» الذين يوجهون الأمة إلى كل خير ، ويعملون على تنمية جذور الإخلاص فى قلوب أبنائها ؛ لأنه من المعلوم أن رسالة هؤلاء العلماء هى رسالة الخير والحق والعدل ، حيث يتم من خلال دعوتهم ربط الإنسان بخالقه ، وتصحيح علاقة الإنسان بأخيه الإنسان عن طريق العلاقات الطيبة ، والأخوة الصادقة التى وضحها ربنا جل جلاله فى القرآن الكريم وبينها رسولنا ﷺ بالفعل والقول والإقرار . إن الدعوة إلى الله وميدانها المجتمع بأسره يقوم الداعية فيها بدور كبير فى مجال العمل الاجتماعى ؛ لأنه يحض الناس على إخراج الزكاة ويحثهم على عدم التهرب من الضرائب ، ويرغبهم فى إتقان الصنعة ، ورعاية حقوق الجوار ، وتعبئة الجهود الشعبية لحماية المنتجات المحلية ، والوقوف ضدّ المستغلين ، ومحاربة الخارجين على القيم الأخلاقية ، كما أنه يتناول القضايا الاقتصادية ، ويعمل على علاجها بدفع الحماسة فى نفوس الشباب والشيوخ إلى العمل بجدٍّ واجتهاد فى تحويل الأرض الموات إلى أرض حية حافلة بالخضرة والنضرة ، وإخبارهم بأن اليد العليا خير من اليد السفلى ، وحثهم على الاقتصاد وعدم الإسراف والتبذير ، ووضع حدٍّ معتدل للإنفاق فى العسر واليسر ، واحترام حرمة المال العام والخاص ، وعدم كنز المال واستثماره فيما يعود على الفرد والمجتمع بالخير والبركة ، والتأكيد على حماية الأوطان لأن حبّ الأوطان من الإيمان ، ومن مات دون وطنه أو ماله أو عرضه فهو شهيد . إنَّ التقدم الحضارى لأى دولة يرتكز على عنصر الإنسان أولاً وأخيرًا ، وكلما كان الإنسان ذا ضمير حيٍّ وإحساس مرهف ، وشعور بالمسئولية استطاع أن يقوم بواجبه مع الحفاظ على حقوق الآخرين .

والإسلام وهو رسالة الله الخالدة الخاتمة حدد مسئولية كل إنسان بعمله ، وحمَّل كل إنسان نتيجة تقصيره وإهماله .

والذى بين يديك هو بيان لدور المسجد ومنبره فى التأثير على الرأى العام، وذلك لصدق الكلمة التى تقال، وقد أردنا أن نبين يوم الجمعة ومنزلته، وما يجب فيه من ترك البيع والشراء ساعة النداء ليقبل الإنسان على الله، ويدخل المسجد وقد ترك الدنيا وراء ظهره، وفرغ نفسه وصفى قلبه ليستمع لما يقال فيزداد إيمانًا وترسخ القيم الإسلامية فى نفسه.

ثم أتبعنا بعد البيان عن يوم الجمعة وما يجب فيه توجيهات ونماذج لخطب ألقيت فى الوقت المعاصر يتبين منها أن المسجد ومنبره ليسا بمعزل عن الحياة، وإذا كان للمنبر توجيهات لمن يصعده فإن للخطبة التى تقال من فوق شروطًا وسننًا ومكروهات، وقد ألقينا الضوء على ذلك لتكون الحكمة واضحة من أن المنبر له تأثير فى القلوب وتوجيه إلى الصالح العام، وتجميع للناس على الحب والتعاون وإذا كان هذا جهدًا متواضعا فإننى أسأل الله أن يجعله قربانًا لوجهه الكريم، وأن يتقبله منا.

إنه نعم المولى ونعم النصير

يتحقق الهدف الإعلامى عند توصيل معلومات من المرسل إلى المستقبل، فإذا كانت الفكرة واضحة مفهومة مدروسة على ضوء العوامل الاجتماعية والبيئية فإن لذلك أثره على المتلقى مع ملاحظة أن المجتمع الإنسانى يعيش فى ثورة اتصال إعلامى نتج عنه تأثير مباشر على الفرد والجماعة، وذلك لأن البث الإعلامى لا يتوقف لحظة من ليل أو نهار. فالإذاعة لا تتوقف عن البث، والصحف، والمجلات، والملصقات فى الشوارع والميادين، وحديث الصاحب لصاحبه. . والتليفزيون والسينما والمسرح، والندوات العامة والمحاضرات فى الأندية والمحافل. كل ذلك له تأثير فى اتجاه رأى الفرد والمجموع، وعندما نقف أمام كل هذا الحشد يتبين لنا أن الإعلام هو:

١- شخصية المرسل «المتحدث أو الكاتب أو الخطيب أو المحاضر أو الممثل».

٢- موضوع الفكرة «اجتماعية أو دينية أو وطنية أو سياسية أو اقتصادية أو عسكرية أو زراعية، أو غير ذلك».

٣- شخصية المُسْتَقْبِل- سواء كان فردًا أو جماعة، أو شعبًا.

والمفروض أن تتميز شخصية المرسل بالصدق فى دعوته والإيمان بما يدعو إليه، وأن يكون محترمًا بين من يتحدث إليهم وموضع ثقتهم وله فى رجل الإعلام الأول والداعية الأعظم «نبىّ اللّه ورسوله» سيدنا محمد ﷺ القدوة والمثل الأعلى، فلقد عرض عليه المشركون المال والجاه والرئاسة وزينة الحياة كلها بشرط أن يتخلى عن دعوته !!! فماذا كان ردُّه قال ﷺ: «واللّه لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركتُهُ حتى يظهره اللّه أو أهلك دونه».

كما أن صاحب الدعوة لا يظمأ أبدًا ولا ييأس ولا يقنط حتى ولو رأى الفساد والشَّر هنا وهناك، وحامل راية الحقِّ سيدنا محمد ﷺ المثل الرائد، والنموذج الفريد، عندما تعرض لأذى أهل الطائف بعد أن تحمَّلَ ما أصابه من الأذى الذى ألحقه به المشركون على أيدى سُفَهَائهم. ماذا كان منه؟؟ إنه جلس وتطلع إلى السماء وقال وهو يناجى ربَّه: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس. يا أرحم الرحمين. أنت ربِّى وربُّ المستضعفين. إلى من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى أو إلى عدوّ ملكته أمرى إن لم يكن بك غضب علىَّ فلا أبالى».

كما أن عليه أن يتميز بسعة الصدر، والعفو عن المسيء إليه مع الإحسان إن استطاع ذلك. لما قيل «اتق شر من أحسنت إليه بزيادة الإحسان إليه». ولقد وصف الله بليَّة المصطفى ﷺ بقوله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

أما الثالثة: فإنه يستثير العقل، فعلى المتحدث أن يسوق الأدلة الواضحة البيِّنَة حتى يقتنع المستمع بالفكرة، ويعكس ذلك التأثير عليه فى سلوكه وبالتالى يكون تأثيره فى المجتمع. إن الإعلامى الناجح هو الذى يراجع جمهوره بين الحين والحين يذكرهم ويتابعهم حتى تترسخ الفكرة فى عقولهم، ويلاحقهم بتجديد أسلوبه وابتكار عباراته ووضوح رأيه. ثم يكرر طرح الفكرة فى مناسبات مُختلفة وبأسلوب يناسب الموقف لأنه «لكل مقام مقال» ولأنه يهدف إلى غرض معين وهدفٍ واضح، فهو يلاحق جمهوره ليحصل علَى النتائج المرجوة من حديثه.

أمَّا الفكرة فتكون واضحة ومفهومة، ولكَىْ يتحقق هذا فلابُدَّ أن يدْرسَ الموضوع علميًا بعد التعرُّف على اتجاهات الرأى العام. ليتلاءم الموضوع مع حاجة الجماهير حتى يكون هناك استجابة منهم، وعند عرض الفكرة يلاحَظُ أن تكون متفقة فى مضمونها متمشية مع أفكار المجتمع ليتفهمها القوم. مع مواءمتها بالأفكار التى يعتنقها المستمعون وملاحظة ثقافاتهم، والتقاليد البيئية السائدة فى المجتمع، ويلاحظ الخطيب أو الكاتب المؤثرات الحسيَّة، والنفسية، والعقلية لأنه فى الأولى يستثير العواطف والأحاسيس الطبيعية فى من يتَحَدث إليهم.. وفى الثانية: فإنه يخاطب فى القوم الظاهر والباطن، أو الشعور واللاشعور، وأثر الحديث ينعكس على وجوه القوم، ويظهر منهم الانفعال أو عدمه، وعلى هذا: يجب مراعاة هذا الجانب لأنه هامٌ جدًا حتى لا يكون المتحدث فى وادٍ والمستمعون فى وادٍ آخر.

الرأى العام

الشخص له فكر قد يظهر فى كلامه ويعلن للناس، وقد يخفيه فيعتمل فى نفسه، لكن يظهره، إذا سنحت الفرصة له بالتعبير. كذلك يكون هناك رأى لمجموعة من الناس فى قضية معينة سياسية، زراعية، اجتماعية، دينية، وطنية، وغير ذلك من الآراء. وتدور مناقشات يشترك فيها الكل، ويتفق الأغلب على رأى معين، ويسود هذا الرأى الذى يتفق

مع المعتقدات العامة السائدة فى البيئة ويكون هذا رأى عام مقبول . وهناك كذلك الرأى الذى يثار عن طريق القيادة وله دعاية ومؤثرات حتى يقوم بدور أساسى فى مساندة رأى القيادة ليكون النجاح للفكرة التى تدعو إليها وتجذب لها الناس فيكون له سلطة تبث روح التعاون بين المواطنين، وتحدث التقارب بين فئات الشعب، ويكون من وراء ذلك رفع الروح المعنوية بين الناس ورعاية القيم الأخلاقية وتأمين مصالح الشعب؛ لأن الرأى العام له سلطة يؤدى بها دورًا خطيرًا ومستمرا فى صيانة المثل العليا . . ولذلك تلحظ أنه فى حالة كبت الرأى العام يظهر السخط وتكون الناس غير راضية، ويتندرون وتظهر النكتة التى تعبر عن مكنون الاتجاه العام والرأى الباطنى ويكون ذلك فى عصور الاستبداد أو حكم الفرد وتسلطه . لكن فى عصر الحرية، تعبر الجماهير عن رأيها بالوسائل المختلفة، ويظهر رفض الرأى العام لقضية مطروحة لا تجد القبول عند الجماهير بالسلبية واللامبالاة لأنها تختلف عن معتقداته أو لا تهم المصلحة العامة؛ لذلك فهو لا يؤيدها .

ثم هناك رأى عام مؤقت يكون بسبب مشكلة طارئة تختلف عن معتقدات الناس وأفكار المجتمع . مثل حالات العُنْف التى تتمثل فى الغضب على جماعة تنسف طائرة أو تخطفها، أو تغرق باخرة عليها الآلاف، أو الذين يخطفون السلاسل الذهبية من السيدات، فيتكون رأى عام نتيجة التعاطف أو السخط لكنه مؤقت يزول باختفاء الحدث وآثاره .

نحن إذًا أمام اتجاهات متعددة للرأى العام الذى يتكون نتيجة لعناصر كثيرة هى مقوماته وذلك مثل :

١ - البيئة .

٢ - الطبيعة الاجتماعية .

٣- الثقافة .

ثم هناك مؤثرات أهمها :

١ - الدين والمعتقدات .

٢ - الأسْرة .

٣- المدرسة والصحبة .

٤ - التجارب .

٥ - الظروف الوقتية .

إن الله سبحانه كرم الإنسان وفضله على كثير من خلقه إلا أنه مع ذلك يتأثر سلوكه الاجتماعى نتيجة تأثره بمؤثرات داخلية من أعماقه . لأنه هو معقد التركيب ، متغير المزاج سريع الانفعال . والإعلامى الناجح هو الذى لا يصادم عواطف الجمهور ولا يكبت غرائزه ولا يميت أحاسيسه وإنما يهذب السلوك ، ويرقق العواطف ويبرز أسمى ما فى الإنسان من خصائص ؛ لأن وسائل الإعلام بتأثيرها على الشخص تحدث مؤثرات معينة على عقله ، وذلك حسب هدفها ؛ لأنها تفرض عليه نوعًا من الاستسلام العقلى حتى يصبح مستعدًا لقبول إيحاءاتها بما تريد أن تمليه عليه وتتحكم فى توجيهه ، وهذا ما يسمى «بغسيل المخ» لأن الشخص وقع تحت التأثير . . لهذا فإن إعادة تشكيل عقلية الفرد وتصحيح منهجه وترتيب آرائه ، وربطه بالقيم العالية والمثل الرائدة يتطلب فرض مؤثرات معينة على عقل الشخص مع إعادة تعليمه وتذكيره ، بماضى الآباء والأمهات ، وسيكون هناك صراع بين ما تلقنه من الوسائل الأخرى ، وبين ما يسمعه من فوق المنبر مؤيَّدًا من القرآن والسُّنة مع ملاحقته ومتابعته بالتكرار فلذلك تأثير مباشر يكون من ورائه سرعة الاستجابة وردود فعل فى أعماقه ، وذلك يتم فى جوّ طاهر ونفس طيِّبة وحكمة عظيمة ، وموعظة بليغة رقيقة بعيدًا عن الانفعالات والكبت بَلْ يُسْرٌ وسهولة ، ووضوح تام ، وأدلة بينة ولكل ذلك أثره الطيب فى القبول والتغيير والتعديل . وعلى هذا يجب أن تكون المادة العلمية قد صيغت بأسلوب علمى حتى يستقبلها عقل المتلقى بالقبول ويقتنع ويعمل بها ، ويصبح سلوكه متأثرًا بها ولكى يصل إلى هذا فإنه يتخذ الوسائل العلمية الحديثة مطية له لتساعده على جذب الجماهير ويؤثر فيهم مع تجديد المعلومة وإكسابها مزيدًا من الحيوية ، وهذا يتطلب منه كثرة القراءة والتأمل والاستنباط ، فالرأى العام ما هو إلا نتيجة حتمية لتوجيه صادر من شخص موثوق به ، مع إيمانه هو بما يوجه إليه ، وقوة الدليل الذى يسوقه وموائمة الرأى لأحاسيس المستمعين ولذلك وجَّه الرسول ﷺ سؤالاً للناس الذين اجتمعوا حوله عندما طولب بأن يصدع بالرأى ويعلن عن دعوته ، ويكشف المستور من أفكاره ، فلما صعد على الصفا ونادى على بطون القبائل ، سألهم : «لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدِّقىَّ»؟ قالوا : «نعم ما جربنا عليك كذبًا قط» فلو لم يكن هكذا ما قالوا ذلك لكن الفضل ما شهدت به الأعداء ، ولهذا نجد أن المشركين رغم أنهم أنكروا الرسالة الإسلامية وحاربوها لكنهم لم يكذبوا الرسولﷺ لأنهم لم يجربوا عليه كذبًا أبدًا ومن هنا قال الله سبحانه وتعالى : ﴿فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام : ٣٣]

المراد بالتنمية طلب الزيادة والبركة، ذلك لأن التنمية إدراك حقيقى للدور الذى يجب أن ينهض به الإنسان ليؤدى الدور الاجتماعى له فى الحياة، والدور الأساسى للتنمية هو الزمن، الذى هو نعمة من الله حيث جعله شرطًا أساسيًا للتنمية، إذ يقول سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥]. ويقول سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾[الفرقان: ٦٢]. إن الذين يريدون التنمية الحقيقية للأمة عليهم أن يوجهوا الناس للحركة اليومية التى تبدأ من أول شعاع الضوء ويبدأ التسابق مع الزمن لإثبات قدرات الأمة ونهوضها فى استخراج كنوز الأرض وخيراتها، فإن الأرض التى ذلَّلها الله لعباده وجعلها ميدانًا للتسابق الحركى أمرهم سبحانه بالسعى فى مناكبها ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]. ويقول فى الحديث النبوى: «لا تزول قدما العبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيمَ أفناه، وعن شبابه فيمَ أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به»، وقد جاء فى الأثر: ما من يوم ينشق فجره إلا ومناد ينادى: «يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فتزود منى بعمل صالح فإنى لا أعوِّد عليك إلى يوم القيامة».

إن حركة التنمية تبدأ من طلوع الفجر حيث يستيقظ الناس عند سماعهم للنداء الإلهى الذى يوقظ النائمين عند سماعهم «الصلاة خير من النوم». ثم يتحرك موكب العاملين بعد أن وقفوا بين يدى ربهم خاشعين يسألونه العون والمدد حتى يتغلبوا على صعاب الحياة. ثم يتوجهون إلى مراكز التدريب والعمل والإنتاج كل فى موقعه: يجود صنعته، ويتقن عمله، ويبتكر فى أسلوب الأداء، وقول ربهم يرنّ فى آذانهم: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[التوبة: ١٠٥]. إن التنمية الحقيقية هى أن نربى الإنسان على الفضائل والقيم، لأن الشخص هو اللبنة الأولى فى بناء المجتمع إذا صلحت صلح المجتمع وإذا فسدت فسد المجتمع، فالإنسان إذا صقلت مواهبه واتجه إلى العمل بهمة ونشاط فإنه سيحقق الخير لنفسه والرفاهية لأسرته والاستقرار لمجتمعه، وهذه هى التنمية الحقيقية التى توجد الأمن والهدوء فى المجتمع الإنسانى. إن الإنسان قدره عظيم ودوره فى المجتمع

خطير لذلك على الأجيال أن تحافظ على تراثها لأنه ميراث الجميع يأخذون منه ويستفيدون من فكر السابقين وبهذا يتواصل موكب البشرية وينمو الخير فى جنبات المجتمع .

إن سَعْىَ الناس جميعًا فى الأرض يقصد منه الحصول على الرزق الوافر والخير الكثير ، والإنسان بفطرته السليمة ينقاد لتعاليم الإسلام ، ويجد فى تطبيقها راحة البال وبركة الرزق وهدوء النفس .

وبما أن المساجد فى الأرض هى بيوت الله التى يتعلم المسلم فيها معانى الإسلام وآدابه وأوامره ونواهيه فضلاً عن كونها الدور التى تقام فيها فريضة الصلاة التى هى الركن المعلن من أركان الإسلام . والتدريب العملى على العمل الجماعى لإسعاد المجتمع ورقيه فى مدارج الكمال النفسى والروحى ، ليكون وسيلة إلى العمل فى ميادين الحياة المادية بنفس الروح التى يكون عليها المسلم وهو بين يدى ربه ووسط إخوانه فى صلاة الجماعة ، وبما أن المسجد له رسالة عظمى يقوم بها من حيث إنه المكان الطيب الذى يلتقى فيه أبناء الحىّ على ذكر الله وقد صفت القلوب وتطهرت الأيدى ، وعاشت الأجساد خاشعة خاضعة لله رب العالمين ، فإن دور الإمام الذى يوجه هؤلاء الروَّاد فى المسجد لتنمية المجتمع هو التجسيد لرسالة المسجد وهى : -

١ - تقوية الصلة بالله عن طريق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

٢ - ربط الجماهير المسلمة رباط المحبة للتعاون على الخير وذلك بصلاة الجماعة .

٣ - دفعهم إلى العمل والإنتاج عن طريق العظة التى تقدم فى المسجد .

ومن هنا وجب أن يتصف الإمام بما يأتى :

١ - قوة الصلة بالله ليكون قدوة صالحة لغيره .

٢ - أن يقصد بما يقدمه وجه الله والدار الآخرة ، وأن يكون بعيدا عن الرياء والمجاملة فى الحق ، وأن يكون زاهدًا فى مدح الناس وثنائهم .

٣ - أن يكون دائم الصلة بالأصلين الأساسيين والينبوعين الصافيين «كتاب الله وسنة رسوله ﷺ » دراسة وتأملاً واستنباطًا وعملاً يستمد من نورهما ما يكشف له كوامن النفس الإنسانية ليقودها برفق لتقف عند حدودهما .

٤ - أن يكون دقيق الفهم واسع الاطلاع محيطًا بالبيئة التى يعيش فيها إحاطة تامة -بأحوالها وظروفها- والتيارات والتحديات التى تتعرض لها .

٥ - أن يدرس التاريخ الإسلامى والإنسانى دراسة واعية وأن يكون ملمًا بقسط كبير من علوم الكون والحياة .

٦ - أن يكون صاحب ثروة كبيرة من النصوص واللغة وحبذا لو كان مُلمًّا ببعض اللغات غير العربية ليتمكن من الاطلاع على ما يكتبه الأصدقاء والأعداء عن الإسلام ويتمكن كذلك من إفهام وإقناع من يتكلم إليهم بالعربية أو بغيرها مسلمين أو غير مسلمين .

٧ - أن يكون على مستوى المسئولية والكفاية العلمية حتى يستطيع أن يعالج ما يعرض له بالحجة القوية والأسلوب المقنع .

٨ - أن يكون ذا خلق كريم ، وسلوك مستقيم ليكون محبوبًا لقومه فيؤمنوا عن صدق بما يقول ويستجيبوا لما يرشدهم إليه .

٩ - أن يكون حليمًا صبورًا حريصًا على إفادة أهل حيّه وتنوير بصائرهم .

١٠ - أن يزهد فيما عند الناس ويقنع بما أعطاه الله حتى يكون عزيزًا بينهم وأهلاً لاحترامهم ومودتهم بعيدًا عن التعرض لإهانتهم .

١١ - أن يكون حسن التلاوة لكتاب الله عالمًا بأحكام التجويد .

١٢ - أن يكون حسن المظهر فى زى يتسم بالوقار وسمت يتّسمُ بالجلال .

تلك بعض الصفات التى يجب أن يتحلى ويتصف بها شخص الداعية للإعلام الدينى إذا أردنا أن يكون له دور فى أى مجال من مجالات الحياة ، فإذا ما كان على هذا المستوى فإن دوره فى التنمية الاجتماعية سيكون دورًا أساسيًا ومثمرًا ، ذلك :

لأنه يدعو إلى العمل ، وإلى النظافة ، إلى إصلاح ذات البين ، وإلى الإنفاق فى سبيل الله بمعناه الواسع الذى يدخل فيه تعبيد الطرق - وإنشاء المستشفيات ، والمساجد والمعاهد ، والأندية ، والمصانع ، والجمعيات الخيرية التى تقوم على رعاية الفقراء والمساكين والمحتاجين وكل ما فيه خير للبيئة التى يقع فى محيطها المسجد وما فيه خير للمجتمع .

إنه يدعو إلى التعاون على البر والتقوى فينهض المجتمع بتحمل أفراده للأعباء والشعور بالواجب فتدور عجلة الإنتاج ويبتعد المسرف عن إسرافه والمدمن عن إدمانه حفاظًا على صحته التى هى صحة المجتمع فى النهاية .

إنه يحرص على زيارة الجمعيات الزراعية والأندية الشبابية والمصانع الإنتاجية والمستشفيات العلاجية ، ليسمع الجميع كلمة الله فينشط الزارع ويجدُّ العامل ، ويهتدى الشاب ، ويصح المريض وكل ذلك تنمية للمجتمع فى جميع مجالاته وبشتى طوائفه . إن الإمام الناجح فى رسالته يصحح مسار المجتمع الذى يعيش فيه ويدفعه بالكلمة الطيبة إلى

التنمية فى ذاته وفى مجتمعه انطلاقًا من الشعور بالمسئولية الجماعية التى نبه الحق إليها فى قوله سبحانه : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾[التوبة : ١٠٥] . والإمام الصالح يدعو بما دعا به الصالحون من قبل ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[الفرقان : ٧٤] .

الإعلام الدينى

تتردد على الألسنة حكمة قديمة تقول : «إذا لم يَسمَعْك أحدٌ فأنت لم تقل شيئًا» . ولما كان مجتمعنا اليوم يطلق عليه تأدبًا «من الدول النامية»، لما يعانيه من مشاكل التخلف الثقافى والاجتماعى، والزراعى، فإن المأمول أن يكون المنبر جهاز إعلام لتنمية القدرات والمواهب وأن يتجه برسالته كما كانت فى صدر الإسلام إلى خلق المواطن الصالح باعتباره مؤثرًا فى الحركة الاجتماعية والعمل الزراعى لأن التنمية بكل أبعادها تعتمد على الإنسان الذى يصدق ربّه ويؤدى حقه، وأن يكون هدف الإعلام الدينى هو تغييرٌ فى سلوك الفرد المسلم من شخص كسول إلى إنسان حركى، وأن يثير فيه الحماسة ليبرز قدراته، ويقدم عملاً صالحًا فى جسم هذه الأمة : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[الكهف : ١١٠] .

إن المنبر هو الذى يبنى الشخصية بناء متكاملاً عقلياً، وسلوكياً، وأخلاقياً. ويحرره من الخوف الذى يعوق قدراته لينطلق بكافة طاقاته ليسهم فى بناء حياة أفضل وهو يؤمن أن عمله لن يضيع سدىً فإن اللّه هو الحسيب الرقيب؛ لأننا لن نجد إعلامًا صحيحًا وناجحًا كما هو الحال مع المنبر لأنه يعمل على إيجاد حياة أفضل وينير الطريق ، ويحدد المفاهيم ، ويقتلع الأخلاق الفاسدة من أعماق الشخص ، ويغرس مكانها القيم الفاضلة، والأخلاق العالية؛ لأن رسالته مستمدة من هدى اللّه وتوجيهات نبيه الكريم .

إن المنبر يخاطب الناس على قدر عقولهم، وبأسلوب حكيم ، يبين للناس الحلال والحرام . والخطيب برؤيته إن ثبت أن أمراً من أمور الدنيا لا يستقيم صالح المسلمين إلا باتباعه، انتقل هذا الأمر من حد الإباحه إلى حد الوجوب . استناداً إلى القاعدة الفقهية « المصالحة المرسلة » «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح » .

وإذا كان المسلمون يجذبهم قول الله وقول الرسول الذى يقدم لهم بطريقة هادفة وأسلوب مبسط، حتى تسمو روح المسلم، وتظهر قدراته وطاقاته مع تنميةعقله وترقيق

مـشــاعــره ؛ فـإنه هـو الأصل الذى يقــدم ﴿ إِنَّمَـا أُمِـرْتُ أَنْ أَعْـبُـدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾[النمل : ٩١] .

إن أجـهـزة الإعـلام التى تحـاول طمس الحـقـائق الخلقيـة اعـتـمـدت على الذين خططوا لضرب الإسلام وإضعاف المسلمين بأساليب متنوعة تظهر أحياناً فى الإذاعات والسينما والتليفزيون بالأغانى الهابطة والدراماغير البناءة والمسرحيات التى تطمس الحقائق وتحرك الغرائز ، كذلك الصحف والمجلات التى تسلك هذا المسلك . فإن كل ذلك لم يستطع فى يوم من الأيام أن يطمس دور المنبر وأثره والمسجد ورسالته ؛ لأنه فرق بين ما ينبع من دين الله وهدى رسوله وبين ما ينبع من أحاسيس تستهدف طمس الحقائق وضرب الفضائل .

ذلك لأن وسائل الاتصال الحديثة قد استخدمت بمهارة الدعاية لأمور أقل شأنًا من الدين . وخططت بنجاح فائق ، وبأساليب متنوعة ، وبسبب ذلك أحدثت تأثيرًا قويًا لتغيير القيم والاتجاهات . وإن حاولت فى يوم من الأيام استخدام هذه الوسائل فى الدعوة إلى الدين فإن القصور يشوبها ، بسبب الخلخلة الفكرية التى تبرز القصور ، والخلافات التى تؤدى إلى إظهار عجز الدين فى معالجة المشاكل ومواكبة العصر على حسب ما يؤمنون ، والغرض من ذلك أنها تريد أن تعصف بالشباب ، وأن تفرق الجمع ، وأن تقضى على كل المقومات الخلقية والاجتماعية والاقتصادية ، وهم كذلك يحاولون إبراز بعض أتباع الدين على أنهم شخصيات دموية المزاج ، فى مسلكهم شراسة ، لكل ذلك : كان لا بد للمنبر أن يأخذ دوره الإيجابى ، وأن يتطور فى الأسلوب مع قضايا المجتمع ، مع إظهار الجوانب الخلقية والاجتماعية فى الإسلام .

ولقد سبق لى فى السبعينات أن تحدثت فى وسائل الإعلام وطالبت بإنتاج أفلام سينمائية مع تخصيص مساحات أكبر فى برامج الإذاعة والتليفزيون لشرح أسس الإسلام وتعاليم الدين ، وبكل اللغات الحيَّة وعرضها بثمن زهيد لتكون فى متناول الأيدى .

إن عظمة الرسالة الإسلامية أنها التحمت بالمجتمع ، وتفاعلت مع الكون ، وانصهرت مع الجميع فى بوتقة الكيان الذاتى فأثبت المسلمون وجودهم ، وقدموا للعالم مدنية مزدهرة وكانوا مصدر إشعاع للبناء الاجتماعى ، لكن الزمن كشَّرَ عن أنيابه للمسلمين يوم أن تركوا تعاليم دينهم ، وعزلوا الدنيا عن الدين كما فعلت «أوروبا» يوم أن قام الناس هناك بثورة ضدَّ الكنيسة التى أرهقتهم وكبتت شعورهم وأماتت أحاسيسهم ، فكان نفس الهدف الذى طرقوه على الساحة الإسلامية فكان من نتيجة ذلك ، أن تغيَّر العالم الإسلامى من قوة إلى

ضعف، ومن تقدم إلى تأخر، ومن تماسك إلى تفكك، ثم عندما تقدم العالم أجمع بدأ المسلمون يفيقون من غفوتهم ويتحركون بعد طول رقاد ويثبتون وجودهم. ونحن نقول لهم: إنكم تقفون على عتبات الحاضر فعليكم أن تنظروا إلى أمسكم الذى فى التاريخ نبأه «أمة عظيمة قوية صنعها الرسول ﷺ بعون الله ورعايته فدعَّم كيانها وأخلص فى تربية رجالها وقادهم بتوفيق الله إلى شاطئ الأمان والهدوء والاستقرار فى أخوة بارَّة وتعاطف كريم، وتضامن فى المسئولية وتعاون على البر والتقوى».

فلما علم الله منهم إخلاص النية وصدق العزيمة ظل سبحانه يأخذ بيدهم من نصر إلى نصر ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[الروم: ٤٧]. ومن غلب إلى غلب ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾[المجادلة: ٢١]. وحداءُ السماء يحدو ركبهم ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾[آل عمران: ١٤٦]. وملائكة السماء تكثر جمعهم، وتؤيد جندهم ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الأنفال: ١٢]. من هنا كانت أنوار الهداية تحيط بهم من كل جانب تجذب إليهم الصديق. وتفتح لهم قلوب العدوّ؛ لأنهم مؤيدون بالحق وإليه يدعون، وبه يعملون ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

أما يومكم: فهذه الملايين المبعثرة، وهذه الأشتات الموزعة لو أنها وجدت من يحسن قيادتها، ويصغى لصوتها، ويجسد لهتاف ضميرها، فإنها تلتف حوله، وهو بهذا إن كان مخلصًا وقائدًا محنكًا وفاهمًا لأمور الدين، وعارفًا لتطور التاريخ، فإنه سيقود الأمة، وبه تعلو رايتها وتعبر قارات الدنيا بأسرها تبلغ كلمة الله، وتنشر دعوة الحق، وتدعو إلى السلام بعد أن تحقق الرخاء والهناء لمن ينضوون تحت رايتها وصدق الله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾[الأعراف: ٩٦]. وقوله: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾[الجن: ١٦]، ونحن نشهد اليوم أن أقوى ثانى دولة فى العالم وأغنى الجمهوريات التى تصدت للدين، واعتبرته أسطورة من الخيال، وأنه مُخدِّرٌ للشعوب مغيب لوعيها، قد انهارت وتفككت أوصالها، وكنسها التاريخ حيث رمى بها فى هوَّة النسيان.

ذلك لأن الدين له قوة وهيمنة على النفوس، لا تستطيع القوى البشرية مجتمعة بكل قواها أن تصدَّها أو تحول بينها وبين وصولها إلى قلوب الناس، لأن الدين من عند الله

أرسل به رسله وأنبياءه لهداية البشرية ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[التوبة : ٣٢] . ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣] .

إن الليل مهما طال لا بدَّ من فجر يبدد ظلمته ، وإن الظلم مهما طال لا بُدَّ من يوم يتفرق فيه أتباعه ، وإن الباطل مهما انتشر ووجد من يجندون أنفسهم لخدمته ، ويبذلون أموالهم لنشره ﴿ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾[الأنفال : ٣٦] ﴿ لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [آل عمران : ١٩٦-١٩٧] .

إنه لم يكن أحدٌ يتصور أن الاتحاد السوفيتي ينهار بيد أبنائه بعد أن كانت الدنيا لا تغمض عينيها إلا إذا أمنت حمايته ، وها هو اليوم قتلاه بالآلاف بيد أبنائه وأن الحصار الذى فرضه على الأديان تهاوى تحت أقدام أصحاب العقائد لأنه كما يقول ربنا ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ ﴾[الرعد : ١٧] .

من هنا فإن القدر حملنا مسئولية ضخمة : هى أن نواجه العالم بقوة العقيدة ، وحسن التخطيط ، والاعتماد على الله مع الأخذ بكل الوسائل الممكنة التى تحقق الأمن الغذائى والصناعى والتجارى للأمة ليكون النجاح لمن يحملون راية الحق ، ويبشرون بالسلام ، لأن أصحاب العقائد مهما قلَّ عددهم فإن النصر لهم حسبما قال ربنا فى كتابه بعد أن قدم الدعوة لإعداد العدة وأخذ الأهبة ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ (٦٥) وَإِن يَكُن مِّنكُم أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[الأنفال : ٦٥-٦٦] .

أمَّا أنصار الباطل فقد قال عنهم ربُّنا ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ ﴾[الحشر : ٢] . إن الفضل بيد الله وإن النصر من عند الله وأنه سبحانه لن يتخلى عن المؤمنين ، هذا أمره ، وهو ما تحقق فى الواقع واستوعبه التاريخ ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال : ١٢-١٣] .

إن الصحوة الإسلامية التى يشهدها العالم اليوم ، علينا أن ندعمها ونرشدها ليصل صوتها إلى الآفاق صيحة مدوية تؤمن الصديق وتخيف العدوَّ ، وتنشر العدل المدعَّم بالرفق لتنساب فى أنحاء الدنيا تتلو كتاب الله وتبين سنة رسول الله ﷺ وتدعو إلى الخير وتأمر

بالمعروف وتنهى عن المنكر، ويومها سيجد الخائف مأمنه، والجائع مطعمه، والمريض علاجه، وسيصل العالم إلى شاطئ الأمان وبرِّ النجاة ﴿ **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ** ﴾[الحج : ٤١].

إن العظة من الدرس يجب أن يستفيد منه المسلمون فإن العاقل من اتعظ بغيره.

أمَّا المستقبل فإنه يحتاج إلى نظرة متأنية، وتخطيط سليم يقوم على الدراسة الواعية، مع تجميع طاقات المسلمين واستغلالها وأخذ الأهبة لإيجاد دولة إسلامية قوية تنير الشرق والغرب بنور الله الذى لن ينطفئ أبدًا حتى تقوم الساعة.

إن السماء لا تمنح خيراتها للكسالى، وإن الأرض لن تجود بنتاجها للخاملين، نحن نردّدُ بأن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأن الإسلام دعوة إلى العمل والإنتاج، والسعى فى مناكب الأرض، فإننا نرجو آملين أن يتجه المسلمون إلى الوحدة والتآلف، ولهم فى ماضى الآباء العظة المستفادة وإذا كانت دولُ «أوروبا» توحد نفسها اليوم، وتوجد السوق المشتركة على ظهر الأرض، والمسلمون كما نرى، أليس ذلك مما يدعو إلى العجب؟! وقد أجمع عقلاء العالم بأسره أن ما حمله محمدٌ بنُ عبدالله إلى البشر هو خيرٌ للدنيا وإسعاد لها وتحقيق للأمن والرفاهية لبنى الإنسان جميعًا. أليس غريبًا أن يكون الإسلام حائرًا بين أهله وجهل أبنائه وعجز علمائه؟! وكيف يكون هذا حالنا، ومفتاح الخير فى يدنا، ونور الدنيا تحت يدنا مفتاحه؟! لذلك نحن نهيب بالأمة الإسلامية أن تجتمع على كلمة الحق، وأن تدعو إلى الحق ونقول لهم ما قاله ربنا: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا** ﴾[آل عمران: ١٠٣]. وقوله: ﴿ **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ﴾[الأنبياء: ٩٢].

إن رجل الإعلام الدينى أمامه طريق النصر حدده ربنا فى القرآن الكريم وخلاصته كما يقول الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾[الأنفال: ٤٥]، إذن الجسور القوية الموصلة إلى النصر هى:

١ - الثبات على المبدأ ويستتبع ذلك قوة الثقة فى الله وشدة العزيمة، وصحة اليقين.

٢ - ذكر الله: وينتج ذلك من - شعور الإنسان بأن الله معه - وأنه مراقبه - وسوف يحاسبه على ما يصدر منه من قول أو فعل.

٣ - عدم الخيانة: لأن الله لا يحب الخائنين، وما دمت مع الله فكن أمينًا على نفسك، وعلى المال العام، وعلى مصالح الناس، وعلى كل شىء فى الكون الذى تستطيع أن تتحرك فيه، فلا تفسد على الناس مصالحهم، ولا تلوث البيئة حتى لا تضر غيرك.

إن رجل الإعلام الديني يرتبط قوله بسلوكه لأن أمام عينيه قول الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾[الصف : ٢ ، ٣] .

إنه يقول الحق ولو كان مرًا ، لأنه لا يخاف على رزقه ، فهو يؤمن بأن الرزق بيد الله : ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود : ٦] .

كما أنه لا يخاف على أجله لأنه يؤمن : أن نفسًا لن تموت حتى تستوفى رزقها وأجلها : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[الأعراف : ٣٤] [النحل : ٦١] .

فلو أن رجال الإعلام الدينى على مختلف مستوياتهم ، آمنوا بكل ذلك ، وسلكوا المسلك الطيِّب وكانوا نماذج حية لقيم الإسلام وتعاليمه ، تحركوا باسم الله ، وخططوا باسم الله ، وأجمعوا كلمتهم لوجه الله ، لا يريدون تفاخرًا ، ولا كبرًا ، ولا بطرًا ، فسوف يندحر أمامهم الإعلام المهزوز الذى خطط له أعداء الإسلام ونشروه بقوة المال تارة وبالخبث تارة أخرى وبالتلفيق أحيانًا . وكل ذلك تم فى غيبة الحق ورجاله ، وغيبة العلماء وفكرهم لذلك : نحن نطلقها صيحة مدوية «إن الإسلام ليس لعبة الصغار» ولا يفرض بالجنازير وضرب الرصاص ؛ لأن الذى أرسل نبيه به قال له ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾[الغاشية : ٢٢] . كما قال : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف : ٢٩] . كما قال أيضًا : ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[البقرة : ٢٥٦] . إن العالم الآن مهيأ لأن يتقبل منا ما نقول لكن الشرط الأساسى أن يرى أمة الإسلام وقد توحَّد صفها ، وقويت عزيمتها ، ومدَّ الأخ يده لأخيه بحب وعطف ومودَّة ، الغنىُّ يعطف على الفقير ، والفقير يصون مال الغنى ، ولا يعتدى عليه ؛ لأن كل واحد منهم يؤمن بما قال الله : ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ﴾ [النحل : ٧١] . وبما قاله فى هذا السياق : ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه : ١٣١-١٣٢]

إن تنمية الإنسان ليست بالشىء السَّهْل الْهَيِّن ، لأننا نعلم أن بناء المصانع سهل ، وأن تعبيد الطرق وشق الصخور أسهل ، أما بناء الإنسان فشىء صعب ، لكن إذا ما تليت على الإنسان آيات الله ، وذكر بنعم الله ، فإنه يلين قلبه ، وتسكن عواطفه ، ويطمئن خاطره . ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[الرعد : ٢٨] .

إن الأمم الناجحة هى التى تعمل على توفير حياة أفضل لأبنائها بزيادة المصانع لتشغيل الأيدى العاطلة ، وتوسيع الرقعة الزراعية لتوفير احتياجات الناس من الغذاء كذلك العمل على إعداد الجندى المدرب على آلات الدفاع ليؤمن حدود وطنه ، وإعداد الشرطى الأمين ليؤمن الوطن من الداخل ويحفظ أمن المواطنين ، ثم تعمل الأمم كذلك على توفير جوّ مناسب لفئة معينة كى تبتكر وتخترع وتخطط وتنظم ، وترسم الخط الذى يصل بين كافة الأجهزة داخل الوطن وخارجه لتمد جسرًا من التفاهم على حل المشاكل التى تظهر عند تنفيذ أى مشروع خدمة للأمة ونهوضًا بالمجتمع .

والذى يربى الرجال ويوقظهم يصحح لهم المفاهيم ويُوضح لهم الخط ، هو رجل الإعلام الدينى لأنه يوجه ويرشد ليبنى الإنسان من خارجه وداخله وليكون هناك اكتمال بين الروح والجسد ، وحتى لا يطغى الجسد على الروح أو الروح على الجسد فلا بدَّ أن يكون هناك انسجام بينهما وتوازن لتزدوج الحياة مع الدين كما تزدوج الروح مع الجسد ، ولن يستطيع الإنسان أن يفعل ذلك من تلقاء نفسه ، بل لا بدَّ من شخص تكون مهمته تأصيل القيم فى النفوس ، وتهيئة المناخ العام الذى يعمل على إيجاد الفرد الصالح ، وينمى فيه روح المراقبة لله والولاء للدين والانتماء للوطن ، وخلق جو من التآلف بين الفرد والمجتمع ، لأن الأمة مهما ارتقت من الناحية الصناعية ، أو الزراعية ، أو التجارية ، أو الحربية ، أو الأمنية فإن بعدها عن الله يزين لها من الجرائم ما تنحط به إلى الدرك الأسفل وتتعرض لأوخم العواقب ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ**﴾[الفيل : ١ -٢] . ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ**﴾[الفجر : ٦-٨] . ومن المعلوم لنا أن الرسالات التى حملها إلينا الأنبياء ، وأصبحنا الأمناء عليها الداعين للأخذ بها لا ترسمها اجتهادات أحد ولا تنبع من فلسفات فكرية . بل هى توفيق من الله سبحانه ؛ لأن العقل البشرى مع احترامنا له يلحقه القصور أحيانا والنسيان فى بعض الأحايين ، أما الكمال المطلق فلله وحده . ﴿ **وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾ [الروم : ٢٧] .

إن رجل الإعلام الدينى هو الذى يقوى العزائم بروحه ، لأنه الصلة القائمة فى المجتمع بين كتاب الله والناس . على أساسه ينظم شؤونهم ، وينفث فيهم روح النشاط والأمل . فإذا رأى فتورًا فى اتباع الدين وتهاونًا فى القيم ، واعتداء على الفضائل ، ونهبًا للمال العام ، وغشًا فى التعامل ، وفتورًا وتكاسلاً فى أداء الواجبات هبّ يدافع عن الدين ،

وينفخ فى الناس من روحه لتكون فيهم قوة للدفاع عن الحرمات التى نهى الله أن يعتدى عليها وأمر أن تصان فصوته يعلو كلما عرض لتعاليم الإسلام شىء ينقص منها أو يحط من قدرها، لأنه كالديدبان اليقظ الذى يتخذ من المنبر مركزًا لتنمية أحاسيس الناس وترقيق عواطفهم، وتوجيههم الوجهة الصحيحة لما فيه صلاحهم فى الدنيا والدين آخذًا من هدى الإسلام فهو موصل جيد لتعاليمه.

وخطبة الجمعة من شعائر الإسلام ومعانيها تنساب إلى نفوس المسلمين فى لحظات انعطاف إلى الله مع شفافية الروح وخلوٍّ من مشاغل الدنيا.

والإنسان فى تلك اللحظات يتقبل وصايا الرحمن لأنها تنير له الطريق، وتعينه على حل مشاكل الحياة.

وعندما يتعرض رجل الإعلام الدينى لتوجيه الإنسانية على هدى من كتاب الله وتوجيهات رسوله، فإنه يتعرض لذكر نماذج من التاريخ التى تدل على أمجاد المسلمين فى النواحى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، ويبين ما شاده المسلمون من حضارة عظيمة ينابيعها تفجرت من الحركة العقلية التى أحدثها القرآن وصنعها الرسول ﷺ والتأسى بالآباء والأجداد مع التأمل فى الحاضر والتطلع إلى المستقبل بأمل باسم وثقة فى الله لا تتزعزع.

الصدق فضيلة من الفضائل كل الأديان رغبت فى التمسك به لأنه أسهل طريق للنجاح لذلك نجد أن الإعلامى الناجح هو الذى يلتزم الصدق فى كلامه، حتى وإن اختلف فى الرأى مع آخر فإنه يلتزم بتلك القيمة الأخلاقية، فلا يجرح خصمه، ولا يكيل التهم لمن خالفه فى الرأى. ذلك لأن له موهبة نشطة وذكاءً حادًا فهو يستعمل كل ذلك فى البحث عن الحقائق ليكون مقنعًا لمن يستمع له أو يقرأ لأن القلوب لها آذان لا يصل إليها إلا ما خرج من القلب عن صدق ويقين.

إن الإعلامى الذى لا يلتزم الصدق فى كلامه وآرائه وتحليلاته ينصرف الجمهور عنه ويتندرون عليه، فهو موضع نقد دائم، ولا يكوّن رأيًا عامًا، ولا يؤسس فكرًا له، وكيف يكون وضعه فى المجتمع والأخبار التى يرويها ملفقة والأنباء متناقضة، والمعلومات غير صحيحة فالناس ينصرفون عنه ولا يقبلون عليه.

وإذا كنا نرى فى مجتمعنا المعاصر أن خبرًا ينشر فى أول الجريدة له فى وسطها تكذيب، ووكالات الأنباء التى تذيع خبرًا تنقضه بعد قليل، والمجلات كل ما فيها تهييج للغرائز وتصوير للجنس فإن ذلك أدى إلى شعور باليأس من الإصلاح، والإنسان وهو يتابع ذلك يقع تحت تأثير سيطرة الكلمة التى قرأها أو سمعها لذلك يرددها وهو فاقد للوعى، وهنا نجد أن المستوى الأدبى قد هبط، وأن الفهم السليم للغة العربية قد انحدر، ونحن نقول لهؤلاء إن الكلمة أمانة وهى مسئولية خطيرة، وإلى هذا أشار القرآن الكريم ويبين لنا أن كل كلمة نقولها سيحاسب عليها. حسبما جاء فى قول اللّه تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤] ومن أجل هذا نبهنا ربنا إلى أن نبتعد عن اللغو فى الكلام فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ٣] وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥] كما يبين لنا أن الشخص عليه أن يلتزم بالصدق ولا يتبع الظن ولا يتتبع العثرات، فيقول ربنا جل جلاله: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦] ويقول: ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢] ثم يبين لنا خطورة الكلمة وأن الواحد منا عليه أن يتحرى الحقيقة فيقول

رسول اللّه ﷺ : «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها فى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب» متفق عليه .

وقال أيضًا : «المسلم من سَلم المسلمون من لسانه ويده» وفى الحديث الآخر : الذى رواه البيهقى : «إن العبد ليقول الكلمة لا يقولها إلا ليضحك بها من فى المجلس يَهْوى بها أبعد ما بين السماء والأرَض، وإن المرء ليزل عن لسانه أشد مما يزل عن قدميه» وقال شَاعر :

يموت الفتى من عـــثرة بلســـانه   وليس يموت المرْءُ من عثرة الرجْل

وفى الأثر :

عن أبى سعيد الخدرى : قال رسول الله ﷺ إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تستكفى اللسان فتقول له : «اتق اللّه فينا فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا» .

– ونحن نقص قصة لرجل عظيم هو قدوة للإعلاميين الذين يحترمون أنفسهم ويحافظون على أصالة الفكر والبحث عن الحقيقة وعدم التمسك بالشائعات وإذاعتها . إنه المثل الرائد صاحب الخلق الكريم سيدنا محمد ﷺ فلقد كان فى حياته فى مكة ، قبل أن ينزل عليه الوحى متصفًا بالصدق ، والأمانة يتعامل بها مع العدو والصديق ، فتراه مثلاً فى ليلة الهجرة عنده أمانات لأعدائه وهم الذين تآمروا عليه وجمعوا الجموع لقتله ، ومع ذلك كلف الإمام عليا لينام فى مكانه ليرد الودائع إلى أصحابها ، وهل تجد أمينًا هكذا يتآمرون عليه ويرد ما عنده لهم من أمانات . وفى المدينة كانت تنزل عليه النوازل التى من شأنها أن تعصف بحلم الحليم وتحفزه ليرد عن نفسه ، ولكنه دائمًا كان يبحث عن الحقيقة ويتحرى الصدق ، فتراه مثلاً عندما أرجف المنافقون فى المدينة بحديث الإفك عن السيدة الفاضلة المحترمة العفيفة (عائشة) بنت الصديق الكريم رضى اللّه عنهما ، وأبطأ الوحى ، والناس يخوضون فى هذا الأمر حتى بلغت القلوب الحناجر لكنه كلما سئل ﷺ عن رأيه ، كان يقول بكل تحفظ واحتراس إنى لا أعلم من الأمر شيئًا ، ومع ذلك يبذل جهده فى التحرى عن الحقيقة ، ويسأل والكل يقول ما علمنا من سوء ، ويمضى الشهر وبعضه وهو يقول لزوجته وأهل بيته أما إنه بلغنى كذا وكذا مما يقول الناس ، فإن كنت بريئة فسيبرئك اللّه وإن كت ألمت بذنب فاستغفرى الله . أرأيت هذا الأسلوب الكريم؟! ماذا كان يمنعه أن يدافع عن خاصة أهله وهى زوجة شريفة من بيت كريم ونبت طيب ، ودوحة أصيلة؟ لمَ لَمْ يتكلم ليدافع عن شرفه ويحمى عرضه ويقطع ألسنه المتخرصين إنه لم يرد أن يتبع الظن وإنما يتحرى الحقيقة . حتى لا يقول ما ليس له به علم .

ومن هنا أذهب اللّه الرجس عن هذا البيت وطهرهم تطهيرًا، وأنزل قرآنا يتلى على سمع الزمان يعلن براءة «الطاهرة» فنزلت سورة النور تعلن براءة الصديقة بنت الصديق، وإن محمدًا الزوج الكريم ضرب المثل الرائع على أن الرجل لا ينقاد للشائعات ولا يجرى وراء الظن ولا يتصيد التهم، ولهذا يقول الدكتور «غوستاف لوبون» فى كتابه «حضارة العرب» . لقد استطاع محمد أن يبدع مثلاً عاليًا قويًا للشعوب العربية التى لا عهد لها بالمثل العليا وفى ذلك الإبداع تتجلى عظمة محمد. إن على أصحاب المبادئ وحملة مسئولية الكلمة أن يقتدوا به ولا يثيروا العواطف أو يقولوا ما ليس لهم به علم ذلك «أن الظن لا يظن به الحق شيئًا وأمتنا اليوم فى حاجة إلى قيادات تدعو إلى الخير والفضيلة والتمسك بالآداب العالية والأخلاق الفاضلة».

حرية الرأى

إن البعض قد يقول: «أنا حرّ» أعبد كما أشاء، وأقول كما أريد. نقول له: نعم أنت حرٌّ لكنك جزء من مجموع لست وحدك فى الكون. والإسلام يؤكد على حريَّة الرأى لأنها تؤكد كرامة الإنسان، وتشجعه على التفكير ليلتحم مع غيره لكن الحرية فى التعبير تكون بخير الأساليب، وأفضل العبارات مع الابتعاد عن اللغو، فيقول الحق سبحانه: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾ [البقرة: ٨٣] ويقول: ﴿ **وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً** ﴾ [المزمل: ١٠] ويقول: ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [الإسراء: ٥٣]. إن الناس إذا فقدوا الثقة فيمن يتحدث أو يكتب إليهم سينصرفون عنه، ويقولون: «كلام جرايد» يا عم سيبك أهو واحد إللى يقوله يعيده، فينصرف الناس عنه وتبور الصحيفة وينفضُّ الناس فلا أحد يسمع، وهذا ما رأيناه من تخلخل الفكر المعروض على الناس حتى أصبح هناك أزمة ثقة بين كثير من الناس الذين يستهويهم البحث عن الرأى الحق ولهذا قال اللّه تعالى: ﴿**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ**﴾ ويقول الرسول ﷺ فيما رواه مسلم: «يَسِّرُوا ولا تعسِّرُوا، وبشروا ولا تنفروا وتطاوعوا ولا تختلفوا» إنه لا حريَّةَ بلا مَسئولية، ورجل الإعلام الذى يعرف المسئولية ويقدرها ويلتزم بالحق والحقيقة فلا عدوان على أحد، ولا تشهير بشخص برىء، ولا تلفيق للتهم. إنما هو الحق، والحق وحده بدون سيطرة الهوى على النفوس محاولة لإدخال الرعب على شخص ما هو ناجح فى عمله له رواده ومحبوه.

إن الإعـلام هو دعـوة لبث روح الأمن فى المجتـمع وإشـاعـة روح الأمل فى نفـوس الجماهير مع رسم خريطة المستقبل بحيث تكون بينة المعالم واضحة الأهداف . . إن الله سبحانه أخبرنا أنه سوف يسأل الصادقين عن صدقهم ، وأن من افترى الكذب فهو ظالم لنفسه ، وصدق اللّه العظيم . ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ﴾ [الزمر : ٣٢] إن التشهير ببرىء يدمره وإن التشنيع على الشخص يحطمه والنتيجة حقدٌ ومرارة ومحاولة انتقام وتربص كل بالآخر ، وهل هذه حياة؟؟ لا . . من أجل ذلك قال الرسول ﷺ لعقبة بن عامر « أمسك عليك لسانك » . فهل آن الأوان أن نراجع أنفسنا ونهيئ المناخ الطيب بإعلام صادق يأخذ مجراه لبناء الإنسان ، وتوحيد الصف ، وإيجاد جيل يؤمن بالقيم والأخلاق . يترك الجدل ولا يجرى وراء التفاهات وإنما يبحث عن عظائم الأمور . لأن العظائم كفؤها العظماء . . ذلك ما يهدف إليه المِنْبَرُ فى المسجد وهو أقوى وسيلة إعلام نأمل الخير للدنيا من خلال ما يقال عليه عندما تقبل الجماهير لتسمع آيات اللّه تتلى فيزداد الإيمان فى القلوب ، وتتفجر الطاقات للعمل البناء لصالح الأمة وخدمة الإنسانية .

إن الشخص قد يختلف مع غيره فى الرأى ، والإنسان العاقل هو الذى يحول الخلاف فى الرأى جسرًا يعبر منه إلى تحقيق أكثر للخير وتآلف القلوب لأن الوصول إلى أحسن النتائج والأفكار يكون نتيجة حوار هادئ يتسم بضبط النفس وسعة الصدر وعدم اللجاجة فى الباطل والانقياد للحق ولو كان غير مراد الشخص ، فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول فيما رواه الترمذى «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» ويقول فيما رواه البخارى «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم» إن الجدل فى الكلام يؤدى إلى الخصومة وشحن النفوس بالغيرة وحب التعالى والظهور ، وكل ذلك من الأمور التى نهى الإسلام عنها ولهذا يرشدنا ربنا إلى أدب الحوار والجدل فيقول : ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت : ٤٦] . ويقول : ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة : ١] . والرسول عليه الصلاة والسلام يرشدنا إلى أن نبتعد عن الجدل والثرثرة التى لا تفيد فيقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه أبو داوود «من ترك المراء وهو مبطل بُنِىَ له بيت فى ربض الجنة ، ومن تركه وهو محق بُنِىَ له فى وسطها ، ومن حسن خلقة بُنِىَ له فى أعلاها» . إن أدب الحوار أن تستمع من الذى يحاورك وتعطيه الفرصة كى يعبر عن فكره واتجاهاته ويقيم الأدلة على ما يقول ، ثم هو كذلك يستمع لك ويمنحك الفرصة كى ترد عليه بأدب وتجمل

وسعة صدر وحلم، لأن الهدف الوصول إلى قيمة فكرية نحاول تعميقها فى نفوس الناس ووضع ضوابط علمية كى نحول الفكر المضطرب إلى فكر مستقيم حتى نخدم ديننا وأمتنا.
إن بعض الناس لا يلتزم بأدب الحوار الأمر الذى يحدث ضجيجًا وفوضى فى المجلس وتضيع القضية المطروحة على الساحة ويروج لها من لا يفهم فكرًا مستقيمًا، وهنا لا نقدر على تأصيل القيم العلمية والأدبية لذلك فإن المطلوب أن نشبع أدب الحوار فى مجتمعنا تحقيقًا لما يهدف إليه الإسلام وتدعو إليه القيم الخلقية والأدبية.

إن الإسلام لا يصادم رأيًا ولا يحجر على فكر وإنما يدعو إلى أن تقول الحسنى وهى الكلمة الطيبة الهادفة التى لا تجرح الشعور ولا تؤذى النفس وتوصل فكرًا سليمًا وتؤصل قيمة خلقية ولا يكون من ورائها فوضى واضطراب وخلخلة اجتماعية ولا تطاول على القيم والعادات. إننا ندعو إلى احترام أنفسنا ولن يتحقق ذلك إلا إذا احترمنا غيرنا وكان عندنا فسحة فى الصدر وقبول الآراء، ومناقشة صادقة تنير المسالك وتكشف الغامض وتفتح آفاق الفكر المستنير ولهذا نهانا ربُّنا أن نسبَّ من يختلف معنا فى الدين لأنه يرّد عليك وهنا تكون الفتنة، فيقول الله تعالى: ﴿**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾[الأنعام: ١٠٨]. فعلينا أن نحترم غيرنا ولا نتهجّم على عقائده ومعتقداته وقيمه وآدابه وعاداته الاجتماعية وهذه هى الحرية التى ينشدها الجميع.

أدب الاختلاف

الاختلاف والمخالفة أن ينتهج كل شخص طريقًا مغايرًا للآخر فى حاله أو قوله، وقد يفضى ذلك إلى التنازع، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك حيث قال ربنا جل جلاله: ﴿**فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ**﴾ [مريم: ٣٧] ويؤدى ذلك إلى الجدل، الذى من خلاله يحاول كل شخص أن يتغلب على الآخر، ويصل من وراء ذلك إلى الشقاق، وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿ **فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ**﴾ [البقرة: ١٣٧] وقد اقتضت مشيئة اللّه سبحانه وتعالى أنه خلق الناس بعقول متفاوتة ومدارج متباينة إلى جانب اختلاف الألسنة والألوان والتصورات والأفكار.

وكل ذلك من مظاهر قدرة اللّه تعالى فى خلقه وإلى هذا أشار القرآن الكريم ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ**﴾ [الروم: ٢٢] ولعل الحكمة من كون

الناس لم يخلقوا سواسية فى كل شىء أن يكون هناك تعدد الحلول لكل واقعة ليصل الناس إلى الحل المناسب، وحتى لا يقع الناس فى حرج فى حياتهم . . كما أن الاختلاف رياضة للأذهان، وتلاقح للآراء، وفتح مجالات التفكير للوصول إلى أنسب الافتراضات . لأن ذلك يتيح التعرف على جميع الاحتمالات التى يمكن وقوعها ولعل فى ذلك حكمة عظيمة لا ندركها، ولهذا جاءت الإشارة من اللّه سبحانه : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ** ﴾ [هود : ١١٨ - ١١٩] .

ونصل من وراء ذلك إلى أن الاختلاف له فوائد إذا لم يكن من وراء ذلك اتباع الهوى وحب الغلبة والظهور، وإلى هذا أشار الله سبحانه : ﴿**وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [سورة ص : ٢٦] ، ﴿**وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ [الأنعام : ١١٩] .

وإذا كان الخلاف للهوى وحبّ الظهور فإن ذلك مفسدة وإخلال بالمصالح العامة وإلى هذا أشار قول اللّه : ﴿**أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ** ﴾ [البقرة : ٨٧] .

إن الاختلاف إذا تذبذب بين القوة والضعف تبعًا لمشاعر الهوى وحب السيطرة والمرح فإن كل ذلك وليد الهوى ونزغ من الشيطان فعلى صاحبه أن يعود إلى صوابه، ولا ينقاد لهوى النفس الأمارة بالسوء، وأن يستعيذ باللّه من الشيطان الرجيم لأن ابن مسعود رضى الله عنه يقول : «إن الخلاف شر»، ولعلنا نلحظ أن هارون عليه السلام بيَّن لنا خطورة الاختلاف وضرره، وأنه أشد من عبادة الأوثان، وذلك عندما صنع السامرى لقومه عجلاً من الذهب وقال لهم : ﴿ **هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ** ﴾ [طه : ٨٨] فالتزم جانب الصمت وبقى ينتظر موسى الذى رأى القوم عاكفين على العجل فوجَّه اللوم إلى أخيه هارون الذى قال لموسى مبينًا عذره فى السكون﴿ **قَالَ يَا ابْنَؤُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي** ﴾ [طه : ٩٤] فجعل هارون عذره خوف الفرقة والاختلاف . . ونستأنس هنا بقول اللّه تعالى : ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [آل عمران : ١٠٥] .

إن الاختلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية إذا كان الهدف فيه الوصول للحق وتحقيق أعلى معدلات الإنتاج فى الأداء وتنفيذ الخطة السليمة المدروسة القائمة على التخطيط المبنى على العلم ليكون من وراء ذلك صالح المجتمع وخدمة الإنسانية ونستأنس هنا بما أخرجه البخارى ومسلم أن النبى ﷺ قال يوم الأحزاب : «لا يصلين أحدٌ العصر إلا فى بنى

قريظة» فأدرك بعضهم العصر فى الطريق، فقال بعضهم لا نصلى حتى نأتيها «أى بنى قريظة»، وقال بعضهم: «بل نصلى» فذكر ذلك للنبى ﷺ فلم يعنف واحدا منهم. وكذلك ما أخرجه أبو داود عن عمرو بن العاص قال ﷺ: «احتلمت فى ليلة باردة فى غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيممت ثم صليت بأصحابى الصبح» فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال: «يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب؟» فأخبرته بالذى حدث فنزل قول الله تعالى: ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٩] فضحك رسول الله ولم يقل شيئًا..

كذلك كان بين الصحابة رضوان الله عليهم اختلاف فى الرأى لكنهم كانوا يلتزمون دائمًا البعد عن الهوى، والالتزام بآداب الإسلام من انتقاء الكلمات الطيبة، وتجنب الألفاظ الجارحة وحسن الاستماع.. وإذا كان فى عصرنا الحاضر قد نشأ خلاف فى الأمور السياسية جعلت البعض متشددًا فى رأيه ويتمسك برأى حزبه، ولا ينصاع للرأى الصواب، فإن ذلك من الأمور التى يجب علينا أن نعالجها وأن نبين أن المسلمين حدث بينهم خلاف عند مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان ثم اتخذت الطائفة المعارضة «العراق» كبيئة خصبة لتفاعل الأفكار السياسية وتعقيدها وتصديرها إلى الجهات المختلفة، وهناك نشأ التشيع، وظهرت «الجهمية والمعتزلة» وانتشر الخوارج وظهر أهل البدع، وبدأ وضع الحديث، وتأليف القصص ذات المغزى السياسى حتى قال الإمام مالك عن الكوفة «إنها دار الضرب»، وقال الزهرى: «يخرج الحديث من عندنا شبرًا فيعود من العراق ذراعًا» كما جاء فى كتاب الانتقاء.

ثم ما حدث فى صلح الحديبية حين جاء سهيل بن عمرو «إلى رسول الله ﷺ» فقال لعلىّ اكتب: «هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ»، فقال سهيل: «لو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك»، فقال رسول الله ﷺ لعلىّ: «امح هذا». وما حدث من عمر عندما اعترض على الصلح وقال قولته: يا رسول الله ألسنا بالمسلمين؟ فقال الرسول ﷺ بلى، فقال عمر: فلم نعط الدنية من أنفسنا؟.

وعندما وقف المسلمون ولم يقصروا ولم يخلعوا ملابس إحرامهم فأشارت أم سلمة «أن يبدأ رسول الله ثم يخرج إليهم...» وكثيرًا جد من الخلافات التى تتسم بالطابع السياسى ومع ذلك لم تفرق جمع المسلمين ولم تكن فى يوم من الأيام عامل هدم فى جسم الأمة الإسلامية.

فعلينا نحن أن نتنبه، وأن يكون لنا فى رسول الله أسوة وقدوة، وفى الصحابة الكرام وفى مناهج الأئمة ما ينير لنا طريق الحقيقة حتى تتوحد الصفوف والقلوب وتجتمع الكلمة تحت راية واحدة هى راية الإسلام.

فقد كان الواحد منهم يبذل جهده وما فى وسعه ولا هدف له إلا إصابة الحق وإرضاء الله جل شأنه.

ولقد كان أهل العلم يقبلون فتاوى المفتين فى المسائل الاجتهادية فيصوبون المصيب ويستغفرون للمخطئ ويحسنون الظن بالجميع فالكل يستقى من نبع واحد وإن اختلفت الوسائل، إننا ونحن نذكر ذلك نركز على أن المسلم عليه أن يعى قول الله: ﴿**إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا**﴾ [النور: ٥١].

ولقد بينا ما حدث فى العراق كمثل نضربه. إن أعداء الإسلام حاولوا ضرب الإسلام واقتلاع جذوره ومحوه من الوجود فلم يقدروا على ذلك ثم عقبنا بما حدث من أمور سياسية لنكون على بينة بأن الأمور السليمة والقواعد الأصيلة هى التى ترد الناس إلى الحق، وتأبى الانقياد للهوى؛ لأن ذلك خير للشخص فى دينه ودنياه. إن الانحدار الذى تعيش فيه المجتمعات الإسلامية اليوم كان نتيجة لركود الحركة الفكرية وانتشار الفتن، وذبول شجرة الاجتهاد، ونزول الحال عند هذا الدرك الهابط فغابت شمس العلوم وعقم الفكر وراجت سوق البدع ونفقت بضاعة الانحراف وشاعت الخرافات واتخذت أشكالاً مختلفة مما أفسح الطريق أمام الغزاة الذين حطموا أقدار الأمة المالية والاجتماعية ووقفت الأمة الإسلامية تبكى على أطلال الماضى، حتى إن من يطلع على تراث الأمة لا يكاد يصدق أن هذا الخلف من ذاك السلف.

ونحن لا نقول هذا للإثارة لأن الخلاف بين المسلمين وتنمية أسبابه خيانة عظمى لأهداف الإسلام.

ولقد كنا نبكى بدل الدموع دمًا يوم أن دمرت العراق فى حرب الخليج وقبلها بكينا على ما فعلته هى فى الكويت وكانت نتائج تلك الكوارث مروعة لأنها تسجل الأرقام التى تبين أن ما أنفق على هذه الحرب بلغ أكثر من ٦٠٠ مليار دولار علاوة على من سقطوا قتلى وجرحى، وهذا المبلغ كان يكفى لإسعاد أمة الإسلام على اختلاف قاراتهم واختلاف لهجاتهم، ولكن للأسف ضاعت الأموال وضاعت الأمة وها نحن الآن نحاول أن نصلح ما أفسده الدهر، وقد حدث هذا من خمول العقيدة وزعزعة إيمان الكثير وعدم الاستقامة على الجادة والسلوك المنحرف والفقه المفقود والوعى الغائب عن الوجود.

وأمة هذا حالها أغرت أعداءها فاهتبلوا الفرصة ودمروا البلاد وأهلكوا الحرث والنسل وقضوا على البقية من مقومات شخصية الأمة، وهنا كان لابد للخلاف أن يظهر فبدأنا نرى الشباب الذى ينتسب إلى فرقة معينة، وآخر إلى مذهب محدد، والبعض يدعو للامذهبية وهذا من أهل القرآن، وذاك من أهل الحديث. ومع ذلك كثرت الأحزاب السياسية وتنوعت وذلك حزب بما لديهم فرحون، وبين هؤلاء وأولئك تتبادل الاتهامات المختلفة من التكفير والتفسيق والنسبة إلى البدع والانحرافات والعمالة والتجسس مما لا يليق بمسلم أن ينسبه إلى أخيه المسلم فضلاً عن الإعلان والجهر به بين الناس.

إن الأئمة المجتهدين اختلفوا ولم نلحظ أن واحدًا منهم تطاول على الثانى، لكن المختلفين فى الوقت المعاصر مع أنهم ليسوا مؤهلين للاجتهاد إلا أنهم يرفعون أصواتهم عالية عندما ينقلون رأيا من فقيه أو كلمة من متحدث فيبيح الواحد منهم لنفسه أن يعتلى منبر الاجتهاد، ويتعالى على العباد ويسم غيره بالجهل ويقوم بكيل التهم للناس ويزعم أنه يذب الخطر عن العقيدة التى لم يلتزم بآداب سلوكها.

لهذا نحن نهيب بالمسلمين المخلصين الذين يبتغون الخير لدينهم وأمتهم ويعيشون واقع المأساة من رجال الإعلام الذين يتَّسمون بنزاهة القصد وبُعْد النظر وسعة الأفق، أن يعملوا على تعديل المسار الفكرى ومعالجة الأزمة التى تبرز بوضوح من خلال انهيار المؤسسات التعليمية والتربوية التى أنتجت تدنيًا لمستوى الوعى والمعرفة وتفكك علاقتهما، وإحباط المحاولات التى تعمل على إجهاض الصحوة الإسلامية التى ترتكز على أسس أصيلة.

إننا بحاجة ماسة إلى فكر سليم يقوم على فهم روح الإسلام وغاياته وقواعده الكلية، لكى نتمكن من إعادة طرح التصوُّرات والحلول الإسلامية لتثوب الأمة إلى رشدها، وتضع يدها على جراحها، وتنبذ الخلاف وراء ظهرها، وينصهر الكل فى بوتقة الأخوة ويدوى نداؤنا «حىّ على الصلاة، حىّ على الفلاح، حىّ على خير العمل».

وعندئذ ستنطلق القافلة تبنى وتصحِّح وتصون ما شاده الأجداد ليصل الماضى بالحاضر على جسر من التفاهم القائم على المحبة، وساعتها يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم. إن الحق سبحانه وتعالى وضع المعايير وحدَّد الحدود، وفصَّل، وبيَّن لتكون الحجة واضحة، وقد ألزمنا أن نتمسَّك بهذا المنهج لأنه خير. ينشر الفضيلة ويؤكد دعائم الحق والصدق، ويبين أن لها كيانًا وأساسًا فيقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ** ﴾ [الأنعام: ١٥٩] ويقول سبحانه: ﴿ **وَأَنَّ هَذَا**

صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام ١٥٣] وفى الحديث الذى رواه الدارمى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: «خط لنا رسول الله ﷺ يومًا خطًا ثم قال: هذا سبيل الله. ثم خط خطوطًا عن يمينه وخطوطًا عن يساره ثم قال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣] وفى الصحيحين عن حذيفة رضى الله عنه قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يدركنى فقلت يا رسول الله: إنا كنا فى جاهلية وشرّ فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير شرٍّ؟ قال: نعم. قلت هل بعد ذلك الشرِّ من خير؟ قال فيه دخن. قلت: وما دخنه؟ قال: قومٌ يستنون بغير سنتى ويهدون بغير هديى تعرف منهم وتنكر. قلت: فهل بعد ذلك الخير من شرٍّ؟ قال نعم: دعاة على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها. فقلت: يا رسول الله صفهم لنا. قال: قوم من جلدتنا يتكلمون بألسنتنا. قلت: يا رسول الله فما ترنى إن أدركنى ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإنه لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك».

وروى الترمذى عن العرباض بن سارية قال «صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب فقال قائل: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدًا حبشيًا، فإن من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة». إن الذين تفرقوا واختلفوا لو أنهم قرءوا وفهموا وتبين لهم الرشد من الغى وتمسكوا بأهداف الفضيلة ورتبوا أمورهم على هذا المنهج الكريم لسعدت الإنسانية وتبوأت مكان الصدارة والهدى والرشاد.

المنبر وأثره فى اتجاه الرأى العام

يلعب الإعلام دورًا خطيرًا فى تشكيل اتجاهات الرأى العام، وقد عرفت البشرية ذلك منذ زمن طويل وأمد بعيد، ولعلنا نلحظ أن العرب فى جاهليتهم كان الشعر وسيلتهم فى

نقل معلومة من المعلومات، أو إبراز خبر من الأخبار، أو وصف حالة من الأحوال، وقد بلغ من اعتزاز العرب بالشعر لهذا الأمر، أن علقوا بعض القصائد فى جوف الكعبة إبرازًا لقيمتها الأدبية، وإعظامًا لما تحمله من أخبار يريدون نقلها إلى الأجيال القادمة.

ولقد كانت هناك أسواق عند العرب يجتمع فيها أهل الحلّ والعقد وأصحاب الرأى يستمعون للشعراء، وكل منهم يتبارى فى إبراز فضائل قومه، والانتقاص من القبيلة المعادية لقبيلته، لأنهم كانوا يعدِّدُون الخصال الحميدة أو الذميمة، وكان الناس يتناقلون الشعر ويردِّدُونه فى محافلهم فتتطاير الأخبار وينتشر الأمر الذى أراده الشاعر.

ثم تنزلت الرسالة الإسلامية على سيدنا محمد ﷺ وكُلف أن يخاطب الناس أجمعين... ولما كان أمره غريبًا فى وسط الجزيرة فقد طلب اللّه منه أن ينذر عشيرته الأقربين، لأنه بإنذاره لهم سيسيرون بالأمر وينشرون خبره، وفى ذلك إعلام للناس من حوله بأمور دعوته. يقول الله تعالى: ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ** ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

ثم توالت الآيات تبِّين أن هذا النبى العظيم ما هو إلا منذر ومذكر. ومبلغ عن اللّه عزَّ وجل. يقول اللّه تعالى: ﴿ **فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ** ﴾ [الغاشية: ٢١] ويقول: ﴿ **فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ** ﴾ [الأعلى: ٩] ويقول جلَّت قدرته: ﴿ **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الذاريات: ٥٥] وكان الرسول عليه الصلاة والسلم يجمع من آمن به فى أول الأمر فى دار الأرقم بن أبى الأرقم يعلمهم ما نزل عليه ويلقنهم مبادئ الإسلام، ويحفظهم القرآن، ثم ينطلقون يوجهون الدعوة من خلالهم إلى غيرهم، فكأن دار الأرقم كانت مؤسسة إعلامية يجتمع فيها طلاب الخير، وعشاق الفضيلة، يعرفون حقيقة الأمر، ويستوضحون الأخبار، ثم ينطلقون يبلغون قومهم وذويهم ومعارفهم، وهكذا وجد الإسلام سبيله إلى الانتشار.

ثم هاجر النبى ﷺ من مكة إلى المدينة التى أحس فيها بالأمن والاستقرار، فأنشأ مسجده الذى صار مكانًا لجذب الجماهير المتطلعة إلى وضوح الرؤية ومعرفة الحقيقة، فاتخذ الرسول ﷺ منبره وصعد عليه ليسمع الناس الذين تكاثروا من حوله.

ومن على المنبر كانت توجيهاته الواضحة للمهاجرين والأنصار. يخاطبهم الرسول ﷺ فيدعوهم إلى إفشاء الإسلام، وإلى التصافح والتهادى، وصلة الأرحام، مع العناية والرعاية بأمر الوالدين والرحمة بهما، كما يوجههم إلى مدِّ يد البر والرحمة لليتيم ويؤكد على شحن القلوب بالرحمة؛ لأن التراحم هُوَ أول ما يطَّالعنا به القرآن الكريم وصفًا لربنا

الرحمن الرحيم، ويحث الذين التفوا من حوله أن يعملوا على حفظ الإنسان وتنمية قدراته، وتفجير طاقاته مع توفير البيئة الأسرية الصالحة له حتى قبل أن يولد عن طريق اختيار الأب والأم كل منهما للآخر، وأن ترعى الطفل فى جسده وعقله، والعمل على سلامته، وتعليمه وإعداده للحياة ليكون عنصرًا مؤثرًا فى مجتمعه، وكان يؤكد على أن التفاضل فى الحياة بين الناس بالتقوى والعمل الصالح، وكان يقدم الإنسان المبدع ليصقل مواهبه وحتى يكون مركز إعلام قوى لنشر ما تلقاه.

وكان صلوات الله عليه وسلامه وهو من فوق المنبر يتعرف على وجوه الجالسين ويتطلع إلى وجوههم وما يعلوها أثناء إلقائه الحديث من انطباعات وبفراسته ﷺ يكتشف صاحب الاستقبال السريع والتأثر الجيد بالعظة التى تلقى، فكان يعمل على أن يقدم النماذج الطيبة الصالحة التى تتسم بالمهارة والفراسة لتؤدى دورًا إيجابيًا فى المجتمع.

وهو ﷺ من خلال لقاءاته مع أصحابه فى مكة قبل الهجرة، اكتشف ما يتمتع به- مصعب بن عمير- من نباهة فى الفكر، وصواب فى الرأى وكياسة فى الحديث، ولباقة فى الردّ، فاتخذه سفيرًا أول للإسلام خارج حدود مكة.. ولقد أظهر براعة فى الفطانة والنباهة والسياسة مما كان له أكبر الأثر فى نشر الإسلام فى «يثرب» بسهولة ويسر، ففتحت أبوابها لهجرة المسلمين المضطهدين فى مكة ثم هاجر النبى ﷺ إليها، وفى المدينة اكتشفت مواهب كثيرة ودفع بهم رسول اللّه إلى المجتمع ليقدموا الخدمات وينشروا ما لديهم من علوم ومعارف.

وكان الفضل فى اكتشاف هذه المواهب.. فراسة رسول اللّه ﷺ أولا، وجَمْع المسلمين واجتماعهم بين يديه فى المسجد ثانيًا؛ إذ كان المنبر من أعظم الوسائل لاكتشاف المواهب وصقلها والدفع بها إلى معترك الحياة.

١ - فمثلاً: نجد رسول اللّه ﷺ يشجع «ثابت بن قيس» على الخطابة، وكان خطيب الأنصار المفوه الذى يهز القلوب، ويحرك الأحاسيس، وكذا كانت أسماء الأنصارية خطيبة النساء فشجعها وحسَّنَ رأيها.

٢ - خالد بن الوليد الذى أرهق المسلمين فى غزوة أحد.. قدَّر الرسول ﷺ مواهبه الحربية عندما أسلم، وأسند إليه المهام الكبيرة وسماه «سيف اللّه المسلول» إبرازًا لتلك المواهب.

٣ – قال ﷺ لصحابته : استقرئوا القرآن من أربعة : عبد اللّه بن مسعود ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وأُبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل . ذلك لأنه وجد فيهم تفوُّقًا فى الحفظ وسلامة فى النطق ، وحسنًا فى الأداء .

٤ – أبىٌّ بن كعب : ظهرت مواهبة فى تعلم اللغات ، فكلفه الرسول ﷺ ، بتعلم اللغة العبرية فضلاً عما كان يجيده من لغات أخرى ، وضمَّهُ إلى كُتَّاب الوحى ، وائتمنه على قراءة الرسائل التى ترد من الجهات غير الناطقة بالعربية ، وإعداد الردّ عليها .

٥ – وهناك «أم عطية» تلك الصحابية التى ظهر تفوقها فى تمريض الجرحى ، ورعاية شئونهم فوفَّرَ الرسول ﷺ لها هذه الفرصة التى تجيد العمل فيها ، فضلاً عما يعود عليها منها من رضا اللّه ورسوله والمؤمنين المجروحين .

إن المنبر مركز إعلامى يغير اتجاه الرأى العام إلى الأفضل . اتخذ منه الرسول ﷺ وسيلة إلى توحيد الصف الإسلامى ، وتأكيد معانى الإخاء فيما بين المهاجرين والأنصار ، والعمل على إعادة تنظيم الحياة فى المجتمع الجديد الذى بدأ يتشكل ، ولابُدَّ أن تكون هناك حماية أمينة داخل المدينة وخارجها . ثم تنظيم العلاقة السياسية على مستوى الجزيرة العربية . . لذلك أحسَّ القوم بأن روحًا جديدة تسرى فى أجسادهم ، وكانت السعادة غامرة لهم ، فكل واحد منهم اتخذ من نفسه وسيلة إعلام يذيع ما سمعه ووعاه خاصة بعد أن سمع قول الرسول ﷺ : « نضَّرَ اللّه وجه امرئ سمع مقالتى فحفظها ووعاها وأدَّاها كما سمعها فرُبَّ مبلغ أوعى من سامع» .

ولَمَّا استتب الإسلام واستقر ، كاتَبَ الرسول ﷺ الملوك وراسلهم : شرح لهم الإسلام وبين لهم ما فيه من سماحة ويسر وأنه دين يتفق مع الفطرة ويدعو إلى الحوار واليقظة الدائمة والعقل الواعى ، لأن العقل كالسراج والشرع كالزيت الذى يمدُّهُ ، وأن الإسلام دعوة إلى التسامح والتلاقى فى الحبّ والإخاء : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

وإذا كان الرسول ﷺ قد بعث برسائله إلى الملوك والحكام يدعوهم إلى الإسلام لأنه دين عالمى وهو ختام وحى السماء ، فمن الملوك من ردَّ ردًا جميلا ، ومنهم من غلب عليه الغرور والكبر فردَّ ردًا غير كريم .

لقد عبر الإسلام حدود العروبة إلى أرض حضارات قديمة ، وأصبح العرب بعضَ الإسلام كما قد كان الإسلام بعض العرب ، وانتشرت العربية مع الإسلام لأن كتابه نزل

بلسان عربيٍّ مبين، وعلى رسول عربيٍّ في أم القرى العربية، ولذا فإن العرب هم أول من حمل أمانة الإسلام إيمانًا ونشرًا وجهادًا . . وبالفهم السمح لاختلاف الألسنة واللهجات والألوان والبيئات، والعادات، والتقاليد، والقدرات، وامتداد المكان وتعاقب الزمان ومتغيِّرات الحياة، خرج الإسلام من الجزيرة العربية إلى العالم، وتتابعت رحلته شرقا وغربًا وشمالاً وجنوبًا، ويأبى اللّه إلا أن يتم نوره .

ولقد لقى الإسلام فى مساره صنوفًا من التحديات وتجلت حيوية معتنقيه فى قدرتهم على مقابلة هذه التحديات وجعلت من عقباتها معابر إلى آفاق أوسع، وتحملوا ما نالهم من الأذى البدنى والاجتماعى والاقتصادى ما أصابهم؛ لكنهم بصبرهم وثقتهم فى وعد اللّه القائل : ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ [غافر : ٥١] كوَّنوا قاعدة بشرية حملت أمانة التبليغ وسارت فى الآفاق تدعو إلى الإسلام، وأدب الحوار فى أذهانهم، والصبر فى قلوبهم، والثبات على ملامحهم، وكانوا لا يهابون من البشر؛ لأنهم يؤمنون بكرامة الإنسان، ويحافظون على حقوقه وواجباته، وكان الواحد منهم يقول : «إن احترامى للآخرين ينبع من احترامى لنفسى . لأن الناس إمَّا اخٌ لى أو نظير لى فى الخلق» وقد نشأ احترام ذات الآخرين عندهم نتيجة لثمرة التربية الإيمانية، وممارسة تطبيق تلك التربية فى البيت والشارع وأى مكان . من أجل ذلك : انتشر الإسلام لأن وسائل الإعلام فيه نظيفة، وموصلة جيدة، وكان فى إقبال الشعوب التى أسلمت على تعلم اللغة العربية وحبهم لهذا اللسان، ما دعاهم إلى المساهمة الإيجابية فى صنع الحضارة الإسلامية .

والذين شاركوا فى نجاح خط الإعلام الإسلامى وتحمَّلوا مسئوليتهم أمام الله والتاريخ، وقاموا بتنسيق جهودهم حيث بذلوها بصدق من أجل صناعة مستقبل أفضل للإسلام، لهم أجر كريم، وإذا كنا نتحدث عن الإعلام فى الصدر الأول للإسلام فإننا لا ننسى الهجرة الأولى إلى الحبشة، فإن الرسول ﷺ قال لأصحابه : «لو خرجتم إلى الحبشة فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صدق حتى يجعل اللّه لكم فرجًا ومخرجًا» . . . ومع أنها كانت محدودة الهدف والمدة إلا أنها تركت أثرًا فى المكان الذى حلَّ فيه الصحابة فى الحبشة، ولهذا نقول بثقة واطمئنان بأن المنبر له رسالة إعلامية خطيرة تتضاءل أمامه كافة الأجهزة الإعلامية للأسباب الآتية :

١ - لأن المنبر له رسالة مستمدة من رسالة المسجد الذى يَقَعُ فيه المنبر ونابعة منه، إذ أن المسجد هو المكان المقدس الطاهر المبارك الذى تغشاه الرحمة وتتنزل فيه الملائكة ويشهده الصالحون .

٢ - الذين يدخلون إلى المسجد ليستمعوا إلى ما يقال من فوق المنبر، دخلوا بقلوب نظيفة وأجسادطاهرة وزينة كاملة، وجلسوا فى أماكن طاهرة فى جوٍّ مشحون بالصفاء والنقاء.

٣ - إن ما يقال من فوق المنبر هو إمَّا توجيه إلى خلق فاضل أو تصحيح لقيم غيَّرَ البعض أهدافها، ويستند الخطيب فى علاج أى مشكلة إلى قول اللّه وقول رسوله، أو إلى بعض آراء الصحابة والعلماء والفقهاء، ومع أصالة الماضى فإن الخطيب ينقله برفق ليعالج مشكلة اجتماعية أو يصحح أفكارًا خاطئة مستدلا على ذلك بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة التى مارسها الرسول ﷺ أو قالها أو أمر الصحابة على فعلها.

٤ - الذين يحضرون إلى المسجد عندهم شفافية روح وطهارة حس واستعداد لتقبل ما يقال والإنصات التام لسماع العظة.

٥ - منهج الإسلام للنبى ﷺ أن يبلغ ما أُنزلَ عليه من ربّه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾ [المائدة: ٦٧] والمنهج المتكامل للإسلام هو أنه يُعْنَى بتربية الشخص بناء متكاملاً من الناحيتين: الأخلاقية والسلوكية، ليكون هناك إعداد للفرد المسلم ليعيش حياة صالحة سعيدة فى الدنيا يعمل فيها لنفسه وللمسلمين من حوله، كأنه يعيش فى الدنيا أبدًا، ويعمل فى نفس الوقت للحياة الآخرة كأنه يموت غدًا.. فالمنبر إذن يوجه الإنسان ليصنع لنفسه حياة فاضلة على هذه الأرض. وبنفس الشعور يؤمن بأن عمله ما هو إلا مقدمة حتمية للحياة الآخرة. ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا** ﴾ [آل عمران: ٣٠].

٦ - إن الخطيب على المنبر يتكلم بلغة العصر لأنه يشعر أن المسجد للجميع، فأمامه عالم الذرة وطبيب العيون والتاجر والصانع، والزارع، والمهندس، والمحاسب، والأمّىُّ الذى لا يعرف هذا من ذاك، فهو يدعو للعمل من أجل الدنيا بمثل ما يدعو للعمل من أجل الآخرة. يحث كل شخص على أن يتقن عمله وأن يجوّدَ صنعته، وأن يكون أمينا صادقًا علاقته بالناس جميعًا طيبة، سلوكه مُرْضىّ فى أى مكان يتواجد فيه الإنسان، وصدق الله العظيم ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** ﴾ [إبراهيم: ٤] وفى الأثر: «أمرتُ أن أُخاطب الناس على قدر عقولهم».

إن الخطيب عليه أن يستشعر أن رسالته خطيرة جدًا لأنه يؤصِّل قيمًا، ويعالج أمورًا ويغير اتجاه الرأى العام، لذلك: عليه أن يرعى الله أولاً فى أداء رسالته، وأن يكون دقيقًا أمينًا، فطنًا، لبقًا، حسن التصرف، بعيدًا عن التكلف، مقدِّرًا هذه المكانة الجليلة التى يرتقيها والدرجة العالية التى يقف فيها.

١ - لذلك عليه أن يكون متواضعا، هاشًا باشًا، حسن الهيئة نظيف الهندام، رائحته طيبة، لأنه مع استعماله للسواك فإنه يمسُّ الطيب، مع تبديل ملابسه بين الحين والحين.

٢ - يلبس أفضل وأجمل ما عنده فى يوم الجمعة، وأن يذهب مبكرًا إلى المسجد، وأن يجلس بوقار وأدب واحترام.

٣ - إذا حان وقت الخطبة صعد على المنبر برجله اليمنى وهو يسبح الله ويسأله التوفيق بصوت غير مسموع. وأن يرفع رجله اليمنى عند كل درجة يصعدها على المنبر وهو يردِّدُ: ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾[طه: ٢٥-٢٨].

٤ - إذا انتهى إلى نهاية المنبر التفت بوجهه كله إلى الجمهور وألقى عليهم السلام، ثم يجلس فى أدب وخشوع وحياء وتواضع ولا يكثر من الحركة حتى يفرغ المؤذن من الأذان، ثم يقف ليلقى خطبته التى تكون فى موضوع واحد، يعالج فيها مشكلة من المشاكل الاجتماعية، ويصف العلاج من هدى الإسلام وتوجيهاته، ولا يطيل لأن كثرة الكلام ينسى بعضه بعضًا.

وفى الخطبة الثانية يصحح المفاهيم الفقهية، ويوضح للناس أمرًا من أمور الدين بحيث لا تزيد الخطبتان عن عشرين دقيقة، لأن من فقه الرجل قصر الخطبة وإطالة الصلاة، ونحن نعلم أن بعض الأمراض التى أصابت بعض المسلمين تجعلهم يحتاجون إلى تجديد الوضوء، ونحن أمرنا أن نخفف على الناس ولا نشُقَّ عليهم.

٥ - عند الانتهاء من الخطبة والنزول من على المنبر ينزل بالرجل اليسرى أولاً ويقف بها على الدرجة حتى يحرك اليمنى. وهكذا حتى ينتهى بالنزول برجله اليسرى وهو يحمد الله الذى وفقه وأعانه.

٦ - والخطيب وهو صاعد على المنبر عليه أن يتذكر أن هذا مرتقى الصالحين ومكان الطيبين، كم صعد عليه من العلماء الذين أخلصوا لله! فليحاول أن يسير على نهجهم، ويكون قدوة صالحة ونموذجًا طيبًا. يجعل الله أمام عينيه، ويتمثل رقابته عليه.

واعلم، أيها الخطيب، أن الخطبة تقوم مقام الركعتين، فأتقن أداءك وصحِّحْ عباراتك ولا تنفِّر الناس منك. فإن الله لعن الرجل الذى يؤم قومًا وهم له كارهون، وضَعْ فى اعتبارك أنك تعرض فكرك على الجماهير فنوِّع موضوعاتك لتعالج المشاكل برفق ولين وتوجيه بالحسنى، وتنبيه الغافلين، وذكِّر الناس بأيام الله ونعمه، واجعل قراءتك فى الصلاة مًا يؤكد المعنى الذى وجهت إليه فى خطبتك، وكن عفَّ اللسان سليم الصدر بسامًا فى وجوه الناس.

إن الكلمة التى تقولها من فوق المنبر لها خطورتها لأن الناس يسمعون منك ولا يناقشون، فتخيَّر الكلمات ووضع العبارات، وسُق الأدلة بين يديك، ولا تورط نفسك فى ذكر شىء يجرح شعور الآخرين فإن الله عندما أرسل موسى وهارون إلى فرعون قال لهما: ﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[طه: ٤٤]. ورسولنا ﷺ كان يقول من فوق المنبر: «ما بال أقوام يقولون كذا؟! وما بال أقوام يفعلون كذا؟!». ولم يعرِّض بأشخاص ولم يصرح بأسمائهم.

خير يوم طلعت فيه الشمس، وسمِّى بذلك لأن فيه يجتمع الناس على الخير والبر. وهو أفضل أيام الأسبوع لحديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم وفيه أهبط، وفيه تيب عليه وفيه مات، وفيه تقوم الساعة وما من دابة إلا وهى مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقًا من الساعة إلا الجن والإنس، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إيَّاه» أخرجه الأئمة الثلاثة. وقد فرضت الجمعة فى شهر ربيع الأول من السنة الأولى من الهجرة وأول جمعة صلاها النبى ﷺ كانت فى مسجد بنى سالم بن عوف، وهناك رأى يقول بأنها فرضت فى «مكة» لكن النبى ﷺ لم يستطع أن يجمع بمكة، وأنه كتب إلى مصعب بن عمير فجمع بالمدينة قبل أن يهاجر الرسول ﷺ. وأن أول جمعة صلى باثنى عشر رجلاً.

ويوم الجمعة كان يسمى في الجاهلية بيوم العروبة، ومعناها «الرحمة»، وكانت قريش تجتمع على جدِّ النبى ﷺ «كعب بن لؤى» فيخطب فيهم ويعظهم، وقد وعى التاريخ لنا خطبته التى قال فيها: «أما بعد: فاعلموا وتعلموا، إنما الأرض لله تعالى مهاد، والجبال أوتاد، والسماد بناء، والنجوم أعلام» ثم يأمرهم بصلة الرحم ويبشرهم بالنبى ﷺ ويقول: «حرمُكُمْ يا قوم عظمُوه فسيكون له نبأ عظيم ويخرج منه نبى كريم» ثم يقول فى شعره:

على غفلة يأتى النبى محمد ... فيخبر أخبارًا صدوقًا خبيرها
صروف رأيناها تقلب أهلها ... لها عقد ما يستحيل مريرها

ثم يقول:

يا ليتنى شاهد نجواء دعوته ... إذا تبتغى الحق خذلانا[1]

وما شرعت الجمعة فى الإسلام إلا لما يترتب على الاجتماع لها من جمع الكلمة وتوحيد الصف، وبذر روح التعاون والتآلف فى قلوب المجتمعين، وقد أوجب الله على أهل المدينة والقرى المجاورة أن يجتمعوا فى كل أسبوع يومًا بعينه فى مسجد يسعهم ليجمع شملهم، وأن يخطب فيهم أفصحهم وأقواهم وصاحب الرأى فيهم، ويحثهم على فعل

(١) ذكر هذا الشعر السهيلى فى كتاب «الروض الأنف» جـ١ ص ٢٥٩.

الخير ، وينبِّه على المشكلات وحلها بروح التعاون والتضامن والتآلف ؛ لأن الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه ، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، وأن يحث كل واحد على أن يحبَّ للناس ما يحبُّ لنفسه ، كما رغبهم رسول الله ﷺ أن يجتمعوا فى كل عام مرتين فى الأعياد فى مصلى بارز ، ثم أوجب الله بعد ذلك أن يجتمعوا فى العمر مرة فى مكان مقدس وفى وقت معين حيث يتسع لهم الزمان وتتلاقى الأجناس ، ليتحقق لهم التعاون التام والمحبة الشاملة والسعادة الغامرة .

فضل قراءة القرآن ليلة الجمعة ويومها

القرآن الكريم كتاب الله ، وخير ما يتعبدُ به الإنسان ويتقرب إلى مولاه في كل لحظة من لحظات حياته ، وإذا كان من المعلوم لدى المسلم أن لله فى أيام دهره نفحات ، فعلينا أن نتعرض لهذه النفحات لتنال الخير الكثير ونفوز بسعادة الدنيا ورضوان الله يوم القيامة .

وليلة الجمعة ويومها يستحبُّ فيهما الإكثار من قراءة القرآن وقد ورد فى ذلك أحاديث عدة كلها تؤكد على ذلك وترغب فيه ، فقد أخرج النسائى والبيهقى والحاكم : «من قرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة أضاء له النور ما بين الجمعتين» . وفى حديث أخرجه الطبرانى أن النبى ﷺ قال : «من قرأ حم الدخان ، فى ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتًا فى الجنة» . وإذا كان البعض قد اعتاد أن يقرأ سورة الكهف جهرًا على المصلين يوم الجمعة فإن ذلك حدث عندما انتشرت الأمية فى المجتمع الإسلامى وحتى ينصت الناس الذين يتحدثون بكلام دنيوى يفسد عبادتهم لأن الكلام فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، فبدأ البعض بقراءة سورة الكهف جهرًا لينصت الناس ويستفيدوا .

ويندب الإكثار من الصلاة والسلام على النبىﷺ ليلة الجمعة ويومها . لحديث أخرجه أحمد والحاكم وصححه . يقول النبى ﷺ «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ؛ فيه خلق آدم وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا علىَّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علىَّ ، فقالوا : يارسول الله كيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت؟ - يعنى وقد بليت - قال : إن الله عز وجلّ حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» .

ولمنزلة هذا اليوم يستحب للمسلم أن يغتسل ويغير ملابسه ويتطيَّب ويستعمل السواك لحديث أخرجه أحمد وأبو داود أن النبى ﷺ قال : «من اغتسل يوم الجمعة واستاك ومسَّ

من طيب إن كان عنده، ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتى المسجد فلم يتخط رقاب الناس حتى ركع ما شاء أن يركع، ثم أنصت إذا خرج الإمام فلم يتكلم حتى يفرغ من صلاته، كان كفارة لما بينها وبين الجمعة التى قبلها».

ويندب الأخذ من الشعر وقصّ الأظافر يوم الجمعة لحديث أخرجه البزار والطبرانى أن النبى ﷺ كان يقلم أظفاره، ويقص شاربه يوم الجمعة قبل أن يخرج إلى الصلاة.

ويستحب للإنسان أن يحافظ على صلاة فجر هذا اليوم وأن يتأسى برسول الله ﷺ حيث كان يقرأ بسورة «السجدة» فى أول ركعة وبسورة «الإنسان» في الركعة الثانية كما روى ذلك الإمام أحمد والإمام مسلم.

ومن تقديس الإسلام لهذا اليوم وإعلان حرمته ومكانته بين المسلمين جميعًا ولكل طوائفهم. فإنه حرمَّ البيع والشراء أثناء الخطبة لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩]. وقد قال الأئمة: المراد بالبيع ما يشغل عن السعى إلى الجمعة وفى عطف ترك البيع على السعى إشارة إلى أنه لو باع أو اشترى حال السعى فهو مكروه تحريمًا مع انعقاد البيع هذا هو رأى المذهب الحنفى.

أما الشافعية فقالوا: يحرَّم الاشتغال بالبيع أو العمل فى المهنة، فإن باع فالبيع صحيح مع الحرمة.

أما المالكية فقالوا: يحرم البيع وقت الأذان ويفسخ ولو حصل فى حال السعى إليها إذا كان المتبايعان أو أحدهما ممن تلزمه الجمعة.

أما الحنابلة فقالوا: البيع وقت الأذان حرام ولا ينعقد.

كل ذلك تعظيم لحرمة اليوم وعلوِّ مكانته. ذلك لأنه يندب التبكير لصلاة الجمعة لحديث أخرجه أحمد: «إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المساجد فيكتبون الناس: من جاء منهم على منازلهم، فرجل قدم جزورًا، ورجل قدم بقرة، ورجل قدم شاة، ورجل قدم دجاجة، ورجل قدَّم عصفورًا، ورجل قدم بيضة، فإذا أذن المؤذن وجلس الإمام على المنبر طويت الصحف ودخلوا المسجد يستمعون الذكر».

وفى حديث رواه البخارى أن النبى ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة، غسل الجنابة ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرَّب بدنة، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرَّب كبشًا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرَّب

دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرَّب بيضة، فإذا خرج الإمام أقبلت الملائكة يستمعون الذكر».

ولما كان التبكير مستحبًا لصلاة الجمعة من أول النهار حتى يجلس فى الصفوف الأولى ولا يتخطى الرقاب ولا يؤذى أحدًا فإن النبى ﷺ دعا إلى ذلك دعوة صريحة حيث قال لرجل كان يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة أثناء الخطبة: «اجلس فقد آذيت وآنيت». أخرجه أحمد وأبو داود.

ولأن تخطى الرقاب فى يوم الجمعة ظاهرة التقييد والامتناع عن فعله فقد عدَّه الشافعى فى المحرمات، وعدَّه ابن القيم من الكبائر، والمالكية قالوا بالحرمة، كما أنه جاء النهى عن الاحتباء (هو جلوس الرجل على إليتيه رافعًا ساقيه ضامًا وركَبْه إلى بطنه بثوبه أو يديه)؛ لأن ذلك يجلب النوم ويعرض الطهارة للنقض، وقد ألحق جماعة من العلماء الكراهة إلى الاستناد للحائط. فقد أخرج أحمد عن معاذ بن أنس رضى الله عنهم: «نهى النبى ﷺ عن الحبوة يوم الجمعة والإمام يخطب».

ومن دخل المسجد عليه أن يتنفَّل فيصلى تحية المسجد ما لم يصعد الإمام على المنبر، فإن جلس فلا صلاة لقول نافع رضى الله عنه كان ابن عمر رضى الله عنه يغدو إلى المسجد يوم الجمعة فيصلى ركعات يطيل فيهن القيام فإذا انصرف الإمام رجع إلى بيته فصلى ركعتين وقال: هكذا كان يفعل رسول الله ﷺ.

الإنصات: إن الغرض من الخطبة الوعظ والتذكير، ولن يعَى الإنسان كلام غيره إلا إذا أنصت واستوعب. ومن هنا قال الإمام أبو حنيفة: «يحرم الكلام ويجب الإنصات إذا خرج الإمام إلى الخطبة إلى أن يفرغ». والمراد بخروجه خروجه من الحجرة إلى المنبر.

فقد روى الترمذى قول النبى ﷺ «إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت». وأخرج أبو داود: «من اغتسل ثيابه ثم لم يتخط رقاب الناس، ولم يَلْغ عند الموعظة كانت كفارة لما بينهما ومن لغا وتخطى رقاب الناس كانت له ظهرًا».

الأذان الثانى: إذا دخل وقت الجمعة وصعد الخطيب على المنبر وجلس عليه. أذن المؤذن خارج المسجد أو على سطحه وهذا ما كان يقوم به بلال رضى الله عنه يؤذن إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة على المنبر واستمر العمل على ذلك إلى أن كثر الناس واتسعت المدينة، وتفرق الناس هنا وهناك، وعلا فى المدينة أصوات الباعة وطلاب

الأشياء، فلما كان عهد عثمان رضى الله عنه، أمر بأذانين الأذان الأول لإعلام الناس بدخول الوقت وكان يؤذن به من فوق دار مرتفعة فى السوق يقال لها «الزوراء» ليعلم الناس أن الجمعة قد حضرت، ثم يؤذن بالأذان الثانى بين يدى الخطيب. أخرج ذلك البخارى والبيهقى والأربعة وأخرجه الشافعى: ونص عبارته: «أمر عثمان بأذان ثان فأذن به فثبت الأمر على ذلك» لأن أحدا من الصحابة لم ينكر عليه ذلك.

العدد الذى تنعقد به الجمعة

الجمعة يشترط لصحتها أن تُصلَّى في جماعة، وأن تسبق الصلاة خطبتان، وقد اشترط الفقهاء لصحة الجمعة عدد تنعقد به، فأبو حنيفة يرى أن أقل العدد ثلاثة أشخاص غير الإمام، ويرى المالكية أن أقل العدد اثنا عشر رجلاً سوى الإمام. وقالت الشافعية والحنابلة أقل عدد تنعقد به الجمعة أربعون رجلاً بخلاف الإمام. ويرى ابن حزم وداود والنخعى أن الجمعة تنعقد بواحد مع الإمام. وثمرة الخلاف فى العدد أنه إذا انصرف الناس عن المسجد أو وقعت الجمعة فى مكان صحراوى فتنعقد على أى مذهب لأن الدين بنى على التيسر حسبما أرشدنا إلى ذلك ربنا العظيم: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨].
وقد جاءت دعوة الإسلام مؤكدة على عدم التخلف عن الجمعة لما فى حضورها من الخير العميم والفضل الكبير الذى يعود على الأفراد والجماعات وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ فى خطبته التي رواها أبو سعيد الخدرى وأخرجها الطبرانى فى الأوسط قال: «إنّ الله تعالى قد كتب عليكم الجمعة فى مقامى هذا فى ساعتى هذه فى شهرى هذا فى عامى هذا إلى يوم القيامة، من تركها من غير عذر مع إمام عادل أو جائر - فلا جمع الله له شمله، ولا بورك له فى أمره - ألا ولا صلاة له، ألا ولا حج له، ألا ولا برَّ له، ألا ولا صدقة له».

صلاة الجمعة

هى ركعتان بالإجماع وهى صلاة مستقلة ليست ظهراً مقصوراً كما أنها فريضة محكمة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، يكفر جاحدها لقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾[الجمعة: ٩].
والظاهر بالسعى إلى ذكر الله سماع الخطبة. وعلى كل فهذا يفيد افتراض الجمعة؛ لأن الله نهى عن شيء مباح وهو البيع والشراء حتى لا ينشغل الناس عن شيء مفروض. أمَّا الذين يتركون الجمعة ويتخلَّفون عنها فى بيع أو شراء أو لهو وتكاسل فتسمعهم ما قاله

رسول الله ﷺ فيما رواه الإمام مسلم أن النبى ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجمعة : «لقد هممت أن آمر رجلاً يصلى بالناس ثم أحرّق على رجال يتخلفون عن الجمعة فى بيوتهم» . وقال صلوات الله عليه وهو على المنبر : «لَيَنْتَهِيَنَّ أقوام عن وَدْعِهم الجمعات أو ليختمنّ الله عزَّ وجل على قلوبهم ، وليكتبن من الغافلين» .

خطبة الجمعة

هى شرط لصحة صلاة الجمعة عند الأئمة الأربعة والجمهور كما أنه لم يرد عن النبى ﷺ أو أحد من الخلفاء الراشدين ومن بعدهم أنه صلى بدون خطبة ، وقد قال النبى ﷺ : «صلّوا كما رأيتمونى أصلى» .

ووجوب الخطبتين ظاهر من المواظبة عليهما ؛ لأن صلاة الجمعة وجبت بهذه الصفة التى واظب عليها رسول الله ﷺ . وثبتت بالتواتر ، وهذه المواظبة المستمرة لا يصح حملها إلا على أنها بيان لهذا الواجب والجلوس بين الخطبتين شرط عند الشافعية . وقال الجمهور الجلوس بين الخطبتين سنة ، وقد أخرج الإمام أحمد عن ابن عباس بسند رجاله ثقات : « كان النبى ﷺ يخطب يوم الجمعة قائمًا ثم يقعد ثم يقوم فيخطب» . وفى رواية أبى هريرة رضى الله عنه «أن النبى ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يخطبون يوم الجمعة خطبتين قيامًا يفصلون بينهما بجلوس» .

ويشترط فى الخطيب أن يكون عالمًا بالعقائد الصحيحة حتى لا يضل الناس . وأن يكون عالمًا بما تصح به الصلاة ملمًا بأحكام الفقه حتى لا يخبط خبط عشواء فى أمور الدين . وأن يكون ملمًا باللغة العربية حتى يكون لكلامه فى النفوس تأثير لأن اللحن الكثير يضير المعنى ويفسد الذوق من نشاز تركيب الجمل وأن يكون صالحًا وَرِعًا ، ولا يطيل على الناس حتى يملوا . فقد قال أبو راشد : «خطبنا عمّارُ بن ياسر فتجوَّز فى خطبته فقال له رجل من قريش : لقد قلت قولاً شفاء ، فلو أنك أطلت؟ فقال : إن رسول الله ﷺ نهى أن نطيل الخطبة» . وفى حديث أخرجه أبو داود والحاكم بسند رجاله ثقات : «كان رسول الله ﷺ لا يطيل الموعظة يوم الجمعة . وإنما هى كلمات يسيرات» .

ومن الأمور المتفق عليها أنه يستحب أن يكون الخطيب فصيحًا ، والخطبة بلغة مرتبة بليغة متينة من غير تمطيط ولا تقصير ولا تكون ألفاظها مبتذلة ، ملفقةً ، فإنها لا تقع فى النفوس موقعًا كاملاً ، ولا يحصل المقصود منها . ويكره للخطيب أن يغمض عينيه أثناء

الخطبة. حتى يستطيع أن يتفرس فى وجوه الناس ليتعرف على وقع كلامه فيهم، ولا يجوز له دق المنبر بيده أو برجله أو بعصا فى يده، ولا يرفع يديه حال الدعاء. كما يكره تباطؤ الخطيب حال صعوده على المنبر. ولا يجوز للمصلين أن يتكلموا حسبما أسلفنا. ولقول أبى حنيفة: يحرم الكلام ويجب الإنصات إذا خرج الإمام إلى الجمعة. ولحديث رواه أحمد والنسائى بسند لا بأس به أن النبى ﷺ قال: «من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفارًا. والذى يقول له أنصت فليس له جمعة».

ترك الجمعة

من وجبت عليه صلاة الجمعة وتركها لغير عذر فهو آثم إثمًا كبيرًا لحديث أخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم. قال رسول الله ﷺ: «من ترك ثلاث جمع تهاونًا من غير عذر طبع الله على قلبه». واعتبارُ الثلاث إمهالٌ من الله تعالى للعبد ورحمة به لعله يتوب من ذنبه. ويثوب إلى رشده. ويؤدى الجمعة مع الجماعة.

أما من تخلف عن الجمعة لعذر من الأعذار المبيحة والله أعلم بمراده فإن الله سبحانه وتعالى رحيم بعباده ولا يكلف نفسًا إلاّ وسعها.

أما إذا تخلف عن استماع الخطبة فى صلاة الجمعة فإنه يصلى مع الإمام ركعتين والله سبحانه وتعالى أعلم بحاله يعطيه الثواب على قدر نيّته، فإن تخلف عن ركعة وفاتته فإنه ينوى الجمعة ويصليها جمعة ويتم الركعة الثانية.

أما إن أدرك الإمام فى التشهد فإنه يصلى أربعًا لحديث أخرجه البيهقى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «من أدرك فى الجمعة ركعة فليصل إليها أخرى فإن أدركهم جلوسًا صلى أربعًا».

وهذا المعنى أن من أدرك ركعة يكون قد أدركها فى وقتها. وأدرك فضل الجماعة فيها، هذا وقد روى عن رسول الله ﷺ فيما أخرجه السبعة: «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تَسْعَوْن وأتوها تمشُون وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا».

وحتى لا يكون هناك لبس بين السعى هنا والسعى فى آية الجمعة، أن السعى فى الآية لترك البيع والشراء والمبادرة فى الذهاب إلى المسجد، أما السعى فى الحديث فالمقصود منه الهدوء والاطمئنان النفسى أثناء التوجه إلى الصلاة.

أركان الخطبة

١ - افتتاحها بحمد الله عند الشافعية .
٢ - الصلاة على رسول الله ﷺ .
٣ - الوصية بتقوى الله تعالى .
٤ - قراءة آية من القرآن الكريم .
٥ - عند الشافعية الدعاء للمؤمنين والمؤمنات .

إلا المالكية والحنفية فقد قالوا بأن الخطبة لها ركن واحد هو : أن تكون مشتملة على تحذير أو تبشير عند المالكية . أو مطلق الذكر الشامل للقليل والكثير ، وهذا عند الحنفية .

شروط خطبتى الجمعة

يشترط لخطبتى الجمعة أمور :

١ - أن تؤدى الخطبتان قبل الصلاة .
٢ - الجهر بهما بحيث يسمع الحاضرون .
٣ - أن تكونا باللغة العربية ويجوز أداؤها بأي لغة يفهمها الحاضرون وعليه أن ينطق الآية باللغة العربية .
ولكن المالكية قالوا : إذا لم يوجد من يحسن الخطبة باللغة العربية سقطت الجمعة عنهم .
٤ - النيّة : لقول رسول الله ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات» .
٥ - أن لا يفصل الخطيب بين الخطبتين بفاصل طويل ، فيجلس بينهما جلسة خفيفة باتفاق العلماء ، وهذا هو فعل النبى ﷺ . كما لا يفصل بين الخطبتين والصلاة .

سنن الخطبة

١ - ترتيب الأركان ، ويجوز أن تشتمل الخطبتان على جميع الأركان مع الترتيب .
٢ - الدعاء لأئمة المسلمين وولاة الأمور ، وهذا دأب العلماء المخلصين .
٣ - أن تكون الخطبة على مكان مرتفع وأن يكون على يمين المحراب .
٤ - أن يسلم الخطيب على المأمومين .
٥ - أن يجلس قبل الخطبة الأولى حتى يفرغ المؤذن .

٦ – أن يخطب قائمًا، فإذا تعذر عليه الوقوف لمرض ولم يكن في القوم من يحسن الخطبة غيره جاز له أن يؤديها قاعدًا.

٧ – أن يستقبل الناس بوجهه.

٨ – أن يؤذن بين يديه، وأما الأذان الذى قبل صعود الخطيب على المنبر فقد زاده «عثمان بن عفان» عندما كثر الناس، لما روى عن السائب بن يزيد قال: كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على عهد النبى ﷺ وأبى بكر وعمر، فلما كان زمان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثانى على الزوراء (وهو بيت مرتفع بالقرب من السوق). ومما لا ريب فيه أن زيادة هذا الأذان مشروعة لأن الغرض منه الإعلام بدخول الوقت، وقد تفرق الناس هنا وهناك فكان إعلامهم بالوقت مطلوبًا، وسيدنا عثمان من كبار الصحابة المجتهدين الأمين على دينه، ومن الذين عرفوا قواعد الإسلام وأصوله.

مكروهات الخطبة

يكره ترك سنة من السنن التى بيناها، وكذلك ما يقوله المؤذن بين يدى الخطيب. وإذا قلت لصاحبك والإمام يخطب يوم الجمعة «أنصت» فقد لغوت، ومن لغا فلا جمعة له. وأنصتوا تؤجروا، لأن كل ذلك لم يحدث على عهد رسول الله ﷺ.

وبعد،

فإذا كانت أجهزة الإعلام فى عصرنا قد تعدّدت وتنوّعت، وصار لها جمهور يعشقها ويألفها، وتُبذل فى سبيل تطويرها جهود فنية وترصد لها ميزانيات مالية ضخمة لتضمن لها الاستمرار مع دقة التخطيط حتى تجذب الأنظار وتواكب التطورات العالمية الحديثة.

ومع ذلك فإننا نجد المسجد يحتلُّ مكانته الأسمى فى نفوس المسلمين، ومنبره يمثل أقوى صوت تتضاءل بجانبه أصوات تلك الأجهزة بإمكانياتها. لأنه شتان بين رسالة المنبر التى هى من هدى الله وتوجيهات أنبيائه وبين تلك الأجهزة التى هى من صنع البشر.

ومما لا يختلف فيه اثنان: أن المسجد كان ولا يزال جامعة إسلامية كبرى، تؤدى رسالتها على مرِّ العصور خرجت وقدمت للمجتمع الإنسانى عناصر صالحة أدت واجبها بدقة وأمانة، رغبة فى خدمة الإنسانية وطمعًا فى رحمة الله، وأملاً فى مثوبته.

ولنعد بالحديث إلى ما قبل البعثة النبوية لنرى بيت الله الحرام أول بيت وضع للناس أقام

بناءَهُ الخليلُ إبراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام . فمع أن الظلام الدامس أحاط به ، والفساد انتشر من حوله . لكن هذا البناء الشامخ أدى دوره التاريخى فى تلك الحقبة الزمنية لأنه أيقظ فى بعض الناس الشعور الإيمانى وبعث الفطرة الكامنة فى أعماقهم ، رغم أن العهد طال على آخر نبيٍّ بُعث ، ونسى الكثير منهم ما بنى المسجد من أجله لذلك رأينا بعض الذين عايشوا المسجد الحرام فى مكة ، وعاينوا فاعلية قومهم من عبادة الأصنام حتى اسودّت الفكر ، وَالتَاثَت العقول فلم ترَ الخالق من خلال مخلوقاته ، ولم تبصر النور مما غشيها من فساد وظلام .

هؤلاء رفضوا ما كان فيه القوم حين أبصروا أنوار الحق تسطع من البيت الحرام . لذلك سمُّوا فى التاريخ بالحنفاء ، لأنهم تربّوا فى ربوع مكة ، وشبُّوا بين أحضان المسجد الحرام ، فكان من أقوى الأسباب فى توجيههم ، لأنه ليس بناء شامخًا كغيره من البنايات الخالية من معانى الإجلال والتقديس ، وإنما المسجد هو سفينة نجاة «لهذا العالم المضطرب الذى يموج بالانفعالات النفسية متخبطًا فى بيداء الحياة» . لكن الذى يستمع إلى صوت المنبر فى المسجد ويتجاوب مع دعوة الإصلاح والفلاح فإن نفسه تزكو ، وصلته بربه تقوى ، فيشتهر بين الناس بالسلوك الحسن ، وسيما الوقار يتلألأ على جبينه ، ونور الإيمان فى وجهه .

إن المسجد يواكب الحياة ويتفاعل معها ، ويؤدى جميع الخدمات التى تحتاجها المنطقة التى يقع فيها .

وبعد أن قدمنا لك ما قدمناه سنقدم لك لونًا مما يقال من فوق المنبر لنربط الكلام بالعلم والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

وهذه نماذج فقط ، لكن الدعوة من فوق المنبر عندما تستمع إليها وتستمع إلى المتحدث وهو يدعو إلى طهارة القلب والإخلاص لله ، وحسن الصلة بالناس وإتقان الصنعة ، وتحقيق العدالة ، واستعمال الأساليب الدينية لتبصير الناس بالرعاية الاجتماعية ، ودفع عجلة التقدم فى المجتمع ليزدهر ويرقى بيد أبنائه : يخيل إليك أن المتحدث حاكم وإذا استمعت إليه وهو يتحدث عن الوطن والدفاع عنه وحمايته من الأعداء ، وحث الناس على التدريب العسكرى المتميز للدفاع عن الوطن والذود عن حرماته ، ويذكر الناس بقول الله : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[الأنفال : ٦٠] . ويقول الرسول ﷺ : «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف» ، يخيل إليك أنك تستمع إلى مسئول كبير بوزارة الدفاع .

وإذا استمعت إليه وهو يتحدث عن اليقظة التامة لحراسة المنشآت الداخلية والحفاظ على المال العام، وعدم انتهاك الحرمات أو فعل شيء يخدش الحياء فى الطريق العام، والسهر على أمن البلاد، وراحة العباد، ويذكر الناس بقول الرسول ﷺ : «لا تروعوا المسلم فإن روعة المسلم ظلم عظيم» وقوله : «كل عين باكية يوم القيامة إلا ثلاث أعين : عين بكت من خشية الله، وعين غضت عن محارم الله، وعين سهرت فى طاعة الله». يخيل إليك أنك تستمع إلى مسئول كبير بوزارة الداخلية.

وإذا استمعت إليه وهو يحث التجار على عدم المغالاة فى الأسعار وعدم تخزين البضائع واحتكارها لخلق سوق سوداء، منبهًا إلى عدم تطفيف الكيل ونقص الميزان، مذكرًا بقول الله تعالى : ﴿ أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ⑧ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن : ٨-٩]. ولقول الرسول ﷺ : «من غشنا فليس منا»، وقوله : «من احتكر أربعين يوما لم تقبل صلاته» يخيل إليك أنه مسئول كبير بوزارة التموين.

وعندما تستمع إليه وهو يحث الناس على الاقتصاد فى النفقة وعدم التبذير فى المال، والتخطيط المنظم، للتوفيق بين الدخل والإنفاق، ثم وهو يحث الناس على دفع مسلتزمات الدولة، وعدم التهرب من دفع الضرائب لأنه كل ذلك يعود نفعه على المواطنين جميعًا، مذكرًا بقول الله تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[الاعراف : ٣١]. وقوله : ﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ ﴾[الإسراء : ٢٧]. وقوله : ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[آل عمران : ١٦١]. وقول الرسول ﷺ «الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه»، وقوله : «من أعان مسلمًا أعانه الله». يخيل إليك أنك تستمع إلى مسئول كبير بوزارة المالية والاقتصاد.

وإذا استمعت إليه وهو يحث الناس على فلاحة الأرض وزراعتها، والعناية بها، وبذل الجهد فى النقاوة وإبعاد الحشائش الضارة عن الزراعة، وغرس الأشجار والمحافظة عليها، وإحياء الأرض الموات وعدم تبوير الأرض وتحريقها، شارحًا للناس أن ذاك أمر غريب فى الإسلام. ويسوق الأدلة وما أكثرها من القرآن والسنة. يخيل إليك أنك تسمتع إلى مسئول كبير بوزارة الزراعة.

وإذا استمعت إليه وهو يتحدث عن البيئة ونظافتها لأن النظافة من الإيمان، ويحث الناس على الوقاية من الأمراض، لأنها خير من العلاج؛ كما يحثهم على عزل المرضى والعناية بهم، وأخذ الدواء، وعدم تعاطى المخدرات واعتزال النساء فى المحيض. مذكرًا بقول الله تعالى : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ﴾[التوبة : ١٠٨]. وبقوله سبحانه : ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ﴾[النساء : ٢٩]. ويقول الرسول ﷺ : «إن الله نظيف يحب النظافة جميل

يحب الجمال» كما إنه يدعو إلى عدم التبول والتبرز فى الطريق العام وعدم تلويث المياه، ومن يستمع إليه كأنما يستمع إلى مسئول كبير بوزارة الصحة.

وإذا استمعت إليه وهو يحث الناس على تعلم العلم ويرغبهم فى التدريب المهنى، وتعلم الحرف والصناعات، مذكرًا بقول الله: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. وقوله: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[القلم: ١]. وقوله: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾[العلق: ٣-٤]. كأن الإنسان يستمع إلى مسئول كبير بوزارة التربية والتعليم.

وعندما تستمع إلى المتحدث وهو يدعو الناس إلى نشر الوعى القومى ورعاية المحتاج والمعوقين والمسنين، ومدَّ يد العون للضعيف، وإخراج الزكاة ويحثهم على أن كل شخص يتعرف على حقوقه فى التأمينات الاجتماعية، وما عليه للدولة مقابل ذلك، مذكرًا بقول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]. وقول الرسول ﷺ: «ليس منا مَنْ لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا» يخيل إليك أنك تستمع إلى مسئول كبير بوزارة الشئون الاجتماعية.

ومن استمع إليه وهو يحث رب المال على أن يدفع الأجرة للعامل، ولا يتهرب من ذلك، ويحثه على حسن التعامل معه، مذكرًا بقول الرسول ﷺ: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه» يخيل إليه أنه يستمع إلى عامل من العمال.

وإذا استمعت إليه وهو يتحدث عن مطالبة العامل بإتقان العمل، وإتقان الصنعة والابتكار فى المهنة يخيل إليك أنه رب المال، كما إنك تستمع إليه وهو يقوم بالصلح بين المتخاصمين ويعمل على إزالة الخلاف بين الجماهير.

ثم هو مع ذلك مستودع أسرار الجمهور يأتمنونه على أخص خصائص حياتهم. لأنهم يفضون إليه بمشاكلهم، ويشارك الناس فى أفراحهم وأتراحهم، يزور مرضاهم، ويشيع موتاهم، وهو راض النفس لأنه يشعر أنه يؤدى رسالة، هو أمين عليها، وهو بلباقته يربط بين القضايا الفكرية بأسلوب سهل مبسط، يجمع بين القديم والحديث فى سياق جيد، يشد انتباه المستمع ويؤثر فيه. وهو مع هذا عندما يعرض فكرة على الجمهور يجدد معلوماته وينوع ثقافاته لأنه يخاطب أعلى المستويات فكرًا وأقلهم ثقافة، يجمع بين الشيوخ والشباب والرجل والمرأة، ينير الطريق أمامهم، ليجدد معانى الولاء لله وللدين وللأمة والوطن. وفى أثناء حديثه يتابع وجوه مستمعيه ليتعرف على مدى تقبُّلهم لحديثه؛ لأن الداعية له فراسته ونباهته ليتقرب من الجمهور. ونحن إذ نقدم النماذج التالية. نسأل الله التوفيق.

الحـمـد لله الذى علم بالقلم علم الإنسـان مـا لـم يعلـم، وأشـهـد ألا إله إلا الله خلق الإنسان علمه البيان، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبدالله ورسوله أفصح الناس لهجة وأصدقهم حديثًا صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه . . أما بعد

فإن الخطابة تنير للناس طريقهم وترشدهم إلى تصحيح أفكارهم وإلى أن يسيروا على النهج السليم. والخطابة قوة تثير حمية النفوس، والخطباء هم المسيطرون على الجماعات وهم الذين يوجهون الناس ويغرسون فيهم الحمية، تصدع الأمة لإشاراتهم إذا صدقوا فى التعبير وأخلصوا لله فآراؤهم فوق الآراء إذا كانت أفكارهم مرتبة وحجتهم قوية، فالخطابة إذًا طريق للمجد الشخصى إذا التزم الإنسان بصدق الكلمات، والخطابة مظهر اجتماعى للمجتمع الراقى وليس علم الخطابة بدعًا فى ذلك فلكل علم رجاله، وعلم الخطابة علم واسع يغطى المصباح لدارسة ولا يضمن له أن يرى به إذا كان فى عينيه رمد.

وإذا كنا نقدم بين يديك أيها الدارس الكريم هذ الخطوط فهى نقط من بحر زاخر لا ينفد معينه ولا ينضب ماؤه. وهذه القطرات تروى ظمأك وتدلك على أن الخطيب عليه أن يثقف نفسه ويتزود بأمور ثلاثة : -

١ - حفظ القرآن - كله أفضل - أو ما استطعت إلى حفظه سبيلا.

٢ - السيرة النبوية الطاهرة تدرس فيها الشمائل النبوية والأخلاق المحمدية والعلاقات الإنسانية، والعدل والإحسان فى الحب والكره.

٣ - أحاديث نبوية تحفظها لتكون على لسانك يربطك بالصادق الأمين مع بعض حكم العرب وسير العظماء وتاريخ الخلفاء، مع بعض الأمثلة الشعبية المتزنة فى تعبيراتها والمتفقة مع بعض الحوادث ومجريات الأمور.

هذا ما أردنا أن نبينه لك ونحن بصدد بيان عن الخطابة وما لها من أثر وآثار، لذلك نوصيك بتقوى الله، وضبط النفس، والمراقبة لله، وغرس قيم الحب والولاء لله، والانتماء للوطن فى نفسك قبل أن تدعو غيرك حتى يكون لكلامك تأثير، فما خرج من القلب وصل للقلب وما خرج من اللسان لا يصل إلى حلمتى الأذن.

على بركة الله الذى يرعاك وهو أعلم بحالك وما تخفى نفسك سر على ذلك والله معك وهو لا يضيع أجر من أحسن عملا.

والخطابة هى فن مشافهة الجمهور وإقناعه بما يؤمن به الخطيب واستثارة خواطره وتحريك مشاعره لاستمالة المستمع إلى الاقتناع . وإذا كانت الخطابة فنًا من فنون الكلام غايته إقناع السامعين واستمالتهم والتأثير فيهم، فهى تعتمد فى قوتها على اليقين والظن، والخيال .

١ – فاليقين : قوة مترسخة فى وجدان الخطيب بالقضية التى يدعو إليها وإيمانه بها لاعتقاده أنه صاحب رسالة يؤمن بأهدافها ويسعى بكل قدراته لتوصيل تلك الأهداف إلى من لا يؤمن بها وبإيمانه بتلك الأهداف يستطيع أن يعبر بمستمعيه حاجز الجهل الذى يفصل بينهما ويؤصل فكره فى أعماقهم بقوة يقينه وبالهدف الذى يسعى لتحقيقه، فالخطيب إذًا يعيش على مبدأ يؤمن به وهو يتفرغ لهذا المبدأ ويحمل لواء الدعوة له .

٢ – الظن : خيرًا بمن يستمعون إليه لأن قوة اليقين فيه تجعله يظن أن المستمعين له سيفهمون كلامه ولقوة أدلته وربط دعوته بمشاكل الجماهير ورسم الطريق الأمثل لحلّها سوف يؤمنون بدعوته ويتسمكون بما يدعو إليه، وهذا الظن يجعله يسترسل فى كلامه بألفاظ واضحة، وعبارات مترابطة، ومعان قوية، وأسلوب منمق لموضوع موحد له غرض دينى يهدف إلى إصلاح النفوس وترقيقَ المشاعر . وبين هذا وذاك يسوق الأدلة من القرآن أو السنة أو سيرة السلف الصالح وتاريخ الأمة ثم يربط ذلك بالمجتمع المعاصر ليبين لمستمعيه أن الدين صالح لكل زمان ومكان لا ينعزل عن الحياة ولا يعزل أتباعه عنها، وإنما يردد ما قاله ربنا : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الاعراف : ٣٢] وكذلك قوله سبحانه : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص : ٧٧] .

٣ – الخيال : إن يتخيل الماضى أمام عينيه ويرى مسيرة الإنسانية ويأخذ العبرة من أحداثها ويبرهن على عزة الأمة ورقيها أو ضعفها أو انهزامها، ثم يربط الماضى البعيد بالواقع المعاصر، ثم يتخيل المستقبل الزاهر الذى ينتظر أصحاب الحق الذين سعوا إليه وعملوا من أجله وعاشوا للدفاع عنه فيرقى بهم المجتمع وتسعد الإنسانية تحت ظلال الأمن والاستقرار وصدق الله العظيم : ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ [القصص : ٥-٦] .

هذه الأسس الثلاثة هى المنابع الأصلية للخطيب وهو قد يجمع بين ناحية واحدة أو اثنتين أو الثلاثة ليحرك العقل، ويقنع العاطفة، ويثير الوجدان . لهذا قالوا عن الخطابة

بأنها : «علم يقتدر بقواعده على مشافهة الجماهير بفنون القول المختلفة لإقناعهم واستمالتهم».

محاور الخطابة

الخطبة لها محاور «كى تسمى خطبة» لأن الناس بطبيعتهم عندهم استعداد أن يكونوا خطباء ولك مثلاً أن تنظر إلى التاجر الذى ينادى على سلعته وتراه يستعمل كل وسائل الإغراء للبيان على سلعته يبين محاسنها وليس هناك أجود منها، وهكذا تجد أن كل صاحب حرفة يجتهد فى استخدام عبارات خاصة يجتذب بها من يريد حمله إلى ما يريد لكن العلماء ذهبوا إلى أن الخطابة لها أصل ولها محاور يجب علينا أن نعرفها لنكون على بينة بها أهم هذه المحاور هى:

قالوا بأن الخطابة تتبع حاجات الأمة وأحوالها وشئونها والضرورة الدافعة إلى القول الخطابى فهى تستمد نوعها من ظروفها ومن اتجاه الخطيب نفسه، فهناك خطب سياسية مثل:

أ - الخطبة السياسية قديمة قدم التاريخ لأنها نشأت عندما نشأت المطامع بين الدول وكانت هناك أحزاب متباينة لأهداف متغايرة ومبادئ مختلفة، فكان لكل حزب خطباؤه المروجون له ودعاته المدافعون عنه، وتزدهر الخطب السياسية فى جو الحرية لأنها تنمو وتستمد غذاءها وقوتها فى هذا المناخ الحر الطليق.

ب - تكون الخطب السياسية لتقوية أواصر المودة والترابط وتبادل المنافع بين الشعوب لأن كل دولة تنشر عن صناعاتها وأهدافها والمناخ الاجتماعى فيها وأنها تريد أن تتعايش فى سلام مع الدول جميعًا وهى تسعى إلى الخير وتحترم المواثيق والعهود، وأنها لا تتدخل فى شئون أى دولة. وهذا النوع من الخطب له أثر عظيم مما جعل ألمانيا فى أيام الحرب تنشئ وزارة للدعاية وقد ابتكرت فى سبيل ذلك أساليب متنوعة.

جـ - الشعوب المغلوبة على أمرها والتى استعمرها غيرها فتحاول جاهدة أن تتخلص من الاستعمار وأن تشعر بالحرية فينشأ فيها الخطباء لإثارة الحمية وإحياء الأمل فى نفوس الناس وابعاد اليأس عنهم ليكون للوعى القومى يقظة، كما حدث من غاندى وسعد زغلول وغيرهما كثير.

د - خطب الملوك والرؤساء التى تلقى عند افتتاح الدورة البرلمانية وفيها يتم تحديد ملامح العمل القومى، وما يجب أن يهتم به الشعب من تنمية الموارد، والابتكار فى

أساليب الأداء، وتجويد الصنعة حتى تتمكن الدولة من فتح أسواق لها فى الخارج والغرض من ذلك تشغيل الأيدى حتى لا يكون هناك متعطل ولتختفى الجريمة ويعيش الناس فى أمان إلى غير ذلك من تعمير الصحراء، وإنشاء الشركات، والإنصراف إلى العمل الجاد كل فى موقع عمله بدقة وأمانة ومهارة.

هـ - الخطب الانتخابية هى التى يقوم الإنسان الذى رشح نفسه فى دائرة انتخابية بإلقائها ليعلن عن مبادئه التى يؤمن بها ومنهجه الإصلاحى الذى ينتويه والرد على خصومه، وسواء أكان الخطيب هو المرشح أو أحد أنصاره، وهو فى كل هذا يبين المصلحة التى تدعو إلى ترجيح كفته وتأييده، والخطيب فى هذا الموقف يحتاج إلى مهارة ولباقة لأنه يخاطب الخواص والعوام وقد يعرض له بعض الأسئلة، وهو مطالب ألاّ يسرف فى الثناء على أحد بل هو يركز على دراسة مشاعر أهل الدائرة، ويتعرف على آمالهم ورغباتهم، ويضرب على أوتار ذلك ويبين أن هذه الأحلام والوعود سوف تتحقق بهم ومعهم وبإخلاصهم وعليه أن يبتعد عن الوعود بما لا يقدر عليه، لأنه إن وعد بما لا يقدر فسوف يظن به الكذب علمًا بأن خصومه يترصدون كلامه ويحاولون إثارة الشكوك حوله.

المحور القضائى

الخطب القضائية هى التى تلقى فى المحاكم سواء أكان قائلها هو الممثل العام للنيابة أم محام عن المتهم.

ولقد عرف اليونان قديمًا هذا النظام من الخطب. ولقد ظهرت الحاجة إلى الخطابة القضائية منذ أن اجتمع البشر وحدثت منازعات ومشاحنات، ومن أهم قواعدها، أدب أسلوبها الذى يسمو بها عن النزول والانحطاط فى السب والقذف؛ لأن هذه الخطابة لم تكن وسيلة من وسائل التجريح والتشهير؛ لأنها تلقى أمام منصة مقدسة يلقى عليها الواقع المهابة والجلال والاحترام، فعلى الخطيب أن يلتزم الحيدة والصدق والوضوح وجلاء الوقائع وتفنيد الحجج من غير خوض فى مسائل لا يرضى بها الذوق السليم، لأن هذا هو الأسلوب الأمثل لإحقاق الحق الذى به قيام الأمة ووضعها الموضع الجدير بها حيث إن الأمة التى لا يقدس فيها الحق محكوم عليها بالفشل والخيبة والضياع.

والخطب القضائية تحتاج إلى الوضوح مع الإيجاز والالتزام بالحق والبعد عن التجريح، وأن تكون اللغة أمام المحاكم موائمة لذوق رجال القانون متفقة مع قدرهم وعقليتهم بعبارة سهلة مبسطة.

المحور العسكرى

الخطب العسكرية هى التى يلقيها القواد على الجنود يحثونهم على الصمود والثبات فى ميدان الدفاع عن الوطن ونصرة الحق والصمود أمام العدو الذى سنغلبه بإذن الله وبقوتكم، ويبين لهم أن المقاتل مدافع عن الحق سيفوز بإحدى الحسنيين :

١ - النصر والغنيمة . ٢ - أو الشهادة والجنة .

وقد عرفت الخطب العسكرية قديمًا وسجل تاريخ الخطابة نماذج مشرفة لخطباء قادوا جنودهم وانتصروا على أعدائهم، ثم جاء الإسلام والجهاد فيه شرف وقد رغّب الله نبيه أن يحث المؤمنين على الثبات والصبر عند ملاقاة العدو، والجهاد فى الإسلام دفاع عن الوطن وأخذ بيد المظلوم وتحرير الأمم المغلوبة على أمرها وكما يكون بالسيف يكون بالكلمة، والخطابة العسكرية تتميز بفخامة اللفظ لشحذ الهمم وإبعاد الضعف عنهم . ويتميز الخطيب العسكرى بالحماس الشديد مع الإيجاز والوضوح، ويبين أن لهم القوة وأن جيش عدوهم ضعيف وقد وضح الله ذلك كأسلوب يتعامل به الخطيب العسكرى : ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ﴾[الأنفال : ٤٤] . ويقول : ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً﴾[الأنفال : ٤٣] . ويقول : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ ﴾[الأنفال : ٦٥] .

المحور الاجتماعى

الخطب الاجتماعية هى التى يتعرض فيها الخطيب لدراسة مشكلة من مشكلات المجتمع مثل : بناء المدارس أو المستشفيات أو دور الحضانة أو ناد اجتماعى إلى غير ذلك من الأمور الاجتماعية . والخطيب الاجتماعى يعرض فى خطبتّه على مستمعيه مزايا مشروعه والفوائد التى ستعود على القرية أو المدينة من وراء ذلك، وأن مشروعه الذى يطرح فكرته يسد نقصًا فى المجتمع ويرفع مستوى البيئة وهو يلقى الخطبة، عليه أن يذكر أمثلة لهذا المشروع والثمرة التى جنتها القرية التى أقيم فيها هذا المشروع، وأن يستأنس بأعمال أهل الخير والمشهورين فى ميدان الإصلاح الاجتماعى وكيف أن المشاريع التى أقيمت فى أول أمرها صغيرة نمت وترعرعت حتى أصبحت ذات نفع عظيم وبقيت على مدى التاريخ تحمل ذكرى من أنشأ وتذكّر الناس بهذه الأيدى العظيمة التى تحملت وصمدت وأنشأت ما فيه الخير والسعادة لأبناء القرية .

١ - ما يلقى فى محافل التكريم لمن أدى عملا عظيمًا أو يحال إلى التقاعد بعد رحلة عمل طويلة أسهم فيها بجهد مشكور وعمل عظيم ويقال ذلك ليكون قدوة لمن يأتى من بعده ليبدأ من حيث انتهى ، وأن هذا الشخص الذى نحتفى به كان له سلوك حسن وهمة فى الأداء عالية وصلة بالجميع تتسم بالود والاحترام مع الإيجابية والنشاط .

٢ - خطب التأبين : تقال عند موت أى شخصية والغرض منها تذكير الناس بالموت وأنه أمر واقع لا مهرب لأحد منه ، وهذا هو النموذج الذى أمامنا ويبين ما كان للفقيد من آثار تذكر له بالخير الذى يجده عند ربه الآن وتجعلنا نترحم عليه حيث ترك لنا سيرة طيبة وعملا صالحا وقدوة حسنة فى سلوكه .

٣ - خطب النكاح : وهى الخطبة التى تلقى عند عقد القران ويذكر فيها الخطيب فوائد المصاهرة ، وحق الزوج على زوجته ، وحق الزوجة على الزوج ويستشهد على ذلك بآى من القرآن الكريم والسنة المطهرة ، ثم يبين للشباب ما يجب عليهم أن يفعلوه عند اختيار الزوجة من بيئة صالحة وأسرة طيبة ، ثم يدعو إلى العفة والطهارة . المهم أنه لكل مقام مقال ، ما يقال للتاجر غير ما يقال للزراع ، وما يقال للمرأة قد لا يقال للرجل ، وما يقال للكبار لا يقال للصغار ، فخاطب الناس على قدر عقولهم .

المحور الدينى

الدين هو العنصر الفعال فى الكيان الإنسانى لأن الإيمان إذا ضاع من قلوب الناس فلا أمن لهم ولا استقرار ، ومن رحمة الله بالعباد ولطفه بهم أنه بعث إليهم الرسل مبشرين ومنذرين بدعوة الحق والالتزام بمنهج الصدق والإخلاص لله والحب للناس والتعاون معهم ، لأن الإسلام هو أن تسلم وجهك لله ، ثم هو بعد ذلك دعوة إلى السلوك الاجتماعى الحسن . فعلاقتك بالله مؤسسة على سلامة القلب ويقظة الضمير وحسن التعامل مع الناس .

والخطابة الدينية قديمة قدم التاريخ الذى حفظ لنا نماذج من الخطباء وأقوالهم حتى فى عصور الجاهلية .

ولما جاء الإسلام الحنيف كانت الخطبة فيه من شعائر الإسلام فى يوم الجمعة وفى العيدين وعند الكسوف والخسوف وفى أمور كثيرة، إلا أن خطبة الجمعة سمّاها القرآن بالذكر حيث قال الله تعالى : ﴿**إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ [الجمعة : ٩]. فالقرآن سماها بالذكر لأنهاتذكر الناس : بالله، وآياته، واليوم الآخر وأحواله وقصص الأولين والعبرة منها، وإقام الصلاة والمحافظة عليها ، وإخراج الزكاة وبيان أنصبتها ، وصيام رمضان وفضله، وأثر تلاوة القرآن، والحج ومميزاته، وبر الوالدين وصلة الرحم، وإعطاء كل ذى حق حقه ، والترغيب فى استصلاح الأراضى وزراعتها، وإقامة المبانى والتوسعة على الفقراء، ورعاية الأيتام، والأخذ بالمسببات فى كل مناحى الحياة ، والعلم وأهدافه والدعوة إليه، والصناعة والإنتاج والمساهمة فى كل ما من شأنه أن يرقى بالمجتمع، والطفولة ورعايتها، والشباب وتوجيههم، والفتيات وحثهن على العفة، والمرأة وتحصينها بالفضيلة، والإغنياء وحثهم على مساعدة الفقراء، والتاجر وحثه على الصدق إلى غير ذلك مما له صلة بالمجتمع ورقية والإنسان وإسعاده، ويتجلى ذلك تحت قول الله تعالى : ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ [آل عمران : ١١٠]. ذلك لأن المعروف ما تعارف الناس على حسنة وارتضوا فعله وأثنوا على من يأتيه، وما استقبحه الذوق السليم وعافته النفوس الطيبة وذموا من يأتيه، ثم إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر القطب الأعظم فى الدين الذى بعث الله بسببه النبيين ولو أهمل هذا الأمر لاضمحلت الديانة وشاعت الجهالة وفشت الضلالة واستشرى الفساد ويترتب على ذلك خراب البلاد وهلاك العباد.

المسجد

المسجد هو المكان المعد للصلاة وذكر الله وتحفيظ القرآن وتعلم السنة وتهذيب السلوك، وهو من أخطر أجهزة الإعلام لأنه بيت الله فى الأرض ولأن منبره يمثل أقوى صوت يوجه للناس لأن ما يقال عليه يشرح هدف رسالة الرسل والغاية منها، ويدعو إلى تنمية شاملة لكل المرافق الاجتماعية ويدعوا الناس إلى نشر الأمن. والمسجد بهذا يواكب الحياة ويتفاعل معها ويؤدى جميع الخدمات التى تحتاجها المنطقة، ففى رحابه يتدارس المسلمون أمور دينهم ودنياهم وهو بهذا يمثل جامعة شعبية. والذين عاشوا فى رحابه وتأصلت فى نفوسهم قيم رسالته قادوا سفينة العمل الدينى والاجتماعى والسياسى والاقتصادى والزراعى والتجارى لأن المسجد الذى ربّى هؤلاء دخلوه هم بنفوس طاهرة وقلوب

نظيفة، ثم هناك نظافة المكان ونظافة الجسد لأنه لا يدخل إليه إلا من تطهر بالوضوء، ثم يدخل الكبير والصغير، الرجل والمرأة، المثقف والأمى، والكل يدخل وهو يردد : ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ [آل عمران : ١٩٣].

فى الأندية والمصانع والمزارع

لاشك أن المساجد تتنوع حتى فى الكلمات خذ مثلا :

١ - الجامع : هو أكبر مكان وأوسعه يجتمع فيه أكبر عدد ممكن من الجمهور.

٢ - المسجد : أقل قليلا مع الجامع فى السعة واستيعاب الجماهير.

٣ - الزاوية : هى أقل من المسجد وهى التى تكون تحت مبانٍ أو فوقها ولا تتسع للكثير من الجماهير.

٤ - المصلَّى : هى التى يتخذها الإنسان فى بيته أو على رأس حقله أو فى مصنعه أو داخل الأندية أو المستشفيات أو المدارس أو غير ذلك، هذه الأماكن كلها لها قدسيتها واحترامها وعلينا أن ننزها عن أى شىء ينجسها أو يسىء سمعتها، ولا يجوز مطلقا استعمال الدخان بين جدرانها أو فى ملحقاتها. هذا مع الإحاطة بأن الصلاة فى الجوامع أفضل من المساجد وفى المساجد أفضل من الزوايا وفيها أفضل من المصليات، وقد رغب الإسلام ونبيه فى أداء الصلوات جماعة فى أى شىء من هذا إلا يوم الجمعة فيفضل الجامع ثم المسجد لأن فيهما تتوافر شروط صلاة الجمعة ويتحقق الهدف من وراء ذلك الذى أراده الإسلام وهو اجتماع المسلمين ولم شملهم وتوحد صفهم ليناقشوا أمور دينهم ودنياهم وكل يسهم بما لديه من قدرات.

الجمعة

يوم الجمعة خير يوم طلعت فيه الشمس؛ لأن الله سبحانه خلق آدم فيه وأسكنه فيه الجنة وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مؤمن يدع الله إلا استجاب له.

ولأنه خير يوم شرعت فيه صلاة الجمعة لتكون بمثابة عيد أسبوعى يجتمع فيه أهل الحى على طاعة الله ويتمثل ذلك فى أداء صلاة جامعة يسبقها خطبتين ثم بعد ذلك يتدارس المجتمعون مشاكل حيّهم ويعملون على حلّها بروح الحب والإخاء والتعاون وقد ذكر الله يوم الجمعة مصرحًا باسمها دليلا على شرف هذا اليوم ومكانته فقال سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة : ٩]
ويجب على كل واحد من المسلمين أن يتوقف عن البيع والشراء حيث أفتى بعض الأئمة بحرمة البيع أو الشراء عند النداء لصلاة الجمعة ، وأن البيع يقع باطلا ولا بركة فى مال من يبيع ولا فى من يشترى .

حكم صلاة الجمعة

حكم صلاة الجمعة فرض عين على من استكملت فيه شروط صحة الصلاة وهى :

١ - الذكورة : فلا تجب على الأنثى لكن إذا حضرتها وأدتها تجزؤها عن صلاة الظهر .

٢ - الصحة : فلا تجب على المريض ويصليا ظهرًا .

٣ - الإقامة : فلا تجب على المسافر لكن إن صلاها أجزأته .

من تنعقد بهم الجمعة

لابد لصلاة الجمعة من عدد معين : -

١ - اتفق الشافعية مع الحنابلة على أن صلاة الجمعة لابد أن يكون العدد فيها أربعين شخصًا فأكثر .

٢ - المالكية قالوا : إنها تنعقد باثنى عشر شخصًا غير الإمام .

٣ - أبو حنيفة وتلامذته قالوا : العدد ثلاثة غير الإمام .

وسر هذا الاختلاف التوسعة على المسلمين حتى لا يضيق عليهم فقد يكون هناك من يعمل فى حقول البترول ، أو الأطباء فى المستشفيات ، أو الأساتذة فى عمل الكنترول إلى غير ذلك من الأمور فجاءت هذه التوسعة لتتيح للناس ألا يتركوا صلاة الجمعة لأنها مهمة جدًا ومن تركها طمس الله على بصيرته ، ولقد همَّ الرسول ﷺ أن يحرق على بعض الناس بيوتهم لتركهم الجمع والجماعات .

فجدير بكل مسلم أن يحافظ على صلاة الجمعة وأن يغتسل يومها ويتنظف ويلبس أفضل ما عنده من ا لثياب ويمس من الطيب ويغسل أسنانه بالسواك .

الخطبة

ذهب جمهور العلماء إلى وجوب خطبة الجمعة واستدلوا على ذلك بقول الله :
﴿فاسعوا إلى ذكر الله﴾[الجمعة : ٩] . وفسروا الذكر بالخطبة ، ثم بما ثبت عن النبى ﷺ

ثبوتًا مستمرًا بالأحاديث الصحيحة أنه كان يخطب فى كل جمعة خطبتين يفصل بينهما بجلسة خفيفة، وخطبة الجمعة لها أركان لابد للخطيب أن يراعيها :

١ - أن تفتتح الخطبة بحمد الله، و الصلاة على رسول الله ﷺ، والوصية بتقوى الله، وقراءة آية من القرآن الكريم، و الدعاء للمؤمنين والمؤمنات هذا إذا توفر الخطيب، أما لو كان هناك صلاة جمعة فى مكان بعيد وسوف يخطب أى إنسان ليؤدى الفرض فإننا نقول له أدى الخطبة بما تقدر عليه ولو بقراءة سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[الصمد : ١] . أو اذكر الله ووجه النصح إلى من أمامك حتى ولو توجههم إلى العمل المتقن على أن تؤدى الخطبتان قبل الصلاة، وبصوت يسمعه الحضور وبأى لغة يقدر عليها الخطيب وأن يخطب قائمًا وأن يجلس بين الخطبتين .

ويجب الإنصات للخطبة ولا يجوز تخطى الرقاب لأنه مكروه بل إن بعض المذاهب قالت بالتحريم ويستحب لكل مسلم أن يقرأ سورة الكهف فى يوم الجمعة وأن يكثر من الصلاة والسلام على رسول الله فى هذا اليوم .

يقسم الخطيب خطبته إلى مراحل ثلاث :

١ - المقدمة .　　　٢ - الوسط .　　　٣- الختام .

عليه أن يبدأ كلامه بعد حمد الله بصوت منخفض قليلا ثم يرتفع رويدًا رويدًا ولا بأس من استعمال يده فى الإشارة عند عبارات معينة، فإذا قارب الانتهاء يبدأ فى خفض صوته قليلاً قليلاً حتى يصل إلى النهاية . والخطيب الجيد فى خطب الجمعة هو الذى يتبع ما يأتى :

١ - تحضير الخطبة طوال أيام الأسبوع وتتبع الأحداث المحلية والدولية ليربط بين ذلك فى خطبته .

٢ - وحدة الموضوع : بحيث يتكلم فى موضوع واحد حتى لا يشتت ذهن السامعين ويكون الحديث بعبارات واضحة وكلمات سليمة وجمل مفهومة .

٣ - قصر الخطبة : فلا يطيل حتى لا يمل السامع وينفر منه الجالس وقد قيل : « من فقه الرجل قصر الخطبة وإطالة الصلاة» .

٤ - أن تكون الخطبة مثيرة لخيال الجماعة موقظة لذكريات حيّة فى نفوسهم، ولا يكرر ما قاله فى الجمع السابقة، ولا تكون الألفاظ مبتذلة أو هابطة، واعلم يا أخى أن من ألزم لوازم الخطبة دقة التحضير الذى يعينك على دراسة الموضوع والتحضير، إما أن تقوم بكتابة الخطبة فى كراس خلال الأسبوع وتنقح فيه على مدار الأيام وهذا أفضل شىء

لأن قيد العلم كتابته، وبعد التحضير ترتب عناصره فى نفسك وتمرن نفسك على الإلقاء بصوت مرتفع وأنت فى غرفة منفردًا بنفسك أو فى مكان خلوى، وهذا الموضوع يربى فيك ملكة الخطابة لتستطيع بعده أن ترتجل حيث ذوت نفسك بثروة لغوية من الألفاظ والكلمات. وعليك أن تجود النطق بإخراج الحروف من مخارجها، وأن تعطى كل كلمة حقها الصحيح وتخرج لسانك عند الثاء والذال والظاء وتعطش الجيم، وأن تحسن صوتك، ولا تسرع فى الكلام ولا ترفع صوتك بعنف من البداية ولكن عليك التمهل فى الأداء، واعلم بأن وقوفك حال الأداء مع الصوت الحسن يطفى عليك المهابة والجلال.

المنبـــر

للمنبر فى المسجد رسالة عظيمة وخطيرة والكلمة التى تقال من فوقه لها جلالها وخطرها فعليك أن تراقب الله، وأن تتخير الكلمات فى علاج المشاكل، وأن تكون كالطبيب الذى يصف الدواء فلا تتعجل فى التشخيص، واعلم بأن الناس عيونهم معقودة عليك فكن قدورة فى سلوك، واعلم بأن الله عاب على قوم يقولون ما لا يفعلون فقال عنهم: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤]. وقال فى موضع آخر: ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢]. وقال الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

واعلم يا أخى أنك تتكلم من على المنبر بلغة العصر فكن أمينًا صادقًا علاقتك بالناس طيبة، عفيفا فى نفسك ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طة: ١٣١]. ومع العفة يا أخى كن قنوعا، ثق فى ربك الذى بيده الخير. كما يتطلب الأمر منك أن تكون دقيقا أمينا، حسن التصرف، بعيدًا عن التلكف مقدرا لنفسك المكانة التى تقف فيها، كن متواضعًا، حسن الهيئة نظيف الهندام طيب الرائحة تستعين بالله فى كل أمورك، ولا تشكو همك للناس.

الدعاة

إن الخطيب الدينى صاحب رسالة يؤمن بأهدافها ويسعى بكل قدراته لتوصيل تلك الأهداف، لذلك فإن كل وقته مشغول بهذه الدعوة التى يحمل لواءها وهو يعيش مشاكل

أمته ويتابع كل جديد فى دائرة رسالته - ومن يقوم بهذا العمل شرفه الله وأصبح من جنود الإسلام المخلصين الذين يقفون على ثغر من ثغور الإسلام وقد أصبح الخطيب الدينى وارثا لجزء من ميراث النبوة، فالنبى صلى الله عليه وسلم وهو خاتم الأنبياء لم يورث درهما ولا ديناراً، وإنما ورث علمًا وأخلاقا فالعلماء ورثة الأنبياء، لذلك وأنت تصعد على المنبر عليك أن تتسم بالوقار وأن تصعد برجلك اليمنى وأنت تقول فى نفسك: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [طه: ٢٥-٢٨]. فإذا انتهيت إلى نهاية المنبر فتوجه إلى الجمهور وألقى عليهم السلام، ثم اجلس فى أدب وخشوع إلى أن يتم الأذان، وتذكر أنك تجلس فى مكان العلماء فكن على نهجهم وتمثل رقابة الله عليك فإذا انتهيت من خطبتك فابدأ النزول برجلك اليسرى وأنت تحمد الله الذى وفقك إلى ذلك وجعلك من الذين وقفوا هذا الموقف العظيم وأديت رسالة دينية تشكر بها عند الله وتذكر بها فى دنيا المسلمين، ولا تغفل الرأى العام فهو الذى يحكم لك أو عليك فإن أخلصت لله أعانك، وإن سألته بصدق أعطاك وعلى قدر إخلاصك سيكون التوفيق من الله الذى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء.

إننا ندعو الله مخلصين له الدين أن يكون عونك فى أداء رسالتك وأن يوفقك فى تحقيق رسالتك وأن يجعلك من العلماء النابهين الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله، حقق فى نفسك وتخلق بما ترشد إليه هذه الآية ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وفقنا الله جميعًا إلى ما يحبه ويرضاه وسدد خطانا على طريق الخير وجعلنا من الهداة المهديين. هذا وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الخطـــب

الخطبة الأولى

أثر المسجد فى حياة المجتمع

الحمد لله كثيرًا يوافى نعمه ويكافئ مريده. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الأحد الفرد الصمد، الذى خلق كل شىء فقدره تقديرًا، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله الذى تعلق قلبه بالمسجد فكان يسعى إليه ليلاً ونهارًا يجمع من حوله الصحابة يذكرهم بالله وآياته واليوم الآخر وأحواله، ويوجههم إلى العمل ويوضح لهم الجزاء عليه لترق قلوبهم، وتصفو نفوسهم فينطلقون فى الدنيا يعملون ويبنون ويؤسسون دنياهم على تقوى من الله ورضوان صلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد...

فإن الإسلام الذى نؤمن به عقيدة وشريعة مسجدا ومصنعا، مصحفا ومتجرا، دينا ودنيا.. هذا الدين لا يقر السلبية فى حياة الناس ولا يرضى أن تكون خلقًا من أخلاقهم لأن الناس خلقوا ليتعارفوا، وصدق الله العظيم: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** ﴾ [الحجرات: ١٣].

ومن سمات هذا الدين حث الناس على التعاون ودفعهم إليه ليكون عنصرًا هامًا فى حياتهم: قال تعالى: ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾ [المائدة: ٢]. ومما جاء على لسان النبى الكريم: «مثل المؤمن للمؤمن كمثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى» ومما قيل:

الناس للناس من بدو وحاضرة　　　بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

إن الدين الإسلامى بما فيه من أصالة رسم للناس طريق الخير وأمرهم باتباعه. ونهاهم عن مخالفته، ذلك: لأنه حدد لهم غاية هى الوصول إلى الله يجدون فى طاعته أنس النفس، وراحة البال، واستقرار الحال.

ووسائله فى ذلك متعددة أهمها التقاء الناس وجمعهم على أداء العبادات التى أظهرها الصلاة ومكانها المسجد الذى هو نقطة البدء فى تطور المجتمع ورقيه ولقد أخبرنا ربنا جل

جلاله من مفهوم الآية : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٦]. يعنى أن أول مكان يأنس إليه الإنسان هو هذا المكان الذى وضع أولاً ليعبد الله فيه. بين جنباته يرتفع صوت الحق، ويدوى صوت الداعية يحث الناس على الفضيلة، هذا البيت عندما خيم الظلام والفساد على المجتمع الإنسانى كان يؤدى دوره التاريخى فى إيقاظ الشعور الإيمانى، وبعث الفطرة الكامنة فى نفس الإنسان، فعندما فشت الجاهلية وعبد الناس الأوثان رأينا حول هذا المسجد جماعة، صفت نفوسهم، وسمت أرواحهم. فنظروا إلى الأصنام نظرة استخفاف وسخرية، وتطلعوا إلى الخلاص منها، وسمُّوا فى التاريخ بالحنفاء، ذلك لأنهم عايشوا المسجد الحرام فى مكة، ورأوا ما عليه قومهم من عبادة ما لا ينفع ولا يضر. فى حين أن ما حولهم من ظواهر الطبيعة الباهرة يؤكد أن لهذا الكون إلهًا، خالقًا عظيمًا، واحدًا، يجب أن توجه العبادة له وحده.

إن الذى حرك كوامن الإيمان فى نفوسهم رؤيتهم لهذا المسجد العامر، والحرم الطاهر. فالمسجد فى حياة الأمة، سفينة نجاة لأن فيه يلتقى أهل الحى يتدارسون مشاكلهم ويعملون على حلها بروح الأخوة والمحبة.

كما أنه دار عطاء يلقن العلم، ويحث على العمل. ونستطيع أن نقول: «إنه جامعة شعبية». بين جدرانه يتعلم الناس النظام حيث يقفون فى صفوف متراصة لا عوج فيها ولا التواء، يأتمون بإمامهم الذى ارتضوه قدوة لهم. فلا يسبقونه بالقول، ولا يتقدمون عليه بالفعل، لأنه جاء عن المعصوم ﷺ : «ألا يخشى إذا ركع أحدكم أو سجد قبل الإمام أن يمسخ الله رأسه رأس حمار».

كما أنهم يمارسون الديمقراطية الحقة داخل المسجد بحيث إذا أخطأ الإمام فى قول أو فعل صححوا له من خلفه، وردوه إلى الصواب. شعارهم فى ذلك قول الحق: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴾[التوبة : ٧١].

كما أن المسجد يعطى الناس الدرس العملى فى المساواة، فالناس سواسية كأسنان المشط: والصف الأول فيه لمن حضر أولاً تجد فيه الغنى بجانب الفقير، والخادم بجوار المخدوم، والرئيس بجوار المرؤوس. الكل واقف بين يدى رب واحد، يتجهون إلى قبلة واحدة يقتدون بإمام واحد، ويعيشون فى جو طاهر يعمهم فيه الصفاء النفسى، والسمو الروحى. إن المسجد قائم فى الأرض يصحح مسار ركبها ويمنح البشرية زادها وتقواها.

وأى داخل إليه لا يرد ولا يمنع اللهم إلا إذا كان مشركًا بالله فإنه عندئذ يمنع لقول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ [التوبة : ٢٨] ومن دخله كان آمنا لا يروع ولا يعتدى عليه، ومن دخله وفى نيته إزعاج الناس وإدخال الرعب عليهم، فإن لعنة الله والملائكة والناس تحيق به وتطارده وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول : «لا تروعوا المسلم فإن روعة المسلم ظلم عظيم» وفى حديث آخر : «من نظر إلى مسلم نظرة يخيفه فيها بغير حق أخافه الله يوم القيامة» وفى رواية مسلم : «من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهى وإن كان أخاه لأبيه وأمه» .

ولما كان للمسجد هذه المكانة وتلك المنزلة السامية، فإن رسول الله ﷺ علمنا أن نتكاتف سويًا، ونتعاون فى بناء المساجد وتشييدها، بروح الجماعة ولنا فيه الأسوة الحسنة، فقد شارك صحابته بنفسه فى بناء المسجد الأول بعد الهجرة، ولقد أشار القرآن الكريم إلى تلك الجهود الذاتية التى بذلت بإخلاص فى بناء المسجد الأول . كما حث القرآن نبيه على ملازمة هذا المسجد الذى أسس على التقوى وشيدته يد الرجال الذين تميزوا بالجد والإخلاص والطهر والنقاء، قال تعالى ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة ١٠٨] .

وعلى المسلمين أن يتعلموا من هذا الدرس النبوى ما يجعلهم فى حياتهم يعيشون متآلفين متضامنين، شيمتهم التعاون، ودأبهم الإخلاص لله رب العالمين، وأن يكونوا فى حياتهم كالبنيان المرصوص، يتساندون فى كل عمل جليل يسارعون فى البناء والتعمير لبيوت الله ولمعاهد العلم بروح الأخوة مثلهم كما جاء على لسان النبوة : «مثل المؤمنين فى توادهم، وتعاطفهم وتراحمهم، كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» . وإن الرجال الذين تربوا بين جدران المسجد لم ينفصلوا عن المجتمع بل التحموا به وكانوا يحملون مشعل الهداية، ويرفعون علم السلام ويحكمون بين الناس بالعدل، رائدهم فى ذلك قول الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ﴾ [النساء : ١٣٥] . لهذا استقامت بهم الحياة، وأمن فى كنفهم الخائف، وجلبت لهم خزائن الأرض، ومع هذا لم يتكالبوا على الدنيا ولم يجعلوها فى قلوبهم، بل جعلوها فى أيديهم، لأنهم علموا أن خزائن السموات والأرض بيد الله يمنحها من يشاء من عباده، ولن تنال إلا بطاعة الله، لهذا خاطب هارون الرشيد السحابة بعد أن نظر إليها وقال لها : «شرقى أو غربى وأمطرى حيث شئت فإن خراجك سيأتينى» .

والمسجد الذى فتح أبوابه للرجال ليتعلموا فيه ويتربوا على مائدته : فتح كذلك أبوابه للنساء إذا ما دخلنه فى حشمة ووقار وطهر وعفاف . ولا يخفى على عاقل ما للمرأة من دور فعال فى بناء الأسرة ، فلقد جاء فى صحيح البخارى عن أبى سعيد الخدرى «قالت النساء للنبى ﷺ : غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يومًا من نفسك ، فوعدهن يومًا لقيهن فيه فوعظهن ، وأمرهن ، فكان فيما قال لهن : ما منكن امرأة : تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجابًا من النار . فقالت امرأة : واثنتين؟ فقال : واثنتين» ، وفى صحيح مسلم أن أسماء بنت يزيد الأنصارية أتت النبى ﷺ وهو بين أصحابه فى المسجد فقالت : «بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، أنا وافدة النساء إليك : إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة ، فآمنا بك وبإلهك إنا معشر النساء محصورات ، مقصورات ، قواعد بيوتكم ، وحاملات أولادكم ، وإنكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات ، وعيادة المرضى ، وشهود الجنائز ، والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله عز وجل ، وإن أحدكم إذا خرج حاجًا أو معتمرًا ، أو مجاهدًا ، حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم أثوابكم ، وربينا لكم أولادكم . أفنشارككم فى هذا الأجر والخير؟ فالتفت النبى ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال : هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها فى أمر دينها من هذه؟؟ قالوا يا رسول الله : ما ظننا أن امرأة تهتدى إلى مثل هذا . . فالتفت النبى ﷺ إليها وقال : افهمى أيتها المرأة واعلمى من خلفك من النساء : أن حسن تبعل المرأة لزوجها ، وطلبها مرضاته ، واتباعها موافقته يعدل ذلك كله» .

ولما كان للمسجد دوره الفعال فى بناء أفراد المجتمع وحسن تربيتهم ، فإن علينا أن نعود إليه نجعله ساحة عبادة ، ومعهد علم ، ومكان تجمع ، ودار قضاء . . فى ساحته يتصالح المتخاصمون ، وبين أرجائه ينطلق صوت التوجيه للإنسانية بأسرها ، أن : عودوا إلى نبع الخير وتعلموا من قرآن ربكم ما به تنصلح حياتكم ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣ - ١٣٤] .

روى الترمذى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : «عرضت علىَّ أجورُ أمتى حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد» .

وعنه ﷺ فيما رواه ابن خزيمة : «لا يتوضأ أحدكم فيحسن وضوءه فيسبغه ثم يأتى المسجد لا يريد إلا الصلاة إلا تبشش الله له كما يتبشش أهل الغائب بطلعته» .

الحمد لله : نحمده ونستعين ونستهديه فهو أهل الحمد والثناء وأشكره على فضله ونعمه التى لا تعد ولا تحصى ، وأشهد أن لا إله إلا الله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله النبى الكريم الذى أمرنا الله باتباعه قال تعالى : ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[النساء : ٨٠] صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه .

أما بعد . . .

فقد قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [التوبة : ١٨] . ويقول سبحانه : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ ﴾ [النور : ٣٦- ٣٧] ويقول الرسول فيما رواه الطبرانى : «من ألف المسجد ألفه الله» ويقول فى حديث آخر : «المسجد بيت كل تقى وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى رضوان الله والجنة» .

أيها المسلمون ، إن كل مسجد يقام هو صمام أمن فى المجتمع عامة وفى مجتمعنا المعاصر خاصة ؛ إذا أقبل عليه أهل الحى وانتفعوا بما يلقى فى جنباته من مواعظ ، وتخلقوا بهدى نبيهم الكريم إمام الدعاة فقد كان خلقه القرآن ، يعفو عمن ظلمه ، ويصل من قطعه ، ويحسن إلى من أساء إليه . . . إن كل مسجد يشيد هو مصحة نفسية لأن داخله يلقى بهمومه ، وينفض عن كاهله ما يثقله على عتباته ثم يقبل على ربه بوجهه بعد أن تطهر ظاهرًا بالماء ، وباطنًا بالتقوى والإخلاص فتزكو نفسه ، وتقوى صلته بربه فيشتهر بين الناس بالسلوك الحسن ونور الإيمان فى وجهه يمنعه عن ارتكاب المعاصى والإساءة إلى الناس ويدخل فيمن عناهم الرسول الكريم بقوله : «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالأيمان . . » .

ألا فلنتجه ألى المسجد نصحب معنا أولادنا نعلمهم الصلاة ونرغبهم فى التردُّد عليه حتى نضمن لهم حياة البهجة والسعادة والاستقرار ، ويا حبذا لو جعلنا بجوار المسجد دار حضانة لأطفالنا الصغار ، لتصل إلى أسماعهم كلمات التوحيد ، وتقع أنظارهم على

المسلمين وهم يستجيبون لهذا النداء، يؤدون فرض ربهم عليهم، فينشأ أولادنا على المحافظة على فريضة الصلاة التى هى عماد الدين والركن العملى المظهرى من أركان الإسلام، فيرتبطون بالمسجد منذ نعومة أظفارهم.

هذا، وأمتنا اليوم بحاجة إلى المسجد المتعدد الأغراض الذى يسهم فيه كل فرد بقدر طاقته واستطاعته لينهض المجتمع وتسعد الأمة كما سعدت يوم أن جعلت المسجد قبلتها، وسارت على هديه وحافظت على كل مرافقها تحقيقًا لمفهوم قول الرسول ﷺ : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

الخطبة الثانية

قوة الإيمان توقظ ضميرالإنسان

الحمد لله أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمد فى الأولى والآخرة وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله بعثه الله على حين فترة من الرسل إلى الناس كافة بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا. صلى الله عليه وسلم على سيدنا محمد النبى العربى الهاشمى القرشى الذى دعا إلى كل خير ونهى عن الشر وعلى آله وأصحابه الذين اهتدوا بهديه وساروا على طريقه.

أما بعد . . .

فإن المؤمن بالله واليوم الآخر هو الذى يستطيع أن ينتصر على شهوات نفسه، وأن يقول للدنيا ما قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه «إليك عنى غرِّى غيرى» وأن الذى قال هذا رجل من الذين تخرجوا من مدرسة الإسلام وتتلمذوا على يد خير الأنام لأن الإيمان يعطى للمؤمن هدفًا أكبر ويشده إلى قيم أرفع وأبقى. أما الهدف فهو إلى الله ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢]. وأما القيم فإنها تتمثل فى أن ينتصر المسلم على أنانيته وحب ذاته لأن مراقبة الله تسيطر عليه فهو يرى الله أينما اتجه. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] وخوف الله هو لذى يجعل طاقة خيره لا يصدر عنها إلا الخير، فكل إناء بالذى فيه ينضح، والله تعالى يقول: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ [الأعراف: ٥٨] ولذا نرى أن عمر بن عبد العزيز يمسك عن عقاب من أساء إليه قائلاً له: «أردت أن يستفزنى الشيطان بعزة السلطان فأنال منك ما تناله منى غدًا – أى فى الآخرة – قم عافاك الله لا حاجة لنا فى مقاولتك. إن عمر بن عبد العزيز هو الحاكم العام للمسلمين كف يده عن الرجل الذى أساء إليه ابتغاء مرضاة الله وهذه درجة المحسنين الذين قال الله فيهم: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

يقول عمر بن الخطاب: «من اتقى الله لم يشف غيظه، ومن خاف الله لم يفعل ما يريد، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون».

إن المؤمن برسالة السماء والمصدق بنبوة خاتم النبيين سيدنا محمد يحيا فى ظل مُثُل عليا ويعيش فى الحياة لرسالة كبيرة ويكبح جماح هواه، وهو فى نفس الوقت يعمر الدنيا وينميها ويمشى فى مناكبها ويأكل من رزق الله وينعم بالطيبات وقرآن السماء صداه فى أذنه ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢] وهو فى هذا السعى الطاهر يمتلئ قلبه باليقين بأن الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، وأنها قنطرة عبور إلى الحياة الباقية، إن ركعتين خاشعتين فى جوف الليل خير عند الله من الدنيا وما فيها، وحسب المؤمن أن يعيش فى الدنيا ليزرع للآخرة ويعمل فيها، وتوجيهات القرآن التى خاطب الله بهارسوله ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ [النجم: ٢٩] ولم يرد الحياة الدنياذلك مبلغهم من العلم، ولقد ضرب القرآن الكرم لنا مثلاً فى الطهر والعفاف بشاب عاش على الأرض واختلط بأهلها وأقبلت عليه الدنيا بمتاعها فى شخصية امرأة العزيز تراود يوسف عن نفسها فأبى ولاذ بدينه وقال: ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]. لقد أحس برقابة الله عليه وأنه يراه فى هذا المكان المغلق فاعتصم بدينه وانتصر صوت الإيمان فى قلبه على صوت الغريزة فى بشريته.

إن يقظة الضمير أقوى حارس على الإنسان، تأمل قصة ابنى آدم إذ قرَّبا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر، يقول من أشرب قلبه الشر لأخيه الصالح لأقتلنك يقول المؤمن ذو القلب التقى: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٧-٢٨]. يا سبحان الله، الإيمان حاجز عن ارتكاب المعاصى والعواطف الطيبة تتغلب على نوازع الشر.

لقد روت أم سلمة زوج الرسول الكريم قالت: «جاء رجلان إلى رسول الله ﷺ يختصمان فى ميراث وليس لهما بينة إلا دعواهما وكلاهما يدعيه لنفسه وينكر على صاحبه ما يطلبه. فقال ﷺ : «إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلىّ ولعلّ بعضكم أن يكون الْحَنَ بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع منه. فمن قضيت له من حق أخيه بشىء فلا يأخذ منه شيئًا فإنما أقطع له قطعة من النار». سمع الرجلان هذه الكلمات الحية فلمست أوتار الإيمان فى قلبيهما وأيقظت خشية الله فيهما فبكى كل منهما ثم تنازل لصاحبه فقال النبى ﷺ : «أما إذ فعلتما ما فعلتما فاقتسما وتوخيا الحق».

لقد جاء الرجلان إلى رسول الله ﷺ وكل واحد يتربص بالآخر شرًا فما أن جلسا إلى النبى الكريم حتى خرجا وكل منهما يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

إن الإسلام يحرص على تربية الفرد وتهذيب أخلاقه وتقويم سلوكه ليكون لبنةً صالحة فى بناء المجتمع يقوى بقوته ويصلح بصلاحه . إن الضمير فى الإنسان لا يشاهد بالعين وإنما هو قوة معنوية تنير للإنسانية طريق الخير ، والضمير هو عماد الأخلاق وركيزتها .

ولقد رُوى أن رجلاً اشترى عقارًا فوجد فيه جرة فيها ذهب فقال للذى اشترى العقار منه : خذ ذهبك عنى إنما اشتريت منك الأرض ولم أشتر الذهب . فقال الآخر إنما بعتك الأرض وما فيها . فتحاكما إلى رجل فقال لهما : ألكما ولد؟ قال أحدهما : لى غلام ، وقال الآخر : لى جارية ، فقال الحكم : زَوِّجا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسكم وتصدقا .

إن هذه النفوس التى تربت على الإيمان ومراقبة الله كانت فى يقظة دائمة لأنها تراقب الكبير المتعال وتؤمن بيوم الحساب ، يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه .

الخطبة الثالثة

الإسلام.. وتوجيهاته للتجار

الحمد لله الذى بحمده تتم الصالحات وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد مالك يوم الدين، ورب العرش العظيم يحيى ويميت، وهو حى لا يموت، بيده الأمر وهو على كل شىء قدير، سبحانه تنزه فى علاه عن الشبيه والشريك، لا سلطان لأحد عليه، ولا يسأل عما يفعل، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله النبى الأمى. الصادق الأمين ربى أتباعه على شرف الوسيلة ونبل الغاية وغرس فيهم مكارم الأخلاق وهو قدوتهم وإمامهم يعمل ويقول، لذلك ربى خير أمة أخرجت للناس وأسس أعظم مجتمع ساد فى جنباته الفضيلة وتحلى سكانه بالمروءة وحب الخير للناس صلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

أما بعد . . .

فلقد خلق الله الإنسان وإستخلفه فى الأرض ولن يكون عمار الأرض إلا إذا تكاتفت جهود الأفراد وتضافرت قواهم فتماسكوا كالبنيان المرصوص والتحموا ببعضهم فكانوا كالجسد الواحد، ويتأتى ذلك إذا شعر الشخص أنه يتعامل مع أشخاص يبادلونه المودة ويكنون له الحب ويجعلون التعاون على الخير سمة لهم، وإبرز هذه الخصائص مع التجار الذين يبيعون ويشترون، والإسلام له وصايا وآداب للتجار بالذات لأنهم إن اتصفوا بالأمانة والصدق وتحلوا بذلك عم الخير للمجتمع وسعد الناس فى ظل نعيم الإطمئنان إلى تعاملهم مع تلك الفئة التى يحتاج إليها فى قضاء مصالحة والتجارة إمانة، وصدق، ومروءة، وشهامة، وأدب، وعفة، وقناعة، فمن اتصف بذلك زاده الله الخير ونمى له تجارته وحفظ عليه صحته وبارك له فى أولاده وأعطاه من الخير أكثر مما يرجوه، ففى الحديث عن رسول الله ﷺ: كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنًا» وقال عمر بن الخطاب، رضى الله عنه إن الطمع فقر، وإن اليأس غنى وإنه من ييأس مما فى أيدى الناس أستغنى عنهم من هنا إهتم الإسلام بالتوجيه إلى كل كمال خلقى حتى يقوم المجتمع الفاضل. إن التاجر هو رمز النجاح لأى مجتمع يعيش فيه وبقدر ما يكون التجار أمناء يكون الخير فى الناس لأن الصغير سيبيع

ويشترى وأهله عليه مطمئنون . إن المال له بريق وله سيطرة على النفوس والمؤمن يقاوم ذلك بقوة إيمانه وزيادة يقينه . ذلك لأنه يحرص على رضاء الله أولاً وأخيرًا لأن الخير بيده وهو خالق الخلق وضامن الرزق لكل مخلوق، وصدق الله العظيم : ﴿ **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا** ﴾ [هود : ٦] . لذلك تجد المؤمن لا يجعل الدنيا فى قلبه، فهو لا يحبها، والرسول ﷺ يقول، والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتلهيكم كما ألهتهم إن التحذير من أن نتنافس على الدنيا وجمع المال من الحلال والحرام ولا نبالى . لذلك كان علينا أن نحاسب أنفسنا بين الحين والحين ونتعرف على الطريق الذى نسير عليه . إن بعض التجار يتنافس مع جاره ويريد أن يربح أكثر وأكثر حتى يشترى سيارة وعمارة ويذهب إلى هنا وهناك، وهو فى سبيل الحصول على الثروة يغش الناس ويدلس عليهم فى البيع والشراء فهو يعرض بضاعته ويبرزها للناس على أنها صنف جيد بينما هو يغش ويبيع أردأ الأصناف بأغلى الأثمان، وفى هذا جاء البيان من رسول الله ﷺ . عندما نزل السوق ومر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً، فقال ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال أصابته السماء يا رسول الله . قال أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس . من غشنا فليس منا . إن الذى حدث هو ما يحدث فى أيامنا بأن يعرض التاجر نوعًا من القماش أو الفاكهة أو ما شاكل ذلك من الأشياء الرديئة ثم يغالون فى الأسعار ويوهمون الناس بأن هذا من النوع الجيد فيشترى منهم البعض ويكسبون، فهم بذلك غشوا الناس وخدعوهم ونالهم المكسب والربح لكن ما علم هؤلاء إن الهم والغم دخل فى حياتهم وتسرب إلى نفوسهم وذلك مصداق ما جاء فى قول الله سبحانه : ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ** ﴾ [محمد : ١] . والذين كفروا مقصود بهم أنهم كفروا بلقاء الله ولم يؤمنوا بلقائه لذلك فهم يغشون الناس، والرسول ﷺ يقول : «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميص إن أعطى رضى وإن لم يعط لم يرض» إن التاجر الجشع لا يشبع أبدًا ومن هنا فهو لا يهدأ، يتعب نفسه وبدنه ولا يأتيه إلا ما قدر له لذلك قال رسول الله ﷺ : «يا أيها الناس أتقوا الله وأجملوا فى الطلب فإن نفسًا لن تموت حتى تستوفى رزقها وإن أبطأ عليها فاتقوا واجملوا فى الطلب خذوا ما حل، ودعوا ما حرم» ذلك لأن الغنى ليس عن كثرة العرض والمال ولكن الغنى غنى النفس .

إن المال الذى يجمعه التاجر بالربح الحلال يسعد به فى الدنيا ويفوز يوم القيامة، لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا والرسول ﷺ يقول: «يقول العبد مالى، مالى، وإنما له من ماله ثلاث ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فأقنى» ما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس كذلك التاجر الذى يغش اللبن ليربح أنه يفسد اللبن ويفقده خاصيته التى أودعها الله فيه وربحه سحت ومكسبه حرام. لأنه خدع الناس وأوهم بأنه صادق، وكل ما يجمعه هو إلى الهلاك، ولقد روى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كان رجل فيمن قبلكم يبيع الخمر فى سفينة له ومعه قرد فى السفينة وكان يشرب الخمر بالماء فأخذ القرد الكيس فصعد الذروة وفتح الكيس فجعل يأخذ دينارًا فيلقيه فى السفينة ودينارًا فى البحر حتى جعله نصفين». وقد ألهم الله القرد ذلك حتى يعطى الرجل درسًا عمليًا على أن مالا جاءت به الريح تأخذه الزوابع، كذلك ما تجمعه النملة فى سنة يأخذه الجمل فى خفه، فمن جمع المال من حرام سلط اله عليه الآكلة، وكما يقولون مال الكنزى للنزهى.

إن الأدب الإسلامى يأمر التاجر أن يبين العيب الذى فى سلعته وأن يبرز هذا العيب حتى لا يتسبب فى إرهاق الناس وأكل أموالهم بدون وجه حق، ففى حديث عن رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم» ولا يحل لمسلم إذا باع من أخيه بيعا فيه عيب أن لا يبينه وفى الحديث الآخر عن رسول الله ﷺ قال: قال الله عز وجل: «أحب ما تعبد لى به عبدى النصح لى».

وعن الحسن قال: ثقل معقل بن يسار فأتاه عبد الله بن زياد رضى الله عنه يعود فقال: هل تعلم يا معقل أنى سفكت دمًا حرامًا؟ قال لا أعلم. قال هل علمت يا معقل أنى سفكت دمًا حرامًا؟ قال لا أعلم. قال هل علمت أنى دخلت فى شىء من أسعار المسلمين؟ قال ما علمت. قال أجلسونى ثم قال أسمع يا عبد الله حتى أحدثك شيئًا ما سمعته من رسول الله ﷺ مرة ولا مرتين سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من دخل فى شىء من أسعار المسلمين ليغلبن عليهم كان حقًا على الله تبارك وتعالى أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة» قال أنت سمعته من رسول الله ﷺ قال نعم غير مرة ولا مرتين، وفى رواية أخرى من دخل فى شىء من أسعار المسلمين يغلى عليهم كان حقًا على الله أن يقذفه فى جهنم رأسه أسفل، وأبو هريرة رضى الله عنه رأى رجلاً يغش اللبن قال له كيف بك إذا قيل لك يوم القيامة خالص هذا من تلك، إن كل شخص على نفسه بصير وعليه أن يستعد للسؤال أمام رب عليم لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء. إن أى شخص خدع الناس

هو يخدع نفسه أولاً وفى هذا يقول الله : ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة : ٩- ١٠] .

فإلى كل تاجر نقدم له النصح ونقول له تعامل مع الله الذى يعلم سرك وعلانيتك ولا تخفى عليه خافية واسمع لقول الحق : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف : ١٠ - ١٣] . «إن التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء كما قال رسول الله ﷺ وفى رواية أخرى التاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيامة . إن البائع إذا بين ما فى سلعته وحدد مكسبه بما يرتضيه لنفسه بلا مغالاة فإن خير الله ينزل عليه البركة تكون فى ماله وأولاده ويزيده الله من خيره . ففى الحديث عن رسول الله ﷺ البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدق البيعان وبينا بورك لهما فى بيعهما وأن كتما وكذبا فعسى أن يربحا ربحًا ويمحقا بركة بيعهما . اليمين الفاجرة منفقة للسلعة ممحقة للكسب فاتقوا الله يا عباد الله وكونوا صادقين أمناء أفياء ، وقدموا النصيحة للتجار وعلموهم أن لا يحلفوا بالله فإن اليمين الغموس هى التى تغمس صاحبها فى نار جهنم وهذه الإيمان هى التى يقسم بها التجار على سلعهم ليروجوها ويكثر الواحد منهم بالحلف بالطلاق مرة وبالله أخرى وإنه كافر وخارج عن الإسلام كل ذلك ليروج بضاعته وهو يعلم أنه غشاش مدلس فالإنسان الصادق لا يحلف ولا يكثر من الايمان وإنما يقول صدقنى . وهذا شرف ما بعده شرف لذلك قال الرسول ﷺ أربعة يبغضهم الله : البياع ، الحلاف ، والفقير المختال ، والشيخ الزانى ، والإمام الجائر . وفى حديث آخر ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة . أشميط زان . وعائل مستكبر ، ورجل جعل الله بضاعته لا يشترى إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه .

إن نبى الإسلام صلوات الله وسلامه عليه الذى أخبرنا بمنزلة التاجر الأمين وهو الذى حدثنا بمنزلة التاجر الكذاب ، لذلك قال : يامعشر التجار . فاستجابوا لرسول الله ﷺ . ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه فقال : إن التجار يبعثون يوم القيام فجارًا إلا من أتقى الله وبر وصدق . وفى حديث آخر : إن التجار هم الفجار قالوا يارسول الله أليس قد أحل

البيع قال بلى. ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون. إن آداب الإسلام توجه التجار إلى الصدق والأمانة وعدم المغالاة فى الأسعار والابتعاد عن الحلف بالله والطلاق وبعض الألفاظ التى تجرى على ألسنتهم وعلينا أن نوجه كلمة الشكر للتاجر الأمين لأنه رمز الخير فى مجتمعنا الذى نعيش فيه وعلى التاجر أن يبيع ما فى سلعته حتى يكون ربحه حلالاً يبارك الله فى مكسبه ويمتعه بالصحة والسعادة وراحة البال وتلك جنة الدنيا التى طالبنا الإسلام أن نحول حياتنا إلى نعيم أما فى الآخرة فهناء وروح وريحان وجنة نعيم. عن رسول الله ﷺ أن التاجر إذا كان فيه أربع خصال طاب كسبه. إذا اشترى لم يذم، وإذا باع لم يمدح ولم يدلس فى البيع ولم يحلف فيما بين ذلك. . وعنه أنه قال: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له».

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . له الحمد فى الأولى والآخرة. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد . . .

فإن بعض الناس يقول: التجارة شطارة وحقًا هى شطارة. لأن الإنسان الشاطر هو الذى يمهد لنفسه طريق السعادة فى الدنيا والفلاح فى الآخرة. وإن التاجر النزيه هو الذى يصون شرفه ويحفظ عرضه ويتقى ربه ويخاف من الندم فى ساعة لا ينفع فيها إلا من أتى الله بلقب سليم. ولقد ضرب سلفنا الصالح أمثلة رائعة رائدة لنا فى النزاهة والقناعة فهذا عثمان بن عفان رضى الله عنه جاءت تجارة من الشام وجاء إليه التجار وطلبوا منه شراء ما تحمله القافلة وسوف يربحوه ستة فى المائة لكن عثمان قال هناك من عرض على أكثر فقالوا لك عشرة فى المائة قال هناك من أعطانى أكثر. ذلك لأن عثمان كان يعلم أن الأصناف غير متوفرة فى السوق وأن التجار سيكسبون منها مائة فى المائة لكنه لما أخبرهم أن هناك من دفع له أكثر قالوا نحن تجار المدينة فمن زاد علينا قال أشهدكم إننى بعتها لله وسأتصدق بها على فقراء المسلمين لأن الله وعدنى المكسب على سبعمائة فى المائة مصداق قوله سبحانه:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾ [البقرة : ٢٦١] . ونحن لا نطلب من التجار أن يكونوا على هذا المستوى الرفيع من الإيثار لكن نطالبهم بصدق الكلمة وتحديد الربح مع عدم المغالاة وعدم الحلف وأن يبين التاجر ما فى سلعته وليعلم أن دنيا الناس فانية والآخرة خير وأبقى وأنه يبيع ويشترى والرقيب عليه هو الله رب العالمين فاتقوا الله يا عباد الله وقدموا لأنفسكم خيرًا تجدوه عند الله . وما تقدموا لأنفسكم من خير يدخر لكم فى يوم أطول من خمسين ألف سنة مما نعد . ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلمًا ولا هضمًا . وصدق الله العظيم . ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف : ٩٦] . ونسأل الله أن يهدى نفوسنا ويطهر أرواحنا ويرزقنا الإخلاص فى القول وا لعمل .

الخطبة الرابعة

الإسلام ورأيه فى الدخان

الحمد لله رب العالمين، نحمده سبحانه أن هدانا للإسلام، وأحل لنا الطيبات التى تنفع أبداننا، وتقوى أجسامنا، وتسمو بأرواحنا، وتنمى فينا عوامل الخير، وأشهد أن لا إله إلا الله خلق الإنسان وشرفه، ورفع قدره وكرمه، وأسجد له ملائكته لسمات طيبة فى جسده، وخصائص طيبة فى بدنه سماها «العقل» الذى به يعى الإنسان ويفهم ويميز بين الضار والنافع، ولذلك قال الله فى القرآن الكريم ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾ [الإسراء: ٧٠]. وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله، النبى الأمى، الذى بعثه الله على حين فترة من الرسل فأخرج الناس من الظلمات إلى النور، وحرر عقولهم من ذل الهوى، وفك قيود الإستعباد لغير الله من على رقابهم وربى أمة، قال عنها القرآن أنها خير أمة أخرجت للناس لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، صلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد...

فإن الله جلت قدرته لما خلق العقل خاطبه قائلاً: أقبل، فأقبل، ثم قال أدبر فأدبر، فقال الله عز وجل: «وعزتى وجلالى بك أحاسب، وعليك أعاقب»، ويقول الله فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع ﴿**وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ [آل عمران: ٧]. ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [الروم: ٢٤]. ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الروم: ٢١]. كل ذلك يدل على أن القرآن يحفل بالعقل ومظاهر تكريم العقل فى الإسلام أكثر من أن تحصى أو تعد بل أن التكليف بالأحكام الشرعية وتحمل المسئولية يأتى بعد التمييز وقدرة العقل على التفكير.

وإذا جلسنا مع القرآن نقرأ فى آياته، ونقلب فى صفحاته فسنجد أن الله عز وجل يبين فى القرآن أن الذين ينتفعون بالموعظة التى توجه إليهم وترقق قلوبهم لسماع كلام الله، وهم أهل تكريمه وفضله هم أصحاب العقول والنهى. ﴿**وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ**﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وإذا كان العقل السليم فى الجسم السليم فإن الإسلام يحرص على سلامة الجسد ليتحقق من ورائه سلامة العقل حتى يستطيع الإنسان بجسمه وعقله أن يعبد الله عبادة صحيحة وأن ينتشر فى الأرض يبتغى من فضل الله حتى لا يكون الإنسان عبئًا على غيره وعالة على المجتمع ينفر منه الصديق، ويستعبده العدو.

وأول مظاهر التكريم للإنسان فى القرآن أن الله أحل له الطيبات التي ينتفع بها الجسد وتتسع بذلك مدارك العقل فهمًا وادراكًا، وحرم الله على الإنسان الخبائث التى منها وبسببها تضعف قوى الإنسان وتخور عزيمته وبالتالى يضعف العقل وتضيق دائرة تفكيره فلا يستطيع أداء عبادة لله ولا تنمية العلاقات الإنسانية، لذلك سد علينا القرآن منافذ تناول الخبائث واستبدل بها الطيبات يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. ويقول سبحانه فى آية أخرى ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]. ويقول فى آية أخرى ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[الأعراف: ٣٢].

وإن الله سبحانه أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين من تناول الطيبات والبعد عن الخبائث لأنه سبحانه وتعالى يحرص على سلامة المجتمع الإسلامى وعلى أن يرقى كل إنسان فى مدارك الرقى المصحوب بسلامة الجسد والعقل لأن ذلك أساس الحضارة والتقدم وبسبب ذلك استخلفنا الله فى أرضه ووجه إلينا النصح وزودنا بالارشاد فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [المؤمنون: ٥١]. وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢].

ومن المعلوم فى دين الله أن الخمر حرام وهى تصنع من العنب والبلح لقول الله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٦٧]. فالخمر وهى حرام والعنب وهو الأصل وكذلك البلح تناوله حلال لأن الجسم يستفيد منهما قبل أن يخمرا. فالعقل السليم يختار ما فيه نفع للجسد وهو العنب والبلح قبل أن يخمرا، ثم يتدبر العقل كل ما يهلك البدن، فالخمور اليوم تعددت أصنافها، وتغيرت أسماؤها، وألحق بها من المخدرات المنتجة من الزراعة أو المصنعة كيماويًا الشىء الكثير، كل ذلك يلحق بالخمور فى الحرمة، لذلك نهى الرسول ﷺ [١] عن كل مسكر ومفتر.

إذا كان الأمر كذلك فما الرأى بالنسبة للدخان، الذى يتناوله الناس إما على هيئة سيجارة أو يستعملونه على النرجيلة والشيشة، أو يتناولونه مصنعًا تحت اللسان، أو نشوقًا فى الأنف، وما يدور فى فلك ذلك حسب بيئة الإنسان وعرفه وتقاليده، وننقل أولاً فقرة لمجلة عالمية تسمى «هكساجون» المجلد السادس رقم ٣/ ١٩٧٨ والصادرة من سويسرا تقول المجلة «إن شركات التبغ «الدخان» تنتج سيجارتين يوميًا لكل إنسان على ظهر الأرض، ولو أخذت هذه الكمية من النيكوتين - وهو مادة موجودة فى جميع الأدخنة - دفعة واحدة لاستطاعت السجائر أن تبيد الجنس البشرى بأكمله فى ساعات». ويقول تقرير الكلية الملكية للأطباء بالمملكة المتحدة الصادر فى عام ١٩٧٧ «إن كمية النيكوتين الموجودة فى سيجارة واحدة كفيلة بقتل إنسان فى أوج صحته، لو أعطيت له هذه الكمية من النيكوتين بواسطة إبرة فى الوريد، و يقول نفس التقرير، إن تدخين السجائر فى العصر الحديث يسبب من الوفيات ما كانت تسببه أشد الأوبئة خطرًا فى العصور السابقة. ذلك لأن تدخين سيجارة واحدة تقصم من عمر المدخن خمس دقائق ونصف، وهو نفس الوقت الذى يقضيه المدخن عادة فى تدخينها». ثم يشير التقرير إلى أن خطورة التدخين لا تقتصر على المدخنين وحدهم وإنما يتعدى ذلك إلى الذين يجاورونهم ويصل الدخان إلى أنوفهم. كما أن الأجنة فى بطون الأمهات تتأثر بذلك، والذين يعيشون فى غرف مليئة بدخان السجائر هم أكثر تعرضًا للالتهابات الرئوية والنزلات الشعبية».

ولاشك أن أثر التدخين على الجهاز العصبى وعلى المخ بالذات خطير جدًا لأن النيكوتين مادة شَديدة السمية فهو من أخطر المواد على عصب الإنسان ولذلك يؤكد تقرير الصحة العالمية الصادر عام ١٩٧٥ «أن عدد الذين يلاقون حتفهم أو يعيشون حياة تعيسة من جراء التدخين يفوقون دون ريب عدد الذين يلاقون حتفهم نتيجة الطاعون والكوليرا والجدرى»، ويؤكد التقرير «أن الوفيات الناتجة عن التدخين هى أكثر بكثير من جميع الوفيات بالأمراض الوبائية»، وكما يؤكد الدكتور «كيث بال» فى المجلة الطبية عدد ديسمبر ١٩٧٨ «أن من بين كل عشرة مدخنين ثلاثة أو أربعة منهم سيلاقون حتفهم نتيجة التدخين» وهذا ما أكده أيضًا تقرير الكلية الملكية للأطباء.

إن الإنسان جبل على رؤية الأخطار المباشرة ويتعامى عن الأخطار المستقبل فإذا ما تنبه الإنسان إلى نفسه فإنه يقف أمام الدخان وقفة يتبين منها الآتى :

١ - الدخان فيه ضرر بالصحة كما شهد بذلك أعداء الإسلام.

٢ - الإسلام يحرم عليك كل شيء يضر بصحتك إذ قال بذلك خبير من أهل الرأى فى مجال ما يتحدث به الطعام الطيب تناوله حلال لكنك إن ملأت المعدة تسبب من وراء ذلك تعب لجسمك فإن الإسلام يقول لك لا تسرف فى تناول الطعام ما دام الاسراف يضر ببدنك، قال تعالى : ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف : ٣١]. فيه ضياع المال قبل ضياع الصحة، والإسلام يحرم عليك تبذير المال بلا فائدة قال تعالى : ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾الإسراء : ٢٦ , ٢٧].

ورب قائل يقول : إن حالتى المادية لا تتأثر بشراء السجائر، ونقول له أن علبة السجائر التى سوف تنفخها فى الهواء، فى إمكانك أن تساهم بها فى حل أزمة مكروب، تشترى بها طعامًا لجائع، أو دواء لمريض، أو تسهم بثمنها فى بناء مدرسة، أو طبع كتاب : تعلم الأمى وتنشر الفضيلة، أو تضع ثمنها مساهمة فى بناء مستشفى تضم بين جنباتها المريض الذى لا يجد المكان الذى يأويه، وإذا كان مجتمعك قد تحقق فيه كل ذلك فليس أمامك مسكين أو محتاج، فأنت مثلا لا حدود لوطنك ولا تعصب لقوميتك، فكل من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله فى أي بقعة هو أخ لك فى العقيدة وشقيق لروحك، وسوف تسأل عنه إن كان محتاجًا أمام الله يوم القيامة، يقول الله لك : «ياعبدى كنت جائعًا فلم تطعمنى، عريانًا فلم تكسنى، ظمآنًا فلم تسقنى، تقول يا رب : أنت ملك الملوك، ورب العالمين، ومالك الملك، كيف حدث لك هذا؟ يقول لك الله عز وجل، جاع عبدى فلان فلم تطعمه، وكان عبدى فلان عريانًا لم تكسه، وكان عبدى فلان فى حاجة إلى ماء، ولعدم وجوده مات فلو حفرت له بئرًا أو استخرجت الماء بأى وسيلة لتبقى على حياته، لو أنك فعلت ذلك لوجدت ذلك عندىَ اليوم» فليس لك يوم القيامة حميم، ولا طعام إلا من غسلين، ولا مكان إلا سقر وهى بطبيعتها لا تبقى ولا تذر، لواحة للبشر، عليها تسعة عشر والملائكة يسألون : ما سلككم فى سقر؟ والجواب الذى تنطق به الألسنة آنذاك : لم نك من المصلين، ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين، وكنا نكذب بيوم الدين.

من هنا أيها المسلمون فإن الإنسان على نفسه بصير، عليه أن يتدبر أمره، ويتعرف على حاله، ولا يكون أسير هواه، ولا عبد شهواته، ورغبات نفسه، بل عليه أن يتحرر من ذل العبودية إلا لله، وأن يدخر لنفسه فى دنياه ما ينفعه يوم القيامة، وأن يحافظ على صحته فإنها أمانه سيسأل عنها بين يدى الله فاتقوا الله وأطيعوه واستجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واستغفروا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله . وأشهد أن لا إله إلا الله . وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه .

أما بعد . .

فيا عباد الله اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعلموا أن الرسول ﷺ وجه إلينا النصح والإرشاد فى أن نغتنم الحياة قبل الموت والصحة قبل المرض والشباب قبل الهرم والغنى قبل الفقر ، . فعلى الإنسان العاقل أن يبتعد عن التدخين وأن يجلس مع نفسه يسألها ، كم من الجنيهات بعثرتها فى الهواء؟ فلو أن هذه الجنيهات الآن فى يدك ، وقمت بعمل مشروع خدمت به نفسك ، وأدخلت به الرخاء على مجتمعك ، كم سيكون سرورك بذلك ، لكن المال ضاع ، والصحة ضاعت ، ويندم الإنسان حيث لا ينفع الندم . وعلاوة على ما قدمنا من أضرار الدخان ، فإنه أيضًا يترك رائحة كريهة فى فم متعاطيه ، والمسلم مطالب بأن يكون نظيف البدن ، طيب الرائحة . تحف به الملائكة ولا تهرب من رائحته فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم .

واعلموا يا عباد الله أن الطيبات التى أباحها الإسلام لنا يجد فيها الإنسان متعة جسده وراحة باله ، وهدوء سره ، أما الخبائث ، فإنها توحد الكآبة الفكرية ، والتمزق النفسى ، يتحسر الإنسان على ما ضاع منه ، ولا يستطيع أن يعيده بعد أن فقده ، يقول المثل «القرش الأبيض ينفع فى اليوم الأسود» وان ثمن علبه السجائر تستطيع أن تتصدق بها على جائع أو مسكين فتنفعك يوم القيامة ، والكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى فاتقوا الله واستجيبوا له ولرسوله وتمسكوا بصالح العمل وخير القول وأكثروا من الصلاة والسلام على سيدنا محمد لأمر الله لنا فى صريح القرآن بذلك .

الخطبة الخامسة

المخـــــدرات

الحمد لله رب العالمين : الذى خلق الإنسان وميزه بنعمة العقل . وعلمه البيان . وأشهد أن لا إله إلا الله الذي خلق فسوى ، والذى قدر فهدى . أحل لنا الطيبات التي تحفظ علينا قوة الجسم وتديم لنا نعمة العافية . وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله الذي حمل إلينا رساله الله ، من أخذ بها فاز وسعد ، ومن حاد عنها شقى وطرد .

صلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، الذين تربوا فى مدرسة الإسلام ، فكانوا نماذج طيبة لمن يريد الخير والفلاح .

أما بعد . . .

فإن من مظاهر تكريم الله للإنسان أن خلقه وسواه ، وأبدع صورته ، ومنحه العقل الذى به يتعرف على الخير والشر ، ويميز به بين الضار والنافع .

وقد اعتبر الإسلام وجود العقل فى الإنسان أساسًا للتكليف بالأحكام الشرعية ، وبه يتحمل المسؤولية التى فرضها الإسلام على الإنسان ولقد جاء فى الأثر . لما خلق الله العقل . قال له : أقبل . . فأقبل . . ثم قال : أدبر فأدبر . فقال الله عز وجل : «وعزتى وجلالى بك أحاسب ، وعليك أعاقب» .

ولقد قيل لابن عباس رضى الله عنهما ، بماذا نلت العلم؟ قال : «بلسان سئول ، وقلب عقول» . وسأل عمر بن الخطاب تميم الدارى ، ما السؤدد فيكم؟ قال : «العقل» .

والقرآن الكريم وهو دستور الإنسانية الراشدة ، يدعو الناس إلى فتح منافذ الحس ، عملاً على تنمية قدراتهم العقلية والفكرية ، ليحملوا أمانة الخلافة عن الله فى الأرض . فقال تعالى : ﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ**﴾ [الزمر : ١٨] . لأن الإنسان بعقله وفكره لا بجسمه وحجمه .

والإسلام يدعو إلى المحافظة على العقل ، أمام المؤثرات الفكرية والنفسية . لأن العقل الذى يتربى فى مدرسة الإسلام واع وحصيف لأنه كل يوم يزداد علمًا . قال تعالى معلمًا للإنسان : ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ [طه : ١١٤] .

والعقل فى نظر الإسلام : ليس عضوًا فى جانب معين من الإنسان ، وإنما هورجاحة

فكر وسداد رأى. وحكمة فى نطق، وتمييز بين طيب وخبيث. وفى ذلك يقول «ابن تيمية»: والعقل المشروط فى التكليف: لابد أن يكون علوما «أى يدرك ويميز» - يميز بذلك الإنسان بين ما ينفعه وما يضره. فالمجنون الذى لا يميز بين الدراهم والدنانير.. ولا بين أيام الأسبوع ليس بعاقل. لذلك يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

لما كان العقل بهذه المنزلة. أمرنا أن نحافظ عليه لأن من فقد عقله فقد الحياة.. نرى أن الإسلام حرم تعاطى الخبائث التى تفقد الإنسان عقله، وتضر بصحته. لأنه قيل: «العقل السليم فى الجسم السليم».

وانطلاقًا من هذا المعنى: حرم الله تعالى الخمر وكل مشتقاتها على الإنسان لأنه فى تعاطى المسكرات اعتداء على العقل وإضرار بالصحة وهدم لكيان عظيم بناه الله تعالى. وخروج على الآداب العامة فى المجتمع الذى يعيش الإنسان فيه.

يقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠, ٩١].

فمعلوم أن الخمر وسيلة من وسائل الشيطان، يدفع بشاربيها إلى خسيس الأعمال وأحقر الصفات، ومن رحمة الله بالناس أنه أحل لهم الطيبات. وحرم عليهم الخبائث ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]. فالخمر من عمل الشيطان وهى أم الفواحش والخبائث وتوقع الإنسان فى الإجرام حيث يرتكب أكبر الكبائر بعد أن فقد عقله وضاع صوابه. ولهذا يقول الرسول ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر». ويقول عبد الله بن أبى أوفى: «من مات مدمن خمر مات كعابد للات والعزى». قيل له؟ مدمن الخمر هو الذى لا يستفيق من شربها؟ قال: لا. ولكن هو الذى يشربها إذا وجدها ولو بعد سنين».

ومن المعلوم أن الخمر تتلف المال وتذهب بالعقل، وشاربها يرتكب الزنا وربما يقع على أمه وخالته. لذلك يقول الرسول ﷺ عندما سئل عن الخمر؟ قال: «هى أكبر الكبائر، وأم الفواحش، من شرب الخمر ترك الصلاة، ووقع على أمه وخالته وعمته» وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: «أوصانى خليلى ﷺ لا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر».

وسميت الخمر خمرًا لأنها تخامر العقل وتغطيه، ولهذا يقول الرسول ﷺ : «كل مسكر خمر، وكل خمر حرام» ويقول: «كل شراب أسكر فهو حرام»، ويقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «أيها الناس إنه نزل تحريم الخمر وهى من خمسة: من العنب والتمر، والعسل، والحنطة، والشعير، والخمر ما خامر العقل».

والعبرة أيها المسلمون بما يسكر، فكل شيء غطى عقل الإنسان وأخرجه عن وعيه فهو حرام، لذلك صح عن رسول الله ﷺ قوله: «كل مسكر حرام». وعن ابن عباس أنه قال: «ما أسكر فهو حرام».

وإذا كان قد ظهر فى أيامنا هذه أشياء تفسد العقل وتغيبه، وتضيع المال وتتلفه. وتضر بالصحة وتهلكها، فإنها جميعًا تدخل فى الحرمة لقول الرسول ﷺ : «لا تذهب الليالى والأيام. حتى تشرب طائفة من أمتى الخمر ويسمونها بغير اسمها».

فالخمر إذن اسم لكل ما يسكر جنسه مهما أحدث الناس له من أسماء وسواء كان ما يتعاطونه مائعًا أو جامدًا، طالما توفر فيه معنى التحريم وهو الإسكار يقول ابن رشد: «وقد ثبت من حال الشرع بالإجماع أنه اعتبر فى الخمر الجنس دون القدر الواجب فوجب كل ما وجدت فيه علة الخمر أن يلحق بالخمر».

وبهذا ينسحب الحكم على المخدرات سواء ما أخذ من الزرع أو صنع بالمواد الكيماوية كالحشيش والأفيون والحبوب المصنعة كالكوكايين، والماتردين، أو ما يكون حقنا «كالمكس». وكل ما من شأنه تغييب العقل واطفاء نور الله فيه.

وقد اتفقت كلمة العلماء قديمًا وحديثًا كما اتفقت كلمة الأطباء كذلك على تحريم تعاطى المخدرات لأنها لها تأثير متفاوت الدرجات على الوظائف العقلية من حيث الإدراك والتفكير والتخيل والتصور والقدرة على الابتكار. وغير ذلك من وظائف العقل المختلفة.

ولما كان الإسلام قد أحاط العقل بسياج من الرعاية العظيمة، فإن العلماء قد حرموا تعاطى المخدرات، لأن فى ذلك اعتداء على أعضاء الجسم، وتعطيلها عن أداء وظائفها ولأن الشرع الحنيف قد حذر أى إنسان من الاعتداء على نفسه فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[النساء: ٢٩]. وقال: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥]. ونحن نعلم أنه يجوز لمن خاف على نفسه من البرد أن يتيمم. فإذا كان كذلك، فبالأولى أن يبتعد عن كل ما يضره، يقول ابن تيمية: «إن الحشيشة من أعظم

المنكرات وهى شر من الخمر وأخبث منها لأنها تفسد العقل والمزاج حتى يصير فى متعاطيها تخنيث ودياثة وقوادة وغير ذلك من الفساد» .

وقد جاء فى كتاب تنوير الأبصار وجامع البحار : «ويحرم أكل البنج والحشيش والأفيون وذلك كله حرام، لأنه يفسد العقل حتى يصير الرجل صاحب خلاعة وفساد، وبعيدا عن ذكل الله وعن الصلاة» .

ولما كانت علاقة الإنسان بربه فى الإسلام علاقة دائمة غير منقطعة، ومناط التكليف فى الإنسان هو العقل، فإن ذلك يتطلب منا الابتعاد عن كل ما يتلف العل ويغيبه . لأن الإسلام يطلب من المسلم أن يكون فى يقظة فكرية دائمة يستعمل عقله فى كل شيء، ويتأمل مظاهر قدرة الله فى الكون الذى يحيط به .

فاتقوا الله عباد الله : واعلموا أن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير . . وحزب الشيطان هم الذين يحللون ما حرم الله، ويفسدون على الناس دينهم ودنياهم ويروجون هذه السموم القاتلة فى مجتمع المسلمين وينتحلون الأسباب الواهية لإيقاع ضعاف النفوس فى تعاطى هذه الأشياء التى حرمها الشرع الحنيف حفاظًا على الإنسان وعقله، ورحمة به من الهلكة والضياع .

عن رسول الله ﷺ أنه قال : «كل مسكر حرام وما أسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام» وعنه قوله : «ما أسكر كثيره فقليله حرام» .

الخطبة الثانية

الحمد الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وأشهد أن لا إله إلا الله الرحيم بعباده وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله بشر الصالحين بالحسنى وزيادة اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وبعد .

فإن المخدرات سلاح فتاك من أسلحة الاستعمار إذا أراد أن يحتل أمة فإنه يرسل بهذه السموم قبل زحفه عليها ليحطم قواها الفكرية وملكاتها العقلية، ويشل حركتها الجسدية فتكون أمة خاملة منهوكة القوى مضطربة الأعصاب ممزقة النفس أسيرة مزاج وهوى . فيسهل على المستعمر تمزيق شملها وتشتيت جمعها وهدم حضارتها، وطمس معالم الأخلاق الفاضلة فيها .

ولما كان الإسلام يدعو إلى القوة والعزة لأن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، لذلك حرم كل مسكر ومخدر ومفتر ففى الأثر: «نهى رسول الله عن كل مسكر ومفتر»، يقول الخطابى فى شرح الأثر: المفتر كل شراب يورث الفتور والخور فى الأعضاء، ويقول ابن حجر هذا الحديث فيه دليل على تحريم الحشيش فإنها تسكر وتخدر وتفتر. تقول السيدة عائشة رضى الله عنها: «إن الله لم يحرم الخمر لاسمها وإنما حرمها لعاقبتها فكل شراب يكون عاقبته كعاقبة الخمر فهو حرام كتحريم الخمر». وقيل لأبى بكر رضى الله عنه لِمَ لَمْ تشرب الخمر؟ قال: ما كنت لأصبح سيد قوم، وأمسى من سفهائهم».

فاتقوا الله يا عباد الله واعلموا أن الله مدح المؤمنين بقوله: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨]. ويقول عنهم فى موضع آخر: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾[القصص: ٥٥].

اتقوا الله وآمنوا برسوله واقتدوا به وبصحابته وأتباعهم الكرام وقولوا قولاً سديدًا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم وأكثروا من الصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ لعلكم ترحمون.

الخطبة السادسة

الإسلام وتربية الشباب

الحمد لله . . رب العالمين، نحمده ونستهديه، ونؤمن به ونتوكل عليه لا إله إلا هو الملك الحق المبين وأشهد أن لا إله إلا هو رب الكون وما حوى . ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] . وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله أوفى ا لناس ذمة وأصدقهم حديثًا وأخلصهم لله فى سره وعلانيته . صلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد . . .

فإن الشباب أعظم رصيد يدخرلصالح الأمة وخير الإنسانية . ولن يتم ذلك إلا إذا قمنا على رعاية شئونهم من أول الأمر وهيأنا المناخ الملائم لهم ليشبوا فى جو يتسم بالخير ونعمل بكل ما لدينا لغرس العقيدة الصحيحة فى نفوسهم . من هنا كان توجيه الإسلام باختيار الزوجة الصالحة المتدينة حتى تدوم العشرة وتصفو المودة لأن المرأة هى التى تنجب الأولاد وتقوم على رعايتهم فإذا تم ذلك وكان الحمل فإن على الأب أن يقوم برعاية زوجته وتهيئة الجو الهادئ للأم اثناء الحمل . الجو الطيب المتسم بروح الود والتفاهم بين الأطراف لأن الزواج سكن ومودة ورحمة وفى هذا الجو يخرج الولد إلى الوجود فينهض الأب ويردد الفاظ الأذان فى أذنه اليمنى ويقيم الصلاة فى أذنه اليسرى فقد روى ابن السنى عن الحسين بن على رضى الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال : «من ولد له مولود فأذن فى أذنه اليمنى وأقام فى أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان» . بهذا الأدب النبوى والتوجيه المحمدى من الرسول الكريم ﷺ للآباء يكون أول ما ينطبع فى قلب المولود الله أكبر ، والدعوة إلى الصلاة وإقامتها والمحافظة عليها . كما جاء التوجيه باختيار الأسماء الحسنى للأبناء فيسميه باسماء تدل على الشهامة والإكبار . هذا فى جانب الأبناء أما البنات فتكون الأسماء فيها رقة وعذوبة فقد روى أبو داود عن أبى الدرداء رضى الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال : «إنكم تدعون يوم القيام بأسمائكم وأسماء آبائكم فحسنوا أعمالكم . وأحب الأسماء إلى الله تعالى، عبدالله، عبد الرحمن» . إن الأب مسئول عن أبنائه أمام الله لأنهم أمانة بين

يديه عليه أن يرعى الأمانة ويتحمل المسئولية بكل جدارة وكفاءة ذلك لأن حق الولد أن يحسن اسمه وأن يزوجه إذا أدرك ويعلمه الكتابة . كما قال رسول الله ﷺ وأول حقوق للولد بعد ولادته : الرضاع لقول الله تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] . ولقد قلنا أن اختيار الأم أمر هام جدًا لأنه جاء فى تفسير هذه الآية ، أن لبن المرضع يؤثر فى جسم الطفل وأخلاقه وسجاياه ولذلك يحتاط فى انتقاء المراضع ويجتنب استرضاع المريضة والفاسدة الأخلاق والآداب .

إن الطفل الذى تكون فى بطن أمه هو بضعة منها لأنه فى أحشائها تكون ومن دمها ولبنها تغذى وفى حجرها وبين أحضانها ينشأ وينمو لذلك فهو يكتسب من طباعها ويتأثر بأخلاقها . فالأم هى التى تحسن رعاية المولود وتصبر على هذه العناية . وقد تقرر طبيًا وشوهد حسيًا تأثر الرضيع بلبن المرضع فى تركيبه الجسمانى وخلقه النفسانى والتعامل برفق مع الأطفال فى حياتهم الأولى أمر مطلوب لذلك ورد عن رسول الله ﷺ أنه كان يعامل الأطفال برفق ولين فقد كان الحسن والحسين يجلسان على فخذيه ويقبلهما ويقول : «هما ريحانتاى فى الدنيا» ولقد رآه أحد الاعراب فقال : «ما هذا يا رسول الله أتقبل الصبيان قال نعم ، وأنت . قال : والله أن لى أولادًا عشرة ما قبلت واحدًا منهم . فيقول له ﷺ أو أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك من لا يَرحَمْ لا يُرحم . إنما يرحم الله من عباده الرحماء» .

إن الرفق واللين فى تعامل الأطفال أمر مطلوب مرغوب ليكون هناك تجاوب وحنان وعطف ولين لذلك جاء فى الحديث عن رسول الله ﷺ : «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر» ومن تعاليم الإسلام أن تعدل بين أبنائك ولا يتميز الولد على البنت أو البنت على الولد . بل العدل أمر مطلوب من الآباء لأن التفرقة فى المعاملة توغر الصدور وتؤجج العداوة فى نفوس الأبناء وهذا يسرع بالقضاء على الأسرة ويهددها بالدمار ومن كلام رسول الله ﷺ اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم .

إن الوقاية خير من العلاج لهذا كانت عناية الإسلام بالطفولة ، وتوجيه النظر إلى رعاتها من أول لحظة مع التوجيه باختيار الزوجة ليكون الأبناء نعمة يسعد بهم الإنسان فى حياته وينعم بهم يوم القيامة ونلحظ هذا فى قول الأحنف بن قيس لمعاوية بن أبى سفيان وقد سأله عن الولد ، فقال يا أمير المؤمنين : هم ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم أرض

ذليلة وسماء ظليلة وبهم نثور على كل جليلة أن طلبوا فأعطهم وأن غضبوا فأرضهم يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم ولا تكن عليهم ثقيلاً فيملوا حياتك ويكرهوا قربك ويودوا وفاتك . إن هذا الكلام فيه توجيه للآباء أن يتعاملوا مع أولادهم بالرفق حتى لا يملوهم والرسول يقول فى هذا الحق وهو يوضحه ويبينه أكثر . حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وأن لا يرزقه إلا طيبًا ، أن الوالد عليه أن يلاعب ولده ويلقنه فى أثناء ذلك العقيدة الصحيحة ويغرس فيه أن الذى خلقه هو الله ، والذى يرزقه هو الله وأن الله واحد ونلحظ هذا من قول لقمان لولده ﴿ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣] . وقول الرسول لابن عباس : «يا غلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله» . وهكذا يكون التعليم للأبناء منذ الأيام الأولى من حياتهم .

فى هذه المرحلة على الأب والأم أن يعلما أن الطفل يقلدهم فى تصرفهما لأن الشىء الذى يفعلانه ينطبع فى ذهن الطفل وتتأصل فيه العادات من خلال الرؤية لما يجرى أمام عينيه لذلك ورد عن عبدالله ابن عامر قال جاء رسول الله ﷺ إلى بيتنا وأنا صبى صغير فذهبت لألعب فقالت أمى يا عبدالله تعال حتى أعطيك . فقال ﷺ وما أردت أن تعطيه قالت ثمرًا فقال إما أنك لو لم تفعلى لكتبت عليك كذبة . . إن الرسول ﷺ اراد أن يشرح للدنيا بأسرها بأن الأم قدوة فلو كذبت قلدها الأبناء ويصبح ذلك عادة فيه لأن من شب على شىء شاب عليه والطبع يغلب التطبع لهذا كان على الآباء أن يكونوا قدوة طيبة صالحة وعليهما أن يأمراه بالصلاة لقول الله تعالى : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه : ١٣٢] وقول الرسول «علموا أولادكم الصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها لعشر سنين وفرقوا بينهم فى المضاجع» . بهذا الأسلوب التربوى والمنهج السليم الصحيح نضمن شبابًا تربوا على صحة العقيدة وسلامة اليقين وقوة الأبدان فتسعد بهم الأسر ويهنأ المجتمع . إن الشباب الذى يتربى على صحة العقيدة هم إيجابيون فى حياتهم متعاونون مع أبناء جنسهم يشعرون بالانتماء إلى بيئهم فيعملون العمل ويتقنونه ويعبدون ربهم بإخلاص .

فاتقوا الله عباد الله وسيروا على نهج الإسلام التربوى تسعدوا فى الدنيا وتفوزوا فى الآخرة برضوان الله . قال رسول الله ﷺ : «كلكم راع وكلم مسئول عن رعيته فالرجل راع فى بيته وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها . وعن النبى ﷺ إنه قال : «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» . أو كما قال :

الخطبة الثانية

الحمد لله . نحمده ونستهديه ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ونسأله الهداية والتوفيق . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة أنك أنت الوهاب . وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد تنزه فى علاه عن الشبيه والولد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير - وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله النبى المصطفى الذى بعثه الله إلى الناس بشيرًا ونذيرًا فخرج الناس من الظلمات إلى النور وهداهم إلى الحق وإلى صراط مستقيم صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن تمسك بسنته وعمل بها إلى يوم الدين .

أما بعد . . .

فإن الإسلام يوصى اتباعه أن يكونوا ايجابيين فى حياتهم وأن يبتعدوا عن السلبية وأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وأن يرعوا أبناءهم رعاية كاملة وأن يقوموا بتربيتهم تربية سليمة تستمد أصولها من هدى القرآن الكريم وسنة النبى العظيم .

والأخلاق هى الدعامة الأولى فى صرح الأمة وكلما كان الشباب على قدر من الأخلاق والايجابية كان النجاح والفلاح والسعاة للأمة التى ينتمون إليها فاتقوا الله يا عباد الله وقولوا قولا سديدًا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم . اللهم إهدنا الصراط المستقيم وارضنا وارض عنا وأكرمنا ولا تهنا وسدد خطانا على طريق الخير يا أرحم الراحمين . اللهم قنا فتنة المحيا وفتنة الممات وعافنا واعف عنا واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات يا أرحم الراحمين .

الخطبة السابعة

القرآن والصيام

الحمد لله . رب العالمين القائل : ﴿الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾[الرحمن : ١-٣]. وأشهد أن لا إله الله خلق الخلق بقدرته وبعث إليهم الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة يوم القيامة . وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله ختم الله به الأنبياء والمرسلين وأنزل عليه : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[فصلت : ٤٦]. صلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين جعلوا القرآن ربيع قلوبهم وورد حياتهم وتأدبوا بآدابه فسعدت بهم الدنيا وفازوا فى الآخرة برضوان الله .

أما بعد . . .

فإن القرآن الكريم هو دستور المسلمين الذى أنزله الله على قلب رسوله الأمين وأمره بتبليغه إلى الناس أجمعين ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[المائدة : ٦٧].

ولقد أنزل الله القرآن هداية للإنسانية وتنظيمًا لحياة البشرية ومع ذلك فهو يملأ القلب بأنوار المعرفة بالله ويوثق الصلة به سبحانه، وهو فى أفواه المؤمنين ذكر وعبادة كما إنه لهم شريعة يحتكمون إليه فيجدون فيه الحل لمشاكلهم والمرجع لكل ما يهمهم. لا تنقطع ثمراته عن الواردين على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وعلى تعدد أحوالهم وتباين مداركهم . ولقد يسر الله القرآن للناس ليتدبروه ويعملوا بما فيه يقول الله تعالى : ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الدخان : ٥٨]. وله من الجمال والجلال ما يستولى به على قلوب المؤمنين ويملك عليهم أفئدتهم . أولئك الذين وصفهم الحق بقوله : ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[الأنفال : ٢-٣]. وكل إنسان له زاد من القرآن بقدر إقباله عليه لأنه وإن كان سماوى المطلع علوى المتنزل، فهو إنسانى المنازع والعواطف، يتحدث عن الله إلى الناس بما يتفق وفطرتهم، فمن قرأه كأنما يقرأ طوية نفسه الطاهرة، وهمس خاطره النقى .

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ أحب أوقاتهم هو الوقت الذى يقضيه الواحد مع

كتاب الله وفى تدبره ويعيه ويطبق كلماته . فعن عبد الله ابن عمرو بن العاص إنه قال : يارسول الله فى كم اقرأ القرآن قال : اختمه فى شهر قال : إنى أطيق أكثر من ذلك . قال : اختمه فى عشرين أى عشرين يومًا . قلت : إنى أطيق أكثر من ذلك . قال : اختمه فى خمسة عشر . قلت : إنى أطيق أكثر من ذلك . قال : اختمه فى عشر . قلت : إنى أطيق أفضل من ذلك . قال : اختمه فى خمس . قلت إنى أطيق أفضل من ذلك فما رخص لى أى فما أجاز لى أن أختم فى أقل من خمس ليال . ولو رخص رسول الله ﷺ لعبد الله بن عمرو لفعل ، وكأن ذلك أرضى لنفسه وأهنأ لقلبه . ولكن النبى ﷺ ، وقد جاء بالشريعة السمحة ، أراد لهذا الصحابى الجليل أن يجد من وقته ما ينفعه فى خاصة شأنه وشأن أهله .

ولقد كان رسول ﷺ يحب أن يستمع إلى القرآن من غيره فقد ورد عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ اقرأ على فقلت أقرأ عليك وعليك أنزل . قال : فإنى أحبُّ أن اسمعه من غيرى . قال ابن مسعود : فافتتحت سورة النساء فلما بلغت قوله تعالى : ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾[النساء : ٤١] . رأيت عينيه تذرفان ثم قال : حسبك . فهذا يبين لنا أن رسول الله ﷺ كان يجد من الرغبة فى القرآن والإقبال عليه ما لا يجده فى غيره وهو القائل فى حديثه : «إن هذا القرآن حبل الله المتين ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ، ونجاه لمن اتبعه ، لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الرد» . إن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات . أما إنى لا أقول لكم ألف حرف ، ولكن أقول ألف حرف ولام حرف وميم حرف . وأن أصغر البيوت من الخير البيت الصفر من كتاب الله . وليس المقصود بذلك أن يحفظوا كتاب الله فى بيوتهم للتبرك وهم أبعد الناس عن التخلق بأخلاقه والعمل بهديه والسير على منهاجه ، فكتاب الله لم ينزل ليعلق حجابًا فى عنق أو بركة على حائط أو حفظًا من سلطان جائر ، ولكن كتاب الله نزل ليكون منهاجًا وسلوكًا للفرد وقانونًا ودستورًا للأمة . فإن احتكمت إليه الأمة فى شئونها نجحت وعزت ، وإن بعدت عن مناهجه ضلت وذلت . ولقد سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويغضب بغضبه .

ولقد علم القرآن الكريم الناس أن ، يكونوا رحماء فيما بينهم يحسنون إلى بعضهم البعض والمجتمع المسلم وصفه فى كلمتين ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾[الفتح : ٢٩] . وإذا كانت الأمة الإسلامية بعد أيام سيطلع فى سمائها هلال شهر رمضان وهو شهر القرآن

الذى نزلت آياته فيه وأشرقت الأرض بنور ربها فى لياليه وانفعلت قلوب الصحابة . بآياته فقاموا به ليلهم، وطبقوا أحكامه فيما بينهم، فانتصروا على أعدائهم وكان لهم السيادة فى الأرض، وإن أمتنا فى وقتها الراهن أحوج ما تكون إلى الرجوع إلى كتاب ربها ليس بتعليقة زينة ولكن بالتخلق بأخلاقه وتطبيق أحكامه، وعندئذ تتنزل علينا ملائكة الله تعالى ليشدوا من أزر المسلمين حتى يستعيدوا أرضهم المسلوبة ويستردوا وطنهم المغصوب. وإذا كان رمضان هو شهر النصر الذى انتصر فيه المسلمون، وهم قله، على أعدائهم، وهم كثرة، فإن ذلك يرجع إلى أن قلوبهم كانت مشرقة بآيات الله وكانوا كما وصفهم الحق: ﴿**كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**﴾[الذاريات ١٧-١٩].

أيها المسلمون، إن شهر رمضان هو شهر التوبة والإنابة والرجوع إلى الله فاجعلوا بدء الشهر تجديد العهد مع الله بالتوبة الخالصة النصوح تأسيًا برسولكم الكريم، والله تبارك وتعالى نادى عباده: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا من رَّحْمَةِ اللَّهِ**﴾ [الزمر: ٥٣]. وشهر رمضان هو موسم من أسمى المواسم الروحية فتوبوا إلى الله واقبلوا على أنفسكم بقلوبكم فإن الله تبارك وتعالى يفرح بتوبة عبده المؤمن ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب.

هذا وعلى كل مسلم أن يتسابق فى فعل الخير وخاصة فى شهر رمضان فرسول الله ﷺ كان أجود من الريح المرسلة فى شهر رمضان وهو القائل: «من نفَّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة». و«من يسّر على معسّر يسَّر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله، والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه، ومن سقى صائمًا سقاه الله شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة». فاتقوا الله يا عباد الله واعلموا أن الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوة فشفعنى فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعنى فيه. قال: فيشفعان. هذا وأسأل الله لنا ولكن كمال التوفيق والهداية.

الخطبة الثانية

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله الوحد الأحد الفرد الصمد القائم على كل نفس بما كسبت والمطَّلع على العباد يحاسبهم بما صنعوا، ويجازيهم بما عملوا. فمن يعمل مثقال

ذرج خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره . اشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله الداعى إلى الحق وإلى صراط مستقيم صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه .

أما بعد . . .

فإن كل مسلم على يقين من إنه مسافر إلى الدار الآخرة وكل مسافر يحتاج إلى زاد ، وأفضل زاد يتزود به الإنسان التقوى والعمل بالقرآن المجيد والقرآن هو مورد الاصفياء من المؤمين ومنهل أرباب الطرائق المخلصين الذين اتخذوا من الدين سلوكًا ومن القرآن دستورًا . فاتقوا الله يا عباد الله واقبلوا على القرآن من شهر رمضان لأنه إذا كانت أول ليلة من شهر رمضان فتحت أبواب الجنان وغلقت أبواب النار ونادى مناد من السماء كل ليلة : يا باغى الخير يم وأبشر ويا باغى الشر أقصر وأبصر . وهو شهر عظّيم مبارك جعل الله صيامه فريضة وقيامه تطوعًا . وشهر يزدا فيه رزق المؤمن من فطر فيه صائمًا كان مغفرة لذنوبه . وهو شهر أوله رحمة واوسطه مغفرة وآخره عنق من النار . والله تبارك وتعالى يقول : ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ﴾[البقرة : ١٨٥] .

فاللهم إنا نسألك وأنت العليم بحالنا أن تتجلى علينا برحمتك واجعل القرآن ربيع قلوبنا وأنيسنا فى قبورنا وشفيعنا بين يديك يارب العالمين .

اللهم اجعلنا من الصائمين القانتين واغفر اللهم للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، وسدد خطانا على الطريق المستقيم ، وانصر اللهم جنودنا المرابطين فى مواجهة العدو واكتب لهم النصر فى شهر النصر يا رب العالمين .

الخطبة الثامنة

الحـج

الحمد لله . جعل الكعبة البيت الحرام قياما للناس ، وأشهد ألا إله إلا الله ، خلق الخلق واصطفى منهم الأنبياء والمرسلين ، وبسط الأرض ودحاها ، واختار منها بقعة شرفها وأقام عليها بيته المعمور ، وجعله مثابة للناس وأمنا ، كما جعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد والعذاب ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبدالله ورسوله ، نبى الرحمة وسيد الأمة وخير من حج واعتمر ، تعلق قلبه بالبيت الحرام ، وكان يود ألا يخرج من أرضه الطيبة ولذلك ورد أنه فى ليلة الهجرة نظر إلى الكعبة المشرفة ، وقال يناجى مبانيها ومغانيها «والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله ، وأحب بلاد الله إلى ، ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت» ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه من اتبع هداه .

أما بعد . . .

فإن الحج ركن من أركان الإسلام ، و هو ختام الأمر ، وتمام العمل ، وكمال الدين ، حثنا الله على أدائه ، وأخبرنا أنه كتبه علينا ، فقال سبحانه : ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً** ﴾[آل عمران : ٩٧] .

ومع أن الحج عبادة إلا أن فيه منافع للناس لقول الله تعالى : ﴿ **لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ** ﴾[الحج : ٢٨] . والحج فيه فضائل ، وأول فضائله أنه يغسل الذنوب ويكفر الخطايا ، ففى الحديث عن رسول الله ﷺ : «من حج البيت ، فلم يرفث ، ولم يفسق ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» . والفضيلة الثانية أن الإنسان هناك تغشاه رحمة الله وتتنزل عليه سكينته ، ويعمه النور ، ففى الحديث : «ينزل على هذا البيت فى كل يوم مائة وعشرون رحمة ، ستون للطائفين ، وأربعون للمصلين ، وعشرون للناظرين» .

الفضيلة الثالثة : تبادل المنافع ، لأن الإنسان عندما يختلط بغيره ، ويتبادل معهم منافع الدنيا ، فإن الخير يكثر من وراء ذلك ، وإلى هذا يشير الحق سبحانه بقوله : ﴿ **لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ**﴾ [الحج : ٢٨] . ومع ذلك تبادل الفكر الثقافى ، والمعلومات العامة ، وحل المشاكل ، والتعرف على الناس وطباعهم .

واعلم أيها الأخ المسلم، أنك عندما تنوى بالحج فعليك أن تبادر بالتوبة وأن تعقد النية أنك لن تعود إلى المعاصى أبدا، لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾[التحريم: ٨]. لأنك ستقوم برحلة تتجرد فيها من المبانى وتتلبس بالمعانى وتعيش فى نور البصيرة، وتحظى بالقرب من خالقك، الذى أنعم عليك وسواك، وعلى موائد كرمه رباك وشملك بالعناية والرعاية، وسترك بستره الجميل فجدير بك أن تندم على ما فات، وأن تذرف دموع الحسرة على رصيد عمرك، وأيام شبابك التى ابتعدت فيها عن خالقك ومنشئك وصاحب الفضل عليك فى كل لحظة، ثم عليك أن تقوم برد ما عليك للناس وأن تحاسب نفسك وأن تقف معها وقفة تسائلها، عن المال من أين اكتسبته إن كان فيه مال يتيم قمت برده، أو أكلت مال أختك أو زوجتك دون رضاهما قمت برد حقهن اليهن، لأنه جاء فى الحديث عن الرحمن جل وعلا: (خلقت الرحم، وشققت لها اسمها من اسمى، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته) وإن كنت أخذت رشوة فى يوم من الأيام، أو ضممت إلى مالك ما ليس لك فحاول رد هذه الأموال إلى أصحابها، فإن لم تستطع التعرف على أصحابها فاستغفر ربك، وأندم على ما كان، واسأل الله أن يسامحك، ذلك لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبا كما جاء فى الحديث: (كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به)، واعلم أن مال الدولة كمال الأفراد فمن أخذ من أموال الدول أى شيء بلا حقٍّ غلظ الله عليه فى العقوبة وأرداه فى نار جهنم، وجعله طعامه من غسلين، وإلى هذا يشير الحق سبحانه: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[آل عمران: ١٦١]. ويستوى فى ذلك الشخص العادى والحاكم الإدارى، ورئيس الدولة العام فكلهم أمام شرع الله سواء، ومن هنا كان رسول الله ﷺ يضرب المثل الأعلى للحاكم العظيم ويقول: «أيها الناس، من كنت شتمت له عرضا فليشتم عرضى، ومن كنت جلدت له ظهرًا فليقتد منى، ولا يخش الشحناء فإنها ليست من طبيعتى».

أيها المسلمون، إن الإنسان عندما ينوى الحج عليه أن يغتسل، وينوى بهذا الغسل أن يزيل خطاياه، ويطهر نفسه، وأنه من الآن سيقطع الصلة بينه وبين المعاصى، فإن كان قد دخل فى ميقات الحج فينوى كذلك به غسل الاحرام بعد أن يقلم أظافره ويستكمل النظافة من إزالة الشعر وما شاكل ذلك، فإذا وصل إلى الميقات فعليه أن يخلع ثيابه المخيطة ويلبس ملابس الاحرام، فإذا فعل ذلك، ونوى، ولبى، وهلل وكبر، فعليه أن يعوّد نفسه على الصبر، وأن يكون خدومًا لاخوانه، محبًا لهم، يظهر البشاشة فى وجههم، فقد روى أن

رجلا أراد الحج فذهب إلى بعض الصالحين وقال له : أشر على، ماذا أفعل؟ قال : أرأيت لو أنك مت وغسلوك بماء بارد جدًا، أكنت تحتج؟ قال لا، قال : أرأيت لو أنك مت وغسلوك بماء ساخن جدًا، أكنت تحتج؟ قال : لا، قال : كذلك وأنت محرم، أمت نفسك، وأظهر خصائل روحك واعلم بأن الشديد ليس بالصرعة، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب، فاصبر على أذى غيرك وتحمل، وأحب للناس ما تحب لنفسك، وأعلم أنه من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[الزمر : ١٠]. فإذا وصل الإنسان إلى مكة زادها الله تشريفًا وتكريمًا، هلل وكبر ثم يقول، اللهم هذا حرمك وأمنك، فحرم لحمى ودمى وشعرى وبشرى على النار، وآمنى من عذابك يوم تبعث عبادك، واجعلنى من أوليائك وأهل طاعتك. فإذا دخل البيت الحرام قال : بسم الله، وبالله، وإلى الله، وفى سبيل الله، وعلى ملة رسول الله ﷺ، ثم يرفع يديه ويقول : اللهم انى أسألك فى مقامى هذا فى أول مناسكى، أن تتقبل توبتى، وأن تتجاوز عن خطيئتى وتضع عنى وزرى، الحمد لله الذى بلغنى بيته الحرام، الذى جعله مثابة للناس وأمنا، وجعله مباركًا وهدى للعالمين، وعليك أن تكثر من الصلاة على رسول الله ومن النظر إلى الكعبة، ثم يبدأ فى أعمال الحج ويتجرد من هواه ويتجه إلى اله بكليته، وهو فى كل أعمال الحج يوقن بأنه ينفذ أوامر الله الذى خلقه وأنزل على رسولنا فى القرآن الكريم : ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾[الحج : ٦٧]. قال رسول الله ﷺ : «حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها، وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة». وقال ﷺ : «الحاج والعمار وفد الله عز وجل وزواره إن سألوا أعطاهم، وإن استغفروه غفر لهم، وإن دعوا استجيب لهم، وأن شفعوا شعفوا» أو كما قال.

الخطبة الثانية

الحمد لله، ربى وربكم خالق ورب الكون، ومالك يوم الدين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله، صلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد. .

فإن الكعبة بيت الله المبارك وحرمه الآمن، إذا وصل الحاج إليها فعليه أن يطوف من عند الحجر الأسود ويجعل البيت عن شماله، ويقول وهو مستقبل الحجر قبل الطواف : «بسم

الله والله أكبر، اللهم إيمانا بك، وتصديقًا بكتابك، ووفاء بعهدك، واتباعا لسنة نبيك محمد ﷺ ،نويت الطواف»، وعليه أن يكثر من الدعاء وقراءة القرآن والصلاة على النبى ﷺ ، فإذا فرغ من الطواف وصلى فى مقام إبراهيم لقول الله تعالى : ﴿**وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**﴾ [البقرة: ١٢٥] الصفا والمروة ليسعى بينهما، يبدأ من الصفا، وينتهى بالمروة، سبعة أشواط، وهو يدعو الله، يحسن الظن بالله، ويوقن بالإجابة، لأن أمنا هاجر سعت سعيًا وتقبل الله منها دعاءها وفجر لها ينبوع زمزم تحت قدم وليدها الذى أصبح ماؤه طعام طعم، وشفاء سقم، ثم عليه أن يسعى للوقوف بعرفة وهو خير يوم طلعت فيه الشمس، وخير الدعاء دعاء يوم عرفة، وفى يوم النحر يقوم برمى الجمرة وذبح الأضحية وحلق شعره، وفى كل ذلك دلالة على أنه ذبح هواه ونفسه الأمارة بالسوء، وحلق ماضيه، ورمى بخطاياه وتجرد لربه ومولاه، ثم يبيت فى منى، وما أطهرها من بقاع شهدت الصراع بين الخير والشر، وانتصر الخير على أرضها، ويقوم الإنسان برجم الشيطان بالجمرات وفى ذلك نتذكر الأسرة المسلمة التى عاشت فى هذه البقعة ردحًا من الزمن حيث لا ماء ولا زرع ولا كلأ، ولكن الثقة فى الله والاعتماد عليه وحسن الظن به كان يغمر نفوسهم ويملأ جوانحهم وأصبح الحج امتدادا لأعمالهم تذكيرا لنا بهم، وترابطا بين المسلمين الذين سماهم إبراهيم عليه السلام بهذا الاسم من قبل.

فاتقوا الله عباد الله وأعدوا لهذه الرحلة عدتها، ومن لم يسعده الحظ فعليه أن ينوى بأدائها عندما تسنح له الظروف المناسبة لوضعه وحاله.

الخطبة التاسعة

الأمن والأمان فى الإسلام

الحمد لله الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور . امتنَّ على عباده بنعم لا تحصى ومن أهم النعم وأعظمها نعمة الأمن والأمان والهدوء والاستقرار لذلك وجه أنظار المشركين بأن الواجب عليهم أن يعبدوا رب البيت الحرام الذى بناه إبراهيم عليه السلام ؛ لأن رب هذا البيت هو الذي أطعم أهل مكة حيث ساق إليهم الخير وحمل إليهم الناس أصناف الطعام والشراب والثمار والفواكه وهم يفدون إلى مكة بلد الأمن والسلام والاستقرار والهدوء لذلك قال الحق سبحانه : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [سورة قريش] .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبد الله ورسوله الرسول المجتبى والنبى المصطفى الذى بعثه الله ليخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العمل ، وبهذا يعم الأمن بين الناس وينتشر الهدوء والاستقرار فتنعم الإنسانية في ظل الخير والعمل والابتكار . صلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .

أما بعد . . .

فلقد خلق الله الإنسان واستخلفه فى الأرض ليعمر فيها ، ويستخرج كنوزها ، ويطور الحياة ويطوعها وفق القوانين الإلهية التى نبهت الناس إلى أن أفضل العبادة العمل مع الإخلاص والإنتاج مع صدق النية لصالح البشرية . لهذا كان من توجيه الله للناس أن على كل واحد منهم أن يستشعر واجب الأخوة والمحبة للناس أجمعين ليدوم الود ويتحقق التعاون بين الناس جميعًا وفي هذا جاء قول الله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [الحجرات : ١٣] . ومن رحمة الله بالإنسانية أنه نبههم على ألسنة الرسل أن ينزعوا الحقد من قلوبهم والحسد من نفوسهم ؛ لأن الحقد والحسد يولدان العداوة والبغضاء فتقوم الحرب بعد أن تشتعل الفتن ويكون من وراء ذلك قتل الإنسان وتشريده وتدمير ما شيدته يد الإنسان وتأخر فى الصناعة وتعطيل فى الإنتاج ، لما كان هذا هو سبيل الحرب فإن دعوة الله للناس على ألسنة رسله وما أنزله سبحانه فى الكتب المقدسة أن على الناس أن يعيشوا فى جو كله أمن واستقرار ، ونادى سبحانه على

الناس جميعًا أن يدخلوا تحت راية السلم والسلام فقال سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة : ٢٠٨]. ذلك لأنه فى حالة السلم وشعور الإنسان بالأمن يستطيع الإنسان أن يفكر وأن يتوصل إلى حلول للمشاكل التى تعترض مسيرة الناس وكل إنسان يؤدى واجبه وهو آمن على أهله وأولاده مطمئن إلى أنه سيأخذ حقوقه ولن يظلمه أحد، وتأسيسا على هذه القاعدة امتنَّ الله على أهل مكة بالأمن الذي عمَّ أرجاء بلادهم وانتشر في منطقة سكنهم فقال سبحانه : ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت : ٦٧]. لكن المشركين ردوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ﴾ [القصص : ٥٧]. فرد عليهم الحق سبحانه بقوله : ﴿أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص : ٥٧]. وما قبلها. وضرب الله مثلا بالقرية الآمنة التى انتشر فيها الأمن والأمان وبالقرية الظالمة التى انتشر بين أهلها الحقد والخصام والكفر بنعمة فقال الله تعالى : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل : ١١٢].

إن الإنسانية لو استقامت على أمر الله، ورضى كل إنسان بحظه فى الحياة وعمل بهمة ونشاط ،وسعى فى الأرض وعمر فيها وأنتج وهو يشعر من أعماق نفسه بأن الناس جميعًا إخوانه وأحباب، الكبير فيهم أب والمتوسط أخ والصغير ابن، ستجد الإنسانية سعادتها وتجنى ثمرة خيرها وعملها ونتاجها وإنتاجها، وإلى هذا أشار الحق سبحانه عندما يستقيم أمر الناس على منهج الله فلا يبغى بعضهم على بعض، ولا يجور أحد على أحد، ولا يمشى أحد بالفساد فى الأرض فهذا هو الجزاء الذي يضعه الله فى الإنسانية، وقد بين الحق سبحانه ذلك فى قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف : ٩٦]. ويقول سبحانه : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام : ٨٢]. وفى سبيل تحقيق الأمن لرفاهية الشعوب نبه الله رسوله إلى أن الأمن يمتد إلى المشركين الذين يخالفونه فى العقيدة لأن الأمن والأمان سمة غالبة على مجتمع المسلمين فقال الله لرسوله : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة : ٦]. إن على المسلمين أن يدركوا أن المسلم من سلم المسلمون من

لسانه ويده، وأن المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، لهذا قال الله لرسوله: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١) وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال ٦١، ٦٢].

وإذا كانت الإنسانية اليوم أصبحت تستيقظ على دوى المدافع وتستمع إلى وكالات الأنباء وهى تنشر عن المجازر والقتل والتشريد، بل والطبيعة أصبحت تساعد الناس على التدمير الذى صنعه يد الإنسان، فزلازل هناك وبراكين ترمى بشرر كالقصر يخيف الناس، ويدمر الأحياء ويقتل الآلاف ويشرد الملايين ما سبب ذلك؟ غياب الإيمان من قلوب الناس وضياع الثقة فيما بينهم، وعدم تحقيق العدل والمساواة فى المجتمع الإنسانى؛ لأن الإيمان إذا غاب وضاع من دنيا الناس فلا أمن ولا أمان.

ومن هنا ننادى على الإنسانية أن تعالوا إلى منهج الله وكل منكم يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويعلم ويستشعر أن أمامه ساعة سيقف أمام الله وحيدًا فريدًا لا مال ولا سلطان ولا عزوة ولا جاه وساعتها سيحاسب على ما قدمت يداه. ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة] فاتقوا الله يا عباد الله.

روى الإمام مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «من حمل علينا السلاح فليس منا ومن غشنا فليس منا». وروى الإمام البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أصبح منكم آمنا فى سربه معافىً فى جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا» أو كما قال ادعوا الله.

الخطبة العاشرة

السلام فى الإسلام

الحمد لله ربّ العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . له الحمد فى الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون . والصلاة والسلام على النبّى العربى سيدنا محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه دعاة السلام وهداة الحق . وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد . . .

فإنَّ السلام كلمة توحى بالأمن والاستقرار؛ لأنه فى ظل تلك الكلمة تسعى الإنسانية إلى التعمير والبناء . والاختراع والإبداع لكل ما فيه سعادة البشرية ورقيها وازدهار الحضارات على أرضها . لذلك هتف بها الأنبياء وبشروا من يسعى لتحقيقها بالخير العظيم فى الدنيا . والأمن والأمان فى جوار ربّ العالمين؛ لأنه سبحانه هو السلام ويدعو إلى دار السلام . ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[يونس : ٢٥] .

أمَّا الحرب فكلمة مخيفة شبحها رهيب . ووقعها على النفوس ثقيل لأنها تعنى الخراب للعمران، والتدمير لكل ما صنعته يد البشر، والتشريد لكل من ينجو من القتل وكل ما تصنعه يد البشر فى سبيل رقى الأمم وإسعادها فتأتى الحرب فتدمرُ الحضارات وتهدم النهضة الصناعية والتقدم العمرانى وتقوض دعائم الحضارة، وتشيع جوًا من الوجوم والقلق والاضطراب؛ لذلك نفَّرَ منها أنبياء الله وعلموا أتباعهم أن يعملوا على إبعاد شبح الحرب من المجتمع الإنسانى ليمارس عبادة ربّه فى جو من الصفاء والأمن والاستقرار .

فالسلام فى مقابل الحرب كلمتان متناقضتان يترتب على كل منهما أسلوب حياة البشر . فلا نتخيل مجتمعًا يعيش أفراده بالمعنى السليم لكلمة حياة إذا عاش فى حالة حرب مستمرة . لأن معنى ذلك سيكون فيه الدمار والخراب والإتيان على كل شىء له بهجة الحياة واستمرارها . ولذلك كانت الحروب نذير شؤم على المجتمعات الإنسانية بشكل عام فى الحياة وداخل مفهوم الحرب هى : « لا حياة» . ورغم ذلك فالمجتمعات البشرية عندما تبتعد عن القيم الفطرية الأصيلة فى الإنسان فإنها تخرج عن المألوف وتختلط الأمور وتدخل فى الحرب .

وإذا كان علماء الاجتماع يقررون فى كل آرائهم أن الإنسان يسعى إلى الأمن . فإن حاجة الإنسان للأمن مقدمة على حاجته للطعام . فالإنسان الخائف لا يمكن أن يعيش حياته بشكل طبيعى . ولا ينتج ولا يعمرُ، وعلى هذا نستطيع أن نقول : إن الحرب هى الاستثناء فى الوجود الإنسانى رغم ما نادى به الكثير من الفلاسفة مثل «هوبس» وغيره .

أما حالة السلام فهى الحالة العادية والطبيعية التى ينشدها الإنسان فى حياته . وإذا كان الصراع والحرب له مبرره فى عصور تاريخية سابقة . فما هى مبرراته الآن؟ وقد استقرت الحضارة، وذاع العرف الدولى وساد قانون الحياة المتمدينة . لأن السلام مبدأ أساسى لوجود هذا الإنسان . ولكن ماذا يفعل الإنسان إذا فرض عليه الحرب والقتال؟ الجواب : يكون بلا شك هو الحرب والصراع حتى ندْعّمُ مبدأ السلام ونعيده إلى الإنسانية ما دام هناك أسسٌ وقيمٌ نستند عليها . والإسلام هو دين الله الخاتم يدعو إلى حياة الأمن والسلام ويجعلها أساسًا لكل حياة، فيها تعمر الأرض وتكثر البشرية . ويُعبَد الله على الأرض، ويتعامل الناس مع بعضهم على أسس السماحة والعفو شعارهم فى ذلك ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** ﴾[القصص : ٧٧] . وهكذا عاشت الإنسانية داخل الدولة الإسلامية تعلو حضاراتها وتنتشر فى ربوع الأرض وتزدهر بالكلمة الطيبة، والسلوك الحميد، والحبّ بين الناس .

فكانت تلك الفترة أزهى فترات الإنتاج الإنسانى فى كل المجالات : فى العلوم الطبية . والفيزيقية، والأحياء، والفكر الإنسانى الذى أصبح منارة تحتذى وكعبة يسعى إليها طلاب المعرفة جميعا وكانت الركائز التى نهضت عليها الإنسانية .

ولكن جاء الوقت الذى لعبت بالأهواء النفوس . وبعد الناس عن دين الله الصحيح كما أراده هو . وظهرت أنياب المطامع والمصالح الشخصية وبدأوا يفسرون كلام الله حسب أهوائهم وفكرهم ومنطقهم البعيد كل البعد عن نهج الإسلام وفلسفته . وبدأ الاستعمار يزكى هذه الثغرات فى بعض من تولى أمر المسلمين، وكثر الخلل وشاعت المفاهيم الخاطئة، وبدت أنياب الحرب تضرب فى جسد المسلمين بلا هوادة . وسقط القتلى من المسلمين، وهدمت بيوت ومساجد، وتشرد الأطفال بعد أن تيتموا، وكان على الفئة المعتدى عليها أن تقف وتصدّ حرصًا على الأرض والعرض، وكانت الحرب الضروس «وقادسية القرن العشرين» ويئس دعاة الحق والمخلصون من دعوة الفئة الباغية أن تصغى

لقانون الله فى قرآنه، وأخذتهم العزة بالإثم، وتمادوا فى غيّهمْ. إلى أن قَيَّضَ الله للشعب الصابر والقيادة المثابرة. أن تنتصر بإذن الله، وتجبر المعتدى على أن يرضخ لقبول السِّلْمِ، وما كان يرفضه بالأمس إثمًا وعنادًا قبله اليوم رضا واستسلامًا.

فما بال المسلمين لا يفيقون إلاَّ على قارعة تهزُّ ديارهم، وتسقط شهداءهم وتخرِّبُ عمائرهم!!! وهل هذا يأخذنا إلى أن ننتبه إلى إنشاء محكمة عدل إسلامية، يكون بها الثقات من فقهاء المسلمين وقادة الفكر الإسلامى يحتكمون إليها إذاً شجر بينهم نزاع، إذ غاب عنهم يوم عرفة ومعناه ونسوا فى زحمة الحياة الحج وأهدافه.

ونحن فى معرض حديثنا عن السلام فى الإسلام لابُدَّ أن نبدأ بالقول عن النبى وما لاقاه فى دعوته، وحرب قريش له، وصبره على الأذى إيمانا منه عليه السلام، بأن دولة الباطل ساعة، وأن دولة الحق إلى قيام الساعة.

ولعلَّ فى صبره على أهل مكة طيلة ثلاثة عشر عامًا يحتمل فيها ألوانًا مختلفة من العذاب والأذى أقوى دليل على حُبّه للسلام ودعوته له قولاً وفعلاً، فلم يرفع يده بسيف مع قدرته على ذلك، ولم يتطاول عليهم كما فعلوا، وإنما صاح فيهم: ﴿ **تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ** ﴾ [آل عمران: ٦٤]. لقد رفع صوته بالقرآن يتلوه على مسامع الزمن يهدى به الحيارى. وينير به القلوب ويعلن به على الدنيا كلها أروع أمثلة المسالمة والمهادنة بالدعوة الصادقة إلى السلم والسلام والأمن والآمان لتأخذ الإنسانية حظها من التقدم والرفاهية، والازدهار، ونقدم صورة من حياته ومنها نفهم: أن الإسلام هو دين السلام، وأن الحرب وسيلة لا غاية، وأنها دفاع عن القيم والمبادئ، وإنسانية الإنسان وليست هجومًا على أحد طمعًا فى مال أو أرض أو عرض. ونحن فى بحثنا عن السلام، لابدَّ لنا من وقفة أمام الأحداث التاريخية التى غيرت وجه التاريخ، وقلبت موازين المجتمع.

بشائر السلام

إن الإنسانية طوال مراحل تاريخها الطويل مرت بفترات عصيبة استشرى فيها الفساد وعمت الفوضى فى ربوع الأرض.

والحق سبحانه وتعالى وهو خالق الناس، وأرحم بهم من أنفسهم كان يبعث إلى الإنسانية رسلاً هداة مرشدين، يعلمون الناس ما يجب عليهم نحو الله خالقهم والمهيمن عليهم وعلى شئونهم والذى بيده أمرهم.

ولقد تعاقبت الرسل منذ عهد آدم عليه السلام إلى أن أرسل الله (عيسى) الذى صاح فى بنى إسرائيل وهم - ورثة التوراة والمبشرون بدين موسى عليه السلام يقول لهم : ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران : ٥٢] . ثم يقول لهم كما حكى القرآن : ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾[الصف : ٦] .

ومن لحظتها والبشرية تتطلع إلى (محمد) النبى المرتقب الذى يخلص البشرية من الفوضى التى عمت فى أرجاء المعمورة، وأصبح الكون يعيش فى ظلام دامس لا عاصم للإنسان من الإنسان . وأصبحت القلوب المستنيرة تتلمس داعى الهدى ومعجزة السماء، وتنتظر ظهور رسول جديد يأخذ بيدهم من حياة الرذيلة إلى حياة أنظف وأطهر وأكرم .

وشاءت مشيئة الله سبحانه أن يولد «محمد» فى دار «عبدالمطلب» وصاحبت ولادته دلائل كثيرة تشير إلى أنه النبىُّ المنتظر الذى جاء على حين فترة من الرسل لينقذ البشرية مما تعانيه من خلخلة واضطراب . ولقد ذاق سكان الجزيرة العربية آنذاك حروبا مدمرة منها : «حرب داحس والغبراء - والبسوس - ويوم بعاث»، وكان نهاية المطاف تلك الحرب التى قادها (أبرهه الأشرم) ليهدم الكعبة على من فيها، لكنَّ الله صدَّهُ بطير من أبابيل، رمت الجيش بحجارة من سجيل . فجعلته كعصف مأكول . تلك إذن دلائل بشارة ولادة المصطفى عليه الصلاة والسلام . جاءت والإنسانية قد اكتوت بنار الحروب - وتسلط القوى على الضعيف - لتكون عنوانًا على نشر الأمن والسلام .

ولقد عاش (محمدٌ) فى رعاية جده حتى إذا مات تولى رعاية أمره عمه «أبو طالب»، ولقد عاش «محمد» اليتيم فى مكة التى استشرى فيها الفساد فعبدت الأصنام . وكان ما حدَّث به «جعفر بن أبى طالب» «النجاشىَّ» باسم اثنين وثمانين رجلاً وامرأةً كانوا مهاجرين معه إلى الحبشة : قال : «كنَّا قومًا أهل جاهلية : نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى بالفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء إلى الجوار، ويأكل القوىُّ منَّا الضعيف» . تلك إذن كانت حياة بعض أهل مكة من العرب . لكن كان هناك مفكرون ينقطعون للعبادة زمنًا فى كل عام فى خلوة، يتقربون إلى آلهتهم بالزهد والدعاء، ويتوجهون إليها بقلوبهم، ويلتمسون عندها الخير والحكمة . وكان يسمى هذا العمل (تحنثا) كما كان يطلق عليهم الحنفاء . وبدأ النبىُّ العظيم «محمدٌ» يتخيَّرُ مكانا مناسبا بعيدًا عن الضوضاء هو «غار حراء» حيث يحيط به السكون الشامل . فكان يذهب إليه «شهر رمضان» يصقل قلبه وينقى

روحه، ويبتعد عن الباطل، حتى وصل إلى مرتبة عالية من الصفاء الروحى والسموّ النفسى. وكان لذلك صداه فى سلوكه وأخلاقه. فاشتهر بين الناس «بالصادق الأمين».

وبعد سنوات من التأمل والتفكر، صار يرى فى نومه رؤيا صادقة، وحقيقة واضحة خلاصتها: أن الحياة باطل وغرور، وأن قومه قد ضلوا سبيل الهدى، وبعد ذلك جاءه الملك وهو فى «غار حراء» وأنبأه بأنه النبىُّ المرتقب، وهو لم يكن ينتظر ذلك، ولا خطر بباله، وتحدث القرآن عن ذلك فقال: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾[القصص: ٨٦].

ولقد تحدث النبىُّ العظيم إلى زوجه الصالحة المصونة السيدة «خديجة» التى تحدثت بدورها فى هذا الأمر إلى «ورقة بن نوفل» الذى قال له: «والذى نفسى بيده إنك لنبىُّ هذه الأمة، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذى جاء به «موسى»، ولتُكَذَّبَنَّ، ولَتُؤْذَيَنَّ، ولَتُخْرجَنّ ولَتُقَاتَلَنْ، ولئن أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرًا يعلمه».

وبدأ النبى يُبشر بدعوته التى قامت على أنقاضٍ من العبادة السائدة فى الجزيرة العربية.

قريش تقاوم الدعوة

إن الإسلام الذى حمل لواءه «محمد بن عبد الله» بأمر من الحق سبحانه وتعالى حيث قال له: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]. وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يبلغ ما كلف به، وبدأ بعض الناس يذهبون إلى رسول الله يستمعون القرآن، ويتعرفون على الأسس التى يقوم عليها الدين الجديد، ويقتنعون به، ويعلنون ولاءهم لله الواحد، ويُسْلمونُ.

وأحس أشراف قريش بخطر الدين الجديد، وأدركوا أنّ له قوة وهيَمنة فى الوقت الذى تزيد فيه ديانتهم ضعفًا ووهنًا، وكان لابدَّ لهم أن يقاوموا الرسول ودعوته. وأن يكون لهم خطوط دفاع فى تلك المقاومة.

١ - وأول تلك الخطوط: أن أغروا به شعراءهم ليسفهوا آراءه، وليوقعوا الفرقة بينه وبين باقى العرب. وتلك حملة دعاية مضللة قادها «أبو سفيان بن حرب»، «وعبدالله ابن الزِّبَعْرَى».

٢ - الخط الثانى: «العروض». فمرة يقولون لأبى طالب: إن ابن أخيك سبَّ آلهتنا، وعاب ديننا، وضلل آباءنا، وَسَفَّه أحلامنا. فإمَّا أن تكفه عنَّا، وإما أن تُخَلّى بيننا وبينهُ فإنك على مثل ما نحن عليه من خلاف فسنكفيكهُ».

– ومرة يقولون : لقد استنهيناك عن ابن أخيك فلم تنهه عنّا. وإنا لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا. حتى تكفَّه عنّا، أو ننازله وإيَّاك حتى يهلك أحدُ الفريقين.

ومرةً يعرضون على أبى طالب أن يأخذ «عمارة بن الوليد» مكان الرسول ويسلمه إليهم ليقتلوه.

– ولقد كان أبو طالب لا يجيبهم إلى طلبهم، ففى المرة الأولى ردَّهم ردًا جميلاً. وفى الثانية : تحدث إلى ابن أخيه بما سمع من قريش، ولقد كان ردُّ النبى فى غاية القوة حيث قال لعمه : «والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى أهلك فيه». ولم يتمالك «أبو طالب» مشاعره إثر سماع هذا الرأى العظيم. فقال لابن أخيه : «اذهب فقل ما أحببت» فوالله لا أسلمك لشىء أبدًا، ثم أنشد :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسَّدَ فى التراب دفينا

– ثم كان ردُّ أبى طالب فى المرة الثالثة عنيفًا، إذ قال لقريش : «بئس والله ما تساوموننى به!! أتعطوننى ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه؟! هذا والله ما لا يكون أبدًا».

– ثم إن قريشًا لم تقف عند هذا الحد، بل رمت بسهام متعددة فى مجال الإغراء وبذلت لرسول الله فى سبيل الوصول إلى هدفها ما يكفى للإقناع.

– لقد عرضوا عليه أن يجمعوا له المال حتى يكون من أغناهم، كما عرضوا عليه الرئاسة وأن يتوجوه ملكًا عليهم وإذا لم يكن له مأرب فى كل ذلك، فعليهم أن يقوموا بعلاجه ويبذلوا فى سبيله أموالهم، وكان هذا العرض من «عتبة بن أبى ربيعة».

وهذه عروض يسيل من أجلها لُعَابُ طُلاَّب الدنيا– وتوقع عتبة أن يسعد الرسول بهذه العروض فيقبل فى طلبها مقابل تخليه عن رسالته. ولكنَّ «عُتبةَ» استمع إلى الرسول : يَردُّ عليه بالقرآن الكريم حيث تلا عليه من أول سورة «فصلت» إلى أن وصل إلى قول الله تعالى : ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[فصلت : ١٣].

ولقد تحركت أحاسيس «عتبة» ومشاعره لهذا الكلام الذى عليه حلاوة وله طلاوة.

– ومن وسائل الإغراء أيضًا أن «الأسود بن المطلب» و«الوليد بن المغيرة» وغيرهما – اعترضوا الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالكعبة وقالوا له : «يامحمد هَلُمَّ فلنعبد ما تَعْبُدُهُ، وتعبدُ ما نعبدُ ونشترك فى الأمر، فإن كان الذى تعبد خيرًا مما تعبدُ، نكون قد أخذنا بحظنا منه. وإن كان ما نعبد خيرًا مما تعبد تكون قد أخذت بحظك منه»، فردّ

عليهم بقول الحق سبحانه : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦)﴾ [الكافرون]

التعذيب

إن محمدًا الصادق الأمين الذى جاء يدعو الناس إلى السلم والسلام، وينادى فيهم أنه بعث رحمة للعالمين، ولن يسأل الناس مالاً على دعوته، وإنما هو يحمل بعثًا جديدًا للحياة ينير على جنباتها مشاعل الهدى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣]. لكن قريشًا لم يعجبها ذلك. وبعد أن انكسرت سهامها فى العروض التى أسلفناها. بدأت تصب على المسلمين جام غضبها. ولقد تعرض الرسول وقومه إلى أشد أنواع التعذيب والتنكيل. فلقد حاول «عقبة بن أبى معيط» أن يخنق الرسول مرة وشدَّ عليه ثوبه حتى جحظت عيناه، وأسرع «أبو بكر» فخلاَّهُ عنه وهو يقول: «أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم».

كما حاول «أبو جهل» قتل الرسول مرة - فحمل حجرًا ضخمًا ليلقيه على رأسه وهو ساجد، لكن فحلا اعترضه وهمَّ أن يأكله فرجع مذعورًا.

كما أن المسلمين تعرضوا لأفظع أنواع العذاب وأشدّ ألوانه:

فقد وثبت كل قبيلة على من آمن من رجالها، فآذوهم وعذبوهم وحكموا عليهم بالحبس والضرب، والجوع والعطش، وغير ذلك من ألوان العذاب، حتى كان الواحد منهم لا يقدر على الجلوس مستويًا من شدَّة الضرب.

ولقد تحمل «بلال بن رباح» وكذلك (آل عمَّار) تحملوا فوق ما يحتمله البشر ومرت الأيام، والإسلام يزداد انتشارًا، والعذاب يشتد قسوة، ولا يفوتنا أن ننوه بقرار «المقاطعة»، حيث قررت قريش مقاطعة بنى هاشم وبنى المطلب اقتصاديًا. فلا يبيعون لهم، ولا يبتاعون منهم. واجتماعيا: فلا يزوجوهم ولا يتزوجون منهم. كما أن قريشًا بذلت جهدها لتسىء إلى الدعوة المحمدية عند الوافدين على «مكة» خلال موسم الحج، ولشدة ما لحق بالمسلمين من عذاب تعددت أنواعه وألوانه - أمرهم الرسول بالهجرة إلى الحبشة،

لأن بها ملكًا لا يُظلَمُ عنده أحد: وتمضى الأيام ويزداد المسلمون رغم كل ما أحاط بهم من ظروف اجتماعية واقتصادية.

ثم كانت الحلقة الأخيرة فى هذا المضمار عندما شهدت «دار الندوة» اجتماعًا خطيرًا حضره «بنو عبد شمس» و«بنو عبد مناف» و«بنو عبد الدار» و«بنو أسد» و«بنو مخزوم»، وتشاوروا فى أمر هذا الرجل الذى فرَّقَ بينهم، وقالوا: «والله ما نأمنه على الوثوب علينا» واتفقوا على قتله وتفريق دمه فى القبائل حتى لا تقدر «بنو عبدمناف» على حرب هؤلاء الناس جميعا ولكن هم يمكرون وعند الله ما مكروا، فقد صدر الأمر الإلهى «لمحمد» أن يهاجر من «مكة» إلى «المدينة».

تأسيس المجتمع الإسلامى

احتمل المسلمون فى مكة العذاب بروح الصبر والمثابرة؛ لأن الإسلام الذى اعتنقوه يريح النفوس والقلوب، ويزيد المؤمن ثقة بربه وتطلعًا إلى ما عنده، لأن المجتمع فى الجزيرة العربية، وقد عاشوا فيه، كان ينقسم إلى سادة وعبيد، وانتشر الرق، ولا ضابط ولا مكان للضمير الإنسانى. ولا وجود للقيم الأخلاقية. وكان الطيش شائعًا، حيث لا حكومة ترْدع، ولا قانون يمنع. والقوة هى التى لها السيادة والهيمنة والإسلام الذى آمنوا به يدعو إلى إدماج الطبقتين فى طبقة واحدة تسعى إلى تحقيق العدالة والمساواة فى دنيا الناس. لا فرق بين هذا وذاك لا يميز أحدهم على الآخر إلا الصلاح. وفى إمكان العبيد أن يسودوا إذا كانوا صلحاء أتقياء كرماء. وكان الركن الأول فى الإسلام (شهادة أن لا إله إلا الله). ولقد بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بالإخاء وبناء المسجد لتبنى فيه النفوس على الحب والمودة والألفة.

وبدأ المجتمع الجديد يشع منه نور المعرفة والعلم، وذابت العصبيات، وكُتبت المعاهدات مع غير المسلمين. وإذا ما نظرنا إلى هذا المجتمع. نجد أن الأوس والخزرج اندمجا فى كلمة - الأنصار- وأن المهاجرين على اختلاف قبائلهم اندمجوا فى كلمة «المهاجرين»، وهذه «المؤاخاة» كانت أول صورة لاتحاد المسلمين لتوحيد جهودهم. وحشدهم فى طريق واحد هو طريق الخير والبناء والتعمير، وعاش المسلمون فى أمن وسلام.

لكن عيون المشركين كانت عليهم تراقبهم، وتترصد لهم، وتريد أن ينهار هذا المجتمع على رؤوس ساكنيه، واستمرت قريش فى عدائها للرسول ولمن معه، ورأت هجرته

ورجاله إلى المدينة خطرًا يهدد حياتها . وأن ما فعلته من خطوات سابقة كالإغراء والمقاطعة والتهديد والتعذيب لم يكن له أثر فى إيقاف سيل الدعوة ؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يزداد قوة بزيادة أنصاره الداخلين فى دين الإسلام . لقد رفع «محمد» راية السلام من أول الأمر رغم ما حلَّ به وبأصحابه . وتلا على الدنيا قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**﴾[البقرة : ٢٠٨] . لكن قريشًا كانت ترقب محمدًا بعين ملؤها الحقد والحسد والكراهية والبغضاء ، ومحمدٌ بدأ بالسلام ، ويقول لهم : ﴿ **لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾[الصف : ٥] .

لكن قريشًا بدأت تعد للحرب عدتها ، والرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن راغبًا فيها ، ولم يفكر فى اتخاذ الحرب وسيلة لنشر الدعوة التى كلفه الله بها لأن قوام هذه الدعوة السلام ، ولذا كان يرى فى الحرب صورة بغيضة يلجأ إليها عند الضرورة .

لماذا شرعت الحرب؟

إن الرسول ﷺ أقام مجتمع المدينة على الحبّ والإخاء ولم يشأ أن يعامل قومه كما عامل رسل الله أقوامهم من قبل . فكل نبى دعا على قومه إلا «محمدًا» رغم شدة ما لاقى من عنف وعذاب ، كان يقول : «اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون» ، ولقد اتفق أكثر المؤرخون على أن الرسول لم يكن له غرض للحرب أو رغبة فى القتال ، وكانت أمنيته أن يؤدى رسالته كما أمره ربُّه فى يسر وهدوء - مع وقاية نفسه ورجاله من كيد الكائدين ، ثم توفير الطمأنينة لمن يدخلون فى هذا الدين الذى بشر به - وكفالة الحرية لهم فى العقيدة كما كان يرى أن نكفل الحرية للجميع .

وكان عليه الصلاة والسلام يرى أن هذه الحرية كفيلة بانتصار الحق . وتقدم العالم نحو الكمال ، كما كان يجنح دائمًا إلى السلم ويرغبُ عن القتال غير لاجئ إليه . ورغم أن الرسول لم يكن يميل إلى الحرب كوسيلة لنشر دعوته إلا أنه كان يرى ضرورة الدفاع عن الدين والعقيدة ورجاله خوفًا من أن تؤثر قوة قريش فى سير الدعوة وانتشارها .

لقد شرعت الحرب فى الإسلام دفاعًا عن الدين والمسلمين ، ولم تكن بقصد الاعتداء أو نشر الدعوة بالقوة ، لأن وسيلة الإقناع بالدعوة قرآن يتلى على مسامع الزمن ، وصدق الله العظيم : ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾[الكهف : ٢٩] .

كما أنه لم يكره أحدًا على الدخول فى الدين لأن طبيعة الإكراه تبلد أحاسيس الناس وتميت مشاعرهم، فلا يستطيعون تأدية العبادة، ولا القيام بالواجبات لهذا قال الله تعالى : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[البقرة: ٢٥٦]. وإذا كان هناك اتهام يثيره أعداء الإسلام بأن الإسلام انتشر بالسيف، فتلك فرية يكذبها منهج الإسلام فى نشر دعوته. ذلك لأن واقع الأمر أن الإذن بالقتال للمسلمين نزل بعد أن أعلنت قريش الحرب على المسلمين حربًا عنيفة لا هوادة فيها لمدة قاربت خمس عشر سنة. ثم أذن للمسلمين بالقتال دفاعًا عن النفس، يقول الحق سبحانه : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[الحج: ٣٩]. كما أن الحق يقول لأتباعه : ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة : ١٩٠]. بل عليكم أن تقاوموا العدوان، وأن يكون منكم الدفاع عن النفس، واسمع معى إلى قول الحق : ﴿فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾[البقرة : ١٩٤]. ويقول : ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة : ١٩٤].

وهكذا نجد الإسلام وضَّح الأسس التى على هديها شرع القتال، ولقد كان الإذن بالقتال فى شهر «صفر» من السنة الثانية من الهجرة. كما أمر القرآن المسلمين ألاّ يقاتلوا أحدًا فى المسجد الحرام أو فى الأشهر الحرام إلاّ إذا قوتلوا فيهما كما يقول الحق : ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾[البقرة: ١٩١]. ثم يقول : ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾[البقرة: ١٩٤]. وفى هذا تضييق لمنافذ القتال وإعلان الحرب. وإعطاء فرصة لتبادل الرأى والتفاهم للوصول إلى السلم الذى نادى به القرآن.

ومن هنا : كانت الحرب من جانب المسلمين، وسيلة لا غاية، والرسول صلى الله عليه وسلم مع صحابته خاضوا غمار الحرب قهرًا، ومع ذلك فإنهم كانوا يستعملون الرحمة، ويميلون إليها ويلتمسون أى ظرف للصلح؛ لأن الهدف الأساسى كان سلامة البشرية ونشر ألوية السلام.

ونخلص من ذلك إلى أن الحرب فى الإسلام شرعت للأسباب الآتية :

١ - دفعُ البغْى والاضطهاد عن المسلمين والدفاع عن النفس والأهل والمال والدين والوطن.

٢ - تأمين حرية الاعتقاد وحماية الدعوة حتى تبلغ الناس جميعًا.

٣ - قصر الحرب على الجيش المحارب، فلا يجوز التعرض للأطفال والشيوخ.

فمن وصايا الرسول عليه الصلاة والسلام: «لا تقتلوا الولدان، ولا أصحاب الصوامع، ولا تقتلوا شيخًا فانيا ولا صغيرًا ولا امرأة». كما أخرج الإمام مسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمَّرَ الأمير على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله تعالى، وبمن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: «اغزوا باسم الله، فى سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغدّروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا» كما حرم الإسلام إتلاف الأموال، وهدم المنازل فى العمران - فقد أمر الرسول ﷺ - بحرق نخل «بنى النضير» أثناء حصاره لهم بقصد حملهم على التسليم، فلما رأوا ذلك قالوا له: إنَّك تنهى عن الفساد فى الأرض، فما بال قطع الشجر وتحريقها؟؟ فأمر الرسول ﷺ بالكفّ عن التحريق، ونهى عن التخريب فى بلاد العدو.

وسيدنا «أبو بكر الصديق» أوصى «أسامة» فقال له عندما وجهه إلى قتال العدو: «لا تخونوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا، ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا للأكل.

وبهذه الأسس وتلك المعايير يؤكد الإسلام على جوانب الرحمة فى الحرب، مع مراعاة الناحية الإنسانية، وفى هذا يقول الله سبحانه: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ [محمد: ٤].

- فالإسلام يدعو أتباعه عندما ترجح كفتهم على أعدائهم، وتظهر الغلبة لهم أن يكفوا عن القتال ويكتفوا بالأسر، ليمنحوا الأسير بعد ذلك حريته أو يفتدوا به مثله من أسراهم. وهذا معنى كبير من معانى الرحمة التى شرعها الإسلام فى الحرب. وهذا ما يمكن أن نطلق عليه من ميثاق شرف، يلتزم به المتحاربون وهو ما تسعى إليه المنظمات الدولية فى عصرنا الراهن وينادى به حكماء العالم.

٤ - ضرورة إعلان الحرب من جانب المسلمين قبل البدء فيها رغبة فى أن لا تكون الحرب وسيلة للخداع والخيانة - كما يحتم الإسلام بذل الجهد قبل القتال فى النصيحة والدعوة إلى الكف عن الظلم والبغى والأذى، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]. كما يجب الوفاء بالمعاهدات والعهود فى الحرب والسلم، وتحريم الخيانة فيها ويتوعد فى ذات الوقت المخالفين الناقضين لعهودهم ومواثيقهم، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾

[الإسراء: ٣٤]. ويقول: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ [التوبة: ٤].

٥ - منع الإسلام الحرب بين فئتين مسلمتين فلا قتال ولا قتل، ولقد اعتبر الإسلام قتل المسلمين عمدًا من أعظم الجرائم التى تستحق عند الله أشد العقاب. قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٢]

٦ - ليست الغنائم هدفًا من أهداف الحرب ولا يجوز أن تجعل كذلك. ولا يجوز التشدد مع الناس لهذا القصد. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[النساء: ٩٤].

٧ - تحريم تجويع الأعداء والأمر بالإحسان إلى الأسير. وقد مدح الحق سبحانه وتعالى من يحسن إلى الأسير فقال: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]

الإسلام دين سلام

مما تقدم يتبين لنا أن الحرب فى الإسلام شرعت وسيلة لا غاية ومع ذلك فإنه إذا نشبت الحرب، وطلب الأعداء التوقف فعلى المسلمين أن يستجيبوا لذلك. قال تعالى: ﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[البقرة: ١٩٣]. والإسلام يدعو جنده إلى الجنوح إلى السلم إن لاحت بارقة أمل فيه. والعمل على إطفاء نار الحرب ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا. حتى لو كان هناك بعض الاحتمال بأن هذا الجنوح قد يكون خداعًا من الطرف الآخر. قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١) وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾[الأنفال: ٦١-٦٢].

إن السلام شعار الإسلام، وكلمة السلام هى الأساس فى معاملاته فاسم الإسلام مشتق من السلام. فهو قد قام من أجل تحقيق السلام. والمؤمنون الذين آمنوا به لم يجدوا لأنفسهم أسمى ولا أعذب من أن يكونوا مسلمين. والتحية التى يتبادلونها بينهم فى صباحهم ومسائهم وبين ذلك «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته». والقرآن الكريم نزل فى ليلة كلها سلام. تحفُّ به ملائكة السلام. قال الحق سبحانه: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ

﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾[القدر]. وعندما شرع الحق سبحانه الصلاة جعل أولها التكبير وختامها السلام. والمسلمون الذين يوحدون الله يعرفون أن السلام اسم «من أسماء الله» ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ﴾ [الحشر: ٢٣]. وخير ما يلقى الله به عباده فى الجنة بتحية السلام ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]. والملائكة يستقبلون العباد الصالحين فى الجنة بالسلام. ﴿وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤]

إن الإسلام جاء مؤكدا لمعانى السلام ليعيش الناس فى أمن واستقرار وينهضوا بأداء الواجب عليهم. ومبدأه فى ذلك الإخاء بين البشر جميعا؛ لأنه دين سماوى يقرّ بمساواتهم بعضهم لبعض فى الطبيعة الإنسانية ويميز بين أفرادهم بمدى تحقيق خصائص هذه الطبيعة فى التفكير والسلوك. وفى الترابط والتعاون. على نحو ما تحكى هذه الآية الكريمة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[الحجرات: ١٣]. ومع تقرير الإسلام لمبدأ المساواة فى الطبيعة البشرية وفى الإخاء بين الناس خاصة المؤمنين منهم. فإنه كذلك يسوى بينهم فى السلم. وينفرُ من الحرب. إذ ليس من المنطق بحال من الأحوال أن يقر الإسلام مبدأ المساواة فى الطبيعة البشرية ثم يكون من تعاليمه بعد ذلك تشجيع الميل إلى الاعتداء وإفساد العلاقات بين الأفراد بالحرب وتخريب المجتمعات بأى صورة من صورها.

وطبقًا لهذا المنطق يوجه الإسلام نداءه للمؤمنين بالحرص على التزام السلام وتجنب الإعتداء كمبدأ أصيل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[البقرة: ٢٠٨].

ولقد سعد الرسول صلى الله عليه وسلم «بحلف الفضول» وفرح به لأنه وسيلة من وسائل السلام. فيقول عليه السلام:

« لقد شهدت مع عمومتى فى بيت عبد الله بن جدعان حلفًا ما أحب أن لى به حمر النعم. ولو سئلت به فى الإسلام لأجبت».

كما أمر القرآن بالتدخل لفض النزاع المسلح بين المسلمين، بقصد إقرار السلام، فقال: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي

حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات : ٩- ١٠]. كما جعل الإسلام من صفات المسلمين أن يتواصوا بالحق والصبر والمرحمة . وأن يتعاونوا فيما بينهم . كما أمر بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حفاظًا على كيان المجتمع ودعمًا لبنيانه، وبثا لعوامل التضامن والمحبة والتعاطف قال تعالى : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾[البلد : ١٧].

إن سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم قام يدعو الناس إلى دعوة عالمية ونظام اجتماعى غير النظام الذى ألفه العرب . وقد اعتاد الناس أن يقاوموا كل جديد - وعارضه البعض رغم أن كثيرين دخلوا الإسلام إزاء هذه المعارضة مع ما صاحبها من التهديد والتعذيب والتنكيل، ولقد اتهم خصوم الرسول ظلمًا أنَّهُ دفع الناس إلى الدين الجديد تحت وسائل التهديد وادَّعوا أنه أكرههم بالسيف للدخول فيه .

وما يثيره هؤلاء اتهام باطل لا أساس له من الصحة ، فالنبى لم يكن معتديًا، ولم يلجأ إلى السيف أو التهديد، ولم يجبر أحدًا أن يشهد بشهادته؛ بل إنه جاء فى الدستور الأساسى للدولة الإسلامية أن المشركين إن استجاروا برسول الله صلى الله عليه وسلم أو بأحد من المسلمين فعليه أن يجيره ولا يعتدى عليه قال تعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة : ٦]. وهذا ما يسمى فى عصرنا الحاضر : «بحق اللجوء السياسى»، وإذا كان أعداء الإسلام قد استغلوا قول الله تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[الأنفال : ٦٠]. بأن هذا التأويل يحقق لهم مآربهم التى يسعون إليها لأنهم يقولون : إن الإسلام قام بالقوة والإرهاب والتهديد، وفاتهم أن القرآن حين أمر بإعداد القوة كان يهدف إلى أن العدوَّ إذا علم أن المسلمين مستعدون متأهبون مستكملون جميع أسلحتهم ومعداتهم - خاف منهم وتجنبهم ولم يتعرض لهم أو يتحرش بهم، وهذا ما يسمَّى بالحرب الباردة فى عصرنا الحديث .

- إن الإسلام دين سلام ما فى ذلك شك، ودليلنا على ذلك ما حدث فى صلح الحديبية، والشروط التى أعطاها النبى على نفسه حتى عزَّ ذلك على المسلمين . وقالوا : ألسنا المسلمين؟ وأليس هو رسول الله؟ فلم يعُطى الدنية من نفسه؟ ثم تبين أن نظره كان أبعدُ من نظرهم وأن هذه المعاهدة كانت بداية الفَتح الأكبر والنصر الأعظم الذى تحقق فى

السنة الثامنة من الهجرة عندما فتحت مكة بلا إراقة دماء، ووقف النبى المنتصر على أهل مكة يخاطبهم: «ما تظنون أنى فاعلٌ بكم؟» قالوا: خيرًا. . أخ كريم وابن أخٍ كريم، ولقد مرت أمام الرسول ذكريات كثيرة وطويلة، ومراحل من عمره تحمل فيها الكثيرَ والكثير وها هو الآن!!! المشركون أمامه، لو أمر بقطع رقابهم لكان ذلك أهون عليهم جزاء ما فعلوه بأصحابه، ونتيجة لشن الحروب عليه، وهو الذى يدعوهم للحب والإخاء، لكن الرحمة التى ملأ الله بها قلبه جعلته يقول كلمته المدوية التى وعاها الزمان «اذهبوا فأنتم الطلقاء». ياالعظمة الموقف عندما قال محمدٌ صلى الله عليه وسلم هذه الكلمة التى تدل على العفو الشامل، والإحسان إلى المسىء، وعدم إراقة الدماء؛ لأنه لا يحب ذلك أبدًا فهو الرحمة المهداة.

الخاتمة

إن الإسلام دين سلام ما فى ذلك شك، وقد دعا أتباعه فى كل زمان ومكان أن يكونوا على هذا المستوى، الرحمة دأبهم، وتعمير الكون ديدنهم، وإسعاد البشر شأنهم، ونشر الأمن والسلام، وعدم إزعاج الناس وحمل السلاح عليهم أمرٌ مطالبٌ به كل مؤمن، ففى الحديث الشريف «لا تروعوا المسلم فإن روعة المسلم ظلمٌ عظيم». وإذا كان هناك فى مجتمعنا المعاصر من يشعل نار الحرب فإنه يسهم بفعله هذا فى الإساءة إلى الإسلام وتعاليمه. والأغراض الشخصية التى تجعل الإنسان يبرر الوصول إلى غايته ومطامعه عن طريق إراقة الدماء، وإزهاق الأرواح، وتدمير العمران، فإن من يفعل ذلك يستحق غضب الله ورسوله والمسلمين. وعلى المسلمين أن يتكاتلوا ضدَّه لأن الإسلام الذى جعل الصلاة خمس مرات فى اليوم على المسلمين كتابًا موقوتًا. يلتقون فيها بأرواحهم وأجسادهم، فيها يتعارفون ولا يتناكرون يتعاونون ولا يختلفون. يعملون على تكثير جمعهم، وإسعاد مجتمع المسلمين ونشر الدعوة الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها ونشر الإسلام ليسعد به العالم أجمع.

إن هذا الدين الذى حمل لواءه محمد بن عبدالله رسول السلام والإسلام والمحبة والإخاء، يدعو أتباعه أن يكونوا يدًا واحدة فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا، وقد قال الحق: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[آل عمران: ١٠٥]. كما يجب أن يضعوا نصب أعينهم قول رسولهم

الكريم ﷺ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدٌ على من سواهم» وقوله: «كل المسلم على المسلم حرامٌ، دمه، وماله، وعرضه».

فهل آن الأوان أن نفهم الإسلام ونبشر به لأنه الدين الذى تستريح إليه النفوس، وتطمئن إليه القلوب. وصدق الله العظيم: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾[الأنعام: ٨٢].

إننا نبشر بالسلام الذى دعا إليه الإسلام، ونهتف فى سمع الزمان بقول رسولنا الكريم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» ونقول للإنسانية كلها: لا تظلموا الإسلام قبل أن تفهموا توجيهاته ومبادئه ولا تلصقوا به ما فعله أو يفعله بعض من اتصفوا بالإسلام فكل نفس بما كسبت رهينة.

إن السلام شعار الإسلام وهو فى الوقت نفسه شعار المسلمين الذين يؤمنون بالحق وإليه يدعون.

والقافلة تنطلق إلى الأمام يحدوها نداء الحق: ﴿**نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[التحريم: ٨]. والله يقول الحق ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم. هذا، والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الخطبة الحادية عشر

الطفل وقراءاته[1]

الحمد لله رب العالمين خلق الإنسان علّمه البيان وأشهد ألا إله إلا الله الذى كرم الإنسان بالعقل وفضّله به على كثير من خلقه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله الذى اهتم بالطفولة وأولاهم كل اهتماماته لأنهم رجال المستقبل وبناة الحضارة صلى الله وسلم على سيدنا محمد الذى عرف بين قومه بالصادق الأمين وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه . . . وبعد .

فما أجمل أن تعقد المؤتمرات هنا وهناك ويشارك فيها نخبة من خيرة الكتّاب والمفكرين ليرسموا بفكرهم وأقلامهم المستقبل الباسم والغد المشرق لأطفال اليوم . والذى يقرأ التاريخ يرى أن جميع الحضارات القديمة منها والمعاصرة تهتم اهتماماً كبيراً بالطفولة ؛ لأنهم صناع المستقبل وبهم وعلى أكتافهم وبأيديهم وعقولهم تتواصل الحضارات وتتشابك بين جيل وجيل، وتؤسس هذه الحضارات على فكر الآباء، وتزدهر فى عقول الشباب، وتنفذ وتبرمج فى المستقبل بعقول أطفال اليوم . وكل مؤرخ منصف يدرك تماماً أن الشريعة الإسلامية المؤسسة على قواعد دينية لأنها من وحى الله والذى تلقاها هو سيد الأولين محمد ﷺ الذى ترجم وحى الله إلى ممارسة عملية ونجد فى وحى الله وفى تطبيقات رسوله صلى الله عليه وسلم الكثير والكثير من توجيه الأطفال وحمايتهم ورفع مستواهم الفكرى وتنقية عقلهم من الخرافات لذلك شبوا رجالا أو نساءً وكان لكل دور فى التثقيف الفكرى والأدب الاجتماعى والانضباط على الأدب العالى والقيم الأخلاقية مما كان له أثر فى نهضة سعدت بها البشرية ردحًا من الزمن . وكانت البداية من حسن اختيار الزوجه لأنها الحضن الدافئ للأطفال والكتاب المفتوح أمامهم وتجلّى ذلك فى ما يأتى :

حسن اختيار الزوجة: لما كانت الأم هى ألصق الناس بوليدها حيث تحمله فى جوفها تسعة أشهر فيتغذى من دمها وتنعكس طباعها عليه ثم يرضع من صدرها ويرضع مع اللبن طبائعها وأخلاقها، لذلك اهتم الإسلام بتوجيه الرجال عند اختيار الزوجة أن يتخيروا الأم الصالحة المتدينة المنضبطة فى سلوكها الملتزمة بالأدب العالى والخلق النبيل وذلك كى يتوفر

---

(١) ألقيت فى ندوة التنشئة السياسية للطفل والتى نظمتها جامعة حلوان يومى ٤ ، ٥ مايو سنة ١٩٩٦ .

للطفل القدرة الطيبة، والكتاب الناطق، والمدرسة العظيمة؛ لأن الأم هى الأستاذة الأولى للطفل، لهذا قال الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبًا طيب الأعراق

ومن جميل ما وجهنا إليه ربنا فى اختيار الأم من بيئة طيبة لنضمن الأطفال الأسوياء الذين تتفتح عقولهم وتتسع دائرة فكرهم ويكون عندهم الصفاء الذهنى. يقول ربنا فى ذلك: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾[البقرة: ٢٢١]. ومن توجيهات الله لعبادة الصالحين الاّ يتزوجوا بالمرأة الزانية؛ لأنها أهدرت كرامتها وقضت على شرفها ولم تصن شرف الأسرة فقد خانت قومها وعشيرتها ونفسها لذلك فهى لا تؤتمن على تربية أطفالها ولا تثقيف عقولهم وتزكية وجدانهم لذلك يقول الله: ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٣]

والرسول ﷺ من باب استقرار الأسرة وتربية أبنائها وتعليمهم وإرشادهم وتثقيف عقولهم يقول ﷺ: «الناس معادن خيارهم فى الجاهلين خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا» والحديث رواه البخارى ومسلم. ذلك لأن الفقه أعلى درجات العلم لأن به يعرف الإنسان الحلال من الحرام والفرض من النفل وهكذا، ويقول فى ذلك أبو الأسود الدؤلى لبنيه «أحسنت إليكم كبارًا وصغارًا لكننى أحسنت إليكم كثيرًا قبل أن تولدوا فقالوا له كيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟ قال اخترت لكم من النساء من لا تسبون بهن».

بعد خروج الطفل إلى الوجود: إن الإسلام عندما وجه إلى حسن اختيار الزوجة، فقد أمر برعايتها وهى حامل؛ لأن الجنين فى بطن الأم يتأثر بما تتأثر به لذلك هناك وصايا كثيرة للعناية بالحامل التى وضعوا لها قواعد قبل الحمل حتى تكون نظيفة مؤهلة للحمل فمن القواعد: أنها لا تحمل تضعًا ولا وضعًا، أي لا تحمل قبيل الحيض ولا عقبه؛ ذلك لأن الرحم ينضح سائلا يؤذى النطفة ويضعفها وهى فى أول منابتها ومقتبل عهدها بالحياة فإن تمت فى هذه الحالة كان من وراء ذلك سوء نشأة الطفل وضعف تركيبه، كما أن هنا توارث الصفات التى يرثها الجنين حيث تحدث عملية انتقال الصفات الوراثية عن طريق الخلايا الجينية، فإذا خرج الجنين إلى الوجود فإن على الأم أن تقوم بإرضاعه لأن لبن الأم أفضل لبن للأطفال باتفاق جميع الآراء؛ لأنه قد تكون الطفل من دمها فلبنها يلائمه ويناسبه،

وأن يكون الرضاع الطبيعي لمدة سنتين لتتكون خلايا الطفل على أسس صحيحة، ولهذا كان من شيم العرب وأخلاقهم أن المرأة عندهم إذا كانت هزيلة أو ضعيفة أو بها صفات يرون أنها تؤثر في الطفل فكانوا يختارون المرضعة لأطفالهم من قبيلة أخرى ليشب المولود أنجب وأفصح، ولقد كان النبى ﷺ يشير إلى أن فصاحته المعجزة إلى منبته فى قريش واسترضاعه فى بنى سعد، ولقد قال لأبى بكر رضى الله عنه ما يمنعنى أن أكون أفصح الناس وقد ولدت فى قريش وأرضعت فى بنى سعد.

ولقد نبه الإسلام الأب أن يبادر عند ولادة المولود فيؤذن فى أذنه اليمنى بألفاظ الأذان، ويقيم الصلاة فى أذنه اليسرى لينطبع فى ذهن المولود التمسك بالدين والعقيدة الصحيحة لأن فيها سعادته ونجاحه وفلاحه، ثم عليه أن يحسن اسمه وأن يختار له الاسم الذي يعتز به بين قرنائه، وأن ينفق عليه من حلال حتى يكون متماسك الأعصاب يؤسس على قوة العزيمة وبعد النظر وسعة الأفق.

التعليم : الطفل ينشأ في أسرة ويبدأ فى النظر إلى الحركة التى تجرى أمامه وأكثر الناس التصاقًا به الأم يعرفها ويشم فيها رائحة الحنان والعطف وتبدأ هى فى مناغاته وتضمه إلى صدرها فكأن ما فى خاطرها ينطبع على قلبه، ويكبر الطفل بين يدى الأم وهو يقلدها فى حركات شفتيها لذلك كان من توجيه النبى ﷺ للأم والأب : «افتحوا على صبيانكم أول كلمة لا إله إلا الله» رواه الحاكم. فالأم وهى تناغى طفلها وتدلله تعلمه ذلك، ويبدأ هنا مرحلة التثقيف العقلى والإعداد الفكرى، ولأن الأبوين لهما تأثير كبير في تثقيف الطفل حيث يقلدهما كان أهم ما وجه إليه الإسلام فى هذه المرحلة غرس القيم الأخلاقية عن طريق التدريب العملى من ذلك :

١ - أدب الاستئذان : وهذا تدريب فى السلوك الأمثل وقيمة اجتماعية عالية والاستئذان وضح الله فيه قاعدة نظرية تقول : ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور : ٥٨].

٢ - التفريق في المضجع : من القيم الأساسية في التعليم برفق توجيه الإسلام على لسان رسوله ﷺ أمر الآباء أن يعلموا أولادهم الصلاة وهم أبناء سبع سنين وأن يضربوهم على تركها وهم أبناء عشر سنين وأن يفرقوا بينهم فى المضجع، ذلك لأن الطفل فى حاجة

إلى أن يتبسط معه المعلم وينزل إلى مستواه ويخاطبه على قدر عقله وفهمه لأن التدرج فى التعليم يثبت المفهوم العلمى في ذهن الطفل لأن النمو الفكرى عندهم بطىء، ولعل أعظم قاعدة فى الحديث الذى نصّه «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم فى المضاجع». الحديث أخرجه أبو داود، هذه النظرية التربوية حتى لا ينصرف ذهن الأولاد عن القراءة والكتابة ذلك لأن الطفل إذا رأى شيئًا فإن ذهنه يتخيله لأن الخيال عند الأطفال قوى، وقد ينبه فيه ذلك الدافع الجنسى الذى لا ينضج فجأة وإنما يمر بمراحل نمو تمهد لظهوره وتمام نضجه فى فترة البلوغ والطفل عندما يتعرض بنظره أو باحتكاك جسمه مع غيره فإن المثيرات تؤثر فيه ويساعد ذلك على تنشيط دافعه الجنسى في وقت مبكر مما يؤثر تأثيرا ضارًا على مسار نموه، لذلك كان لضبط هذه الأمور تعويده على الصلاة ونومه وحده وعدم الدخول على الأمهات والآباء في حجرة النوم.

هذه بدايات التعليم الصحيح لمن أراد طفلا سويا قوى البنية قوى العقل واسع الأفق.

تثقيف الطفل : تعتمد ثقافة الطفل على محورين :

١ - المحور الأول (الأسرة وثقافتها وحكايات الأم) التى تقدمها للطفل عند نومه أو مناغاته وهنا لابد أن نوجه إلى أن وسائل الإعلام يجب عليها أن تهتم بالأم وتثقيفها وإرشادها لأن ما تقوله الأم ينطبع فى ذهن الولد وقد قيل «الطبع يغلب التطبع»، ويشب الطفل وقد ترسخ فيه حكايات الأم وما قالته له لهذا فإن رسول الله ﷺ سمع امرأة تقول لولدها تعال أعطك فقال لها : وما تعطيه؟ قالت : أعطيه تمرة، ولو لم أفعل؟ قال تكتب عليك كذبة. الحديث رواه الترمذى. ومن هنا قال عقبة بن أبى سفيان لمعلم ولده ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح ولدى إصلاح نفسك فإن أعينهم معقودة بعينيك فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبح عندهم ما استقبحت وعلمهم سيَرَ الحكماء وأخلاق الأدباء وكن كالطبيب الذى لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء». ويَقول هشام بن عبد الملك لمؤدب ولده: «إن ابنى هذا هو جلدة ما بين عينى وقد وليتك تأديبه فعليك بتقوى الله وأدّ الأمانة التى نيطت بك وأول ما أوصيك به أن تأخذه بكتاب الله ثم روِّه الشعر أحسنه ثم تخلل أحياء العرب فخذ من صالح شعرهم وبصِّره طرفًا من الحلال والحرام».

والطفل فى هذه المرحلة يحتاج إلى :

١ - تخصيص وقت للعب لأنه سر الدوام التعلق بالحياة.

٢ - تخصيص وقت للتفكير «أى وضع واجب له ليقوم بحله».

٣ - توجيهه لأداء العبادة لأنها ينبوع الطمأنينة وراحة الضمير .

٤ - أن نوجهه إلى أن الوقت كالسيف إن لم يقطعه الإنسان قطع الزمن رقبته .

٥ - أن تملأ قلبه بالأمل والمستقبل المشرق لأن اليأس كالفأس تحطم ا لشخص وتهدمه والخوف من الفشل هو الفشل نفسه .

هذا هو المحور الأول للطفل الذى ترتكز عليه ثقافته ونضجه العقلى .

المحور الثانى : (الكتاب) إن مصدر الثقافة لدى أى شخص هو الكتاب وكتاب الطفل يجب أن يتسم بالوسائل التعليمية التى تستخدم لتعلم الطفل كيف يتعلم، وتتيح له تكوين مستقبلة الذاتى لأنها تعلمه الكثير من مفردات التعلم بواسطة مجموعة من التقنيات الحديثة التى تؤدى إلى زيادة ذكائه وتنمية تفكيره، وإنه لمن المؤكد أن الأسرة تلعب دورًا هامًا فى تنمية قدرات الأبناء الابتكارية لما توفره من فرص التعرض للخبرات الناجحة تعرضًا مباشرًا ثم إن الأسرة هى التى تعلم الطفل كيف يتعامل مع المشكلات الحياتية واكتساب القدرة على حل هذه المشكلات . ورسالة المدرسة هى العمل على تربية الطفل وتكوين شخصيته من جميع النواحى وتنمية ذكائه وتفكيره، فالمدرسة إذًا هى امتداد للأسرة وقد تضيف إلى عمل الأسرة إعداد الأطفال إعدادًا يهيئهم نفسيًا واجتماعيًا للنمو والتطور، ويكون ذلك فى جو من الحرية لأن الأطفال فى حاجة إليها مع شعورهم بالأمن والسلامة ويتم ذلك من خلال استقرار الجو المنزلى، والعلاقات الأسرية المتينة ليكون من وراء ذلك إزالة الخوف عند الأطفال من أحد الأبوين وشعوره بالأنس لتكون الثقة فى نفسه مؤدية إلى استقراره الفكرى والعقلى .

وقد رأى علماء التربية وعلماء علم النفس أن الحرية للأطفال بعد الأمن شىء مهم جدًا فى هذا الجو نستطيع أن نزيل من أمام الأطفال العقبات التى تبعدهم عن الكتاب الذى يجب أن يؤلف فى مفهوم يتساوى مع سن الطفل فما يقال لطفل فى العاشرة لا يقال لمن هو في الخامسة عشر .

إن التعليم حق من الحقوق الثقافية للإنسان وقد وجه إليه ربنا فى قوله سبحانه : ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ [الرحمن : ١-٤]. وكما يقول أيضًا ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[العلق : ١ - ٥]. ثم جاء الإعلان العالمى لحقوق الإنسان وقد كفل هذا الحق كما أن المادة ١٨ من الدستور المصرى وتكفل هذا الحق لأنه يعد من أهم

وظائف الدولة وأكثرها خطرًا؛ لأن التعليم هو الأداة الرئيسية في تنمية النشء وإعداده لحياة أفضل يتوافق فيها مع بيئته ومقتضيات انتمائه إلى وطنه ويتمكن فى كنفها من اقتحام الطريق إلى آفاق المعرفة وألوانها المختلفة، هذا ما يوجه إليه وحى الله وقادة الفكر الإصلاحى فى المجتمع ولكن مع هذا يكون العلاج من كل مرض لكافة الأطفال، فالطفل المريض السيئ التغذية لا يستطيع مواصلة التعليم والتثقيف وبالتالى فإن دوره فى الحياة العملية والإنتاجية سلبى، ولما كان طفل اليوم هو رجل المستقبل والذى يشارك مشاركة فعالة فى العمل والإنتاج كان لزامًا علينا أن نهتم مع التربية بالصحة العامة للأطفال لأن الطفل وهو يطالع الرسوم الموجودة فى المجلات والكتب يختزنها فى نفسه ثم يعبر عنها تعبيرًا يتلاءم مع سلامة العقل وقوة الذاكرة، ولا شك أن العقل السليم في الجسم السليم لذلك فإن الواجب على الآباء والأمهات أن يكونوا جادين مع الأطفال الذين هم في حاجة إلى غذاء أجسامهم وغذاء أرواحهم وعقولهم.

– القراءة: القراءة تحتل مكان الصدارة من اهتمام الإنسان باعتبارها الوسيلة الرئيسية التى يستكشف الطفل بها البيئة من حوله، والأسلوب الأمثل لتعزيز قدراته الإبداعية الذاتية، وتطوير ملكاته ليستطيع أن يسهم فى تصحيح مسار حياته.

والقراءة هى تعويد الأطفال كيف يقرءون؟ وماذا يقرأون؟ فعندما نحبب الأطفال فى القراءة نشجعهم عليها لأنه ينطبع في أذهانهم حبها ونفتح لهم وأمامهم الأبواب لإشباع رغباتهم وتنميتها لرؤية أماكن يتخيلونها وتقلل القراءة عندهم مشاعر الوحدة والملل؛ لأنه خير جليس في الزمان كتاب الذي يدفع بالأطفال إلى أن يكونوا مفكرين يبحثون عن الحقائق والمعرفة بأنفسهم ومن أجل منفعتهم. والقراءة هامة جدًا لحياة أطفالنا فكل طفل يحب القراءة يعنى بذلك أنه يدعم قدراته الإبداعية والابتكارية فهو أكثر استفادة من القراءة لأنه موهوب بطبيعته، ثم من خلال اللغة التى يقرأ بها ويخاطب الناس بها فإن دورها هام فى خلق الآداب والفنون الى تشكل كيان الطفل؛ لأن اللغة كائن حى يولد وينمو ويكبر ويتطور.

ولما كان القرآن الكريم كتاب عربى حوى لغة العرب بما تتسم به من فصاحة وبلاغة وبيان، وجاء فيه القصص عن الأولين بأسلوب عال والأطفال يحبون هذا اللون كما أن القرآن استنطق بعض الطيور والدواب، مثل الهدهد والنمل وكلب أهل الكهف الذى جاء ذكره. كان الأجدر بنا أن نوجه أطفالنا إلى حفظ القرآن، وقد أشار إلى ذلك الإمام الغزالى

في إحيائه بأن علينا أن نوجه أطفالنا إلى حفظ القرآن وأحاديث رسول الله ﷺ وكما أشار ابن خلدون فى مقدمته بأن تعليم القرآن «من وجهة نظره» الأساس فى تعليم جميع المناهج وهذا حق أكده الواقع وأثمرته التجربة .

ذلك لأن القرآن الكريم يدعونا إلى التأمل والتفكير فى السموات التي تعلونا والأرض التى تحت أقدامنا ، والمزروعات التى تحيط بنا ، والحيوانات التي تسرح وتروح من حولنا . وهذه الدعوة من القرآن للتفكير والتدبر واستخدام العقل لمعرفة حق الله الخالق المبدع ومعرفة الكون الذى نعيش فيه إلى غير ذلك الذى يجعلنا نقول بأن القرآن الكريم هو أعظم كتاب نقدمه للأطفال لننمى ذكاءهم وندفع بهم إلى الابتكار والتدبر من خلال ما جاء فى القرآن من قصص الأولين .

كتاب الطفل

فى عام ١٩٤٩م صدر إعلان لليونيسكو «المنظمة الدولية للثقافة والعلوم والتربية» خاص بالمكتبات العامة وفيما يختص بالأطفال جاءت الفقرة «إنه على المكتبة العامة أن تقدم للأطفال والصغار التسهيلات اللازمة من أجل أن تنمو إمكانياتهم المبدعة وقدراتهم على تذوق الفنون والآداب ويسهموا بصفة عامة فى تقدم المعرفة» هذا ما أشارت به المنظمة الدولية ذلك لأن الكتاب يلعب دورًا هاما في تنشيط عقلية الطفل خاصة إذا قُدِّم بشكل جيد الإخراج مع ذوق أدبى رفيع فى رسمه فإن ذلك الكتاب بهذه الصورة يحول تعليم الطفل إلى متعة يشعر بها أثناء القراءة ، فالكتاب الجيد يفتح شهية الطفل لتذوق ما فيه وهناك يكون العائد مستوى تحصيل للمعارف وتنمو عقلية الطفل ويزداد ذكاؤه ويساعد ذلك على تحقيق نمو عقلى سليم متكامل في مختلف النواحى خصوصًا النواحى الثقافية والعقلية .

ما يقدم للأطفال

إن الكتاب الجيد فى الإخراج مع الورق المصقول الملون وبه رسوم مما يعرفها الأطفال الصغار ثم والمادة التي تقدم على هذا الورق تكون بأسلوب سهل مشوق وجمل قصيرة مفيدة وكل ذلك بين دفتى الغلاف الجيد ، ومما لاشك فيه أن القصص الهادف يلعب دورًا عظيمًا في جذب الأطفال للقراءة خاصة القصص الدينى وتاريخ الأبطال العظماء وقصص

الخيـال العلمى والألغـاز والمغـامرات، إذا مـا أحسنـا عـرض هـذه الأشـيـاء وقـدمناها إلى الأطفال فهى تثير شغفهم وتجذبهم وتنمى فيهم الصحوة العقلية فيظل عقله يعمل ويفكر مما يكون سببًا في نمو الذكاء.

إن القصـة لها أهمية كبيرة فى العملية التربوية، لذلك اهتم القرآن بإيرادها كما أن حكايات الحيوانات تثير ضحك الأطفال وتجذبهم بشغف ودائمًا يزداد شوقه إلى سماع ذلك لأنها تجذب فيه الانتباه وتكون حواسه مستعدة لالتقاط كل ذبذبات الأحداث لأنها تحمل بين طيّاتها معانى وصورًا من الحياة.

ولهذا كان المفروض على كُتّاب الأطفال أن يميلوا إلى هذا النوع الذى يحبب الأطفال فى القراءة، وتاريخنا الإسلامى ملىء بالكثير والكثير من هذا القصص العظيم سواء كان البطل شخصًا أم غير ذلك.

الشعر

الشعر فنٌ يعتمد أساسا على اللغة وهو نوع من أنواع الإبداع الذى هو عملية صقل للعقلية، والشعر يشارك فى تنشئة الأطفال وتربيتهم تربية متكاملة لأنه يزودهم بالمعارف والمفاهيم فى مختلف المجالات، ثم هو يمدهم بالألفاظ والتراكيب التى تنمى ثروتهم اللغوية وأحاسيسهم ومشاعرهم فيساعد ذلك على الانفتاح للتفاعل مع ثقافة المجتمع، ثم إن حب الشعر عند الأطفال يخلق فيهم الملكة الإبداعية التى تجعل الطفل يشعر بالمشكلات والتفاعل معها وأساليب حلّها وهذا يجعله يمتاز بالمرونة والتجديد، ومع ذلك فإن الشعر يحقق المتعة فى نفسية الطفل ويثير فيه البهجة. ويثرى خياله ويكون لديه ثروة لغوية مع الشعور بالذوق الأدبى.

إن الشعر الجيد للأطفال يهدف أساسًا إلى تربية التذوق الأدبى ويضفى عندهم الخيال والسحر فى التعبير ويهتم بنشأتهم على خصال الوفاء والمروءة والشجاعة والكرم، وهناك الشعر الشعبى والذى ينتج من التراث الشعبي والبيئى، وتعتبر الأغانى الشعبية للأطفال مصدرًا للعمل التعاونى مع الجميع. كما أن الألعاب الجماعية تهدف إلى ذلك أيضًا.

الترويح

مما يتعلق بألوان النشاط التي يمارسها الطفل في غير ساعات القراءة «الترويح»: الذى هو نشاط تلقائى مقصود لذاته يسهم في اكتساب الفرد معارف ومعلومات في مختلف

المجالات، وتوجيه الأطفال للترويح فى وقت الفراغ هو نوع من التربية ذات أهمية بالغة في نمو متوازن للشخصية لأن ما يمارسه الطفل من الترويح أثناء وقت الفراغ يؤثر بدرجة كبيرة على شخصيته لأنه يزاول الترويح فى وقت الفراغ. لتنمية ملكاته بالرياضة أو العمل الاجتماعى أو السمر مع زملائه، وتتنوع الهوايات التى تسهم فى إنماء ملكات الطفل مع تهيئة المناخ له لإشباع ميوله واستخراج ما لديه من طاقة إبداعية.

وهناك هوايات فردية مثل: الرسم، وتحسين الخط، وكتابة القصة وما في مستواها من التعبير الذي يشعر به الطفل.. وقد تكون جماعية كالرياضة بكل أنواعها أو الإسهام في الحرف اليدوية والصناعات الخفيفة.

الرحلات

تتعدد الأنشطة الترويحية التى تكسب الطفل العمل المشترك مع أصدقائه ورفقائه ليكون هناك الإبداع والابتكار عن طريق الاندماج التام، ويأتى في مقدمة هذا النوع الرحلات لأن الطفل يشعر بأنه خرج من دائرة الأسرة أو الفصل المدرسى إلى نطاق واسع يعتمد فيه على نفسه ويحاول كسب المعلومات عن طريق الخبرة المباشرة، علاوة على أن الرحلات تساعد على تكوين علاقات اجتماعية سليمة تسهم بدورها فى بناء الشخصية التى تكتسب الكثير والكثير من الاتجاهات النفسية والعلاقات الاجتماعية والعادات السلوكية، لهذا كان للرحلات دور هام للأطفال.

الجوالة والكشافة والمعسكرات

الجوالة: هى خروج الأفراد في جماعات إلى رحلات قصيرة لمناطق طبيعية للتعرف على صفة المناطق وما تقدمه للحضر من خدمات، يكون ذلك في يوم واحد ويتطلب ذلك المشى لساعات طويلة، ويؤدى ذلك إلى تنمية الميول لجمع الفراشات أو الأصداف أو الأحجار إلى دراسة الحشرات والحيوانات والأزهار، وكل ذلك يكسب الفرد التفكير العلمى الذي كان نتيجة لاستكشافه وتتبعه.

أما المعسكرات: فهى تتميز بالحياة الخلوية البسيطة الخالية من التكلف والشكلية وهى تكسب الفرد خبرات تربوية وفرص ترويحية واندماج مع الجماعة مما يكون له الأثر فى تنمية قدرة الفرد على العمل التعاونى مما يدفع به إلى الاعتماد على نفسه ويشعر هو بالنجاح فيزداد ثقة فى نفسه.

من الأشياء المهمة جدًا في حياة الأطفال أن نشجعهم على الإنتاج والابتكار، لأن ذلك يساعد على تنشيط عقله وتنمية خياله، والحوافز شكلية في مظهرها لكنها مؤثرة جدًا في نفسية الطفل. فالتصفيق له إذا أصاب فى رأى شيء يشجعه دائمًا على أن يقول الحق والصواب، أو قطعة من الشيكولاته تجعله يعكف على القراءة لمدة تزيد عن الساعتين وترغيبه بمجموعة من الكتب أو لعب الأطفال تؤكد لديه الرغبة في التفوق لأن هذا الحافز هام للغاية في تحفيز الأطفال لإنهاء ما يوكل إليهم من قراءة أو فك وتركيب اللّعب أو تقليد شخصية البطل فى قصة ما، على أن يكون هذا البطل من العلماء وليس من المثقفين أو الممثلين.

واليوم: هذا المنهج التربوى للأطفال الذي يتميز بقدرته العقلية كي يكون شخصًا متكاملاً في الخُلُق والعلم والمرونة وبعد النظر ولكى يكون الشخص سويًا في حياته متوازنًا في صفاته علينا أن نغرس فيه القيم الأخلاقية التي ترفع قدره وتعلى منزلته. والتعليم في الصغر دائمًا كالنقش على الحجر، ومما لاشك فيه أن القيم لها دور كبير في تنشئة الأطفال تنشئة سوية متوازنة، وحتى ينشأ الطفل على الإيمان بالله نُعرِّفه مبادئ الدين الأساسية التي ليس فيها خرافات ولا تعصب وأن ندربه على ممارسة العبادات وتقويم السلوك، ونربيه على الفضائل الخلقية والقيم الصالحة وحب الخير، وننمى فيه يقظة الضمير وقوة العزيمة والمثابرة والقدرة على مواجهة الحياة في تفاؤل اعتمادًا على ربه وثقة في نفسه. وقصص الأطفال كلما كانت مشتملة على هذه القيم الأخلاقية السليمة التي تتلاءم مع ما سمعوه وألفوا تطبيقه في الأسرة وتقُدَّم لهم بأسلوب مبسط سهل مشوق فإن ذلك ينمى فيهم حب القراءة والبحث الجيد الذى يكون شخصيتهم المعتدلة ويؤدى ذلك إلى تعميق الإخاء الإنساني وحب الخير للناس أجمعين.

هذا ما كنا نرجو أن نراه على الساحة لكن الأسف يملأ القلوب عندما نتأمل الواقع من حولنا. فليست هناك مجلات دينية للأطفال تبرز دور الدين وأتباعه في النهوض بالمجتمع ونشر المعارف والدور التأصيلى لهم فى دفع عجلة التنمية بكل ما فيها من معان وماتحمله من مضمون، من هنا غاب الوعى الدينى وظهر العنف والتعصب نتيجة الخلخلة الفكرية في التنشئة لأطفال الأمس الذين هم شباب اليوم، وعندما نستعرض الساحة الاجتماعية ونقوم بمسح شامل لمجلات الأطفال نرى الموجود منها على الساحة هو:

١ - في عام ١٨٧٠م صدرت صحيفة متخصصة للأطفال «روضة المدارس» ثم توقفت عام ١٨٧٧م، ثم ظهرت مجلة السمير الصغير عام ١٨٩٣م، وكذلك مجلة التلميذ عام ١٨٩٨، ودليل الطلاب عام ١٩٠٢م، والمجلة المدرسية عام ١٩٠٣م، والكوثر عام ١٩٠٦م، ثم ظهرت مجلات في عام ١٩٢٣م منها مجلة الأولاد وسندباد التى كانت تصدر عن دار المعارف وتوقفت عام ١٩٦١م.

وفي عام ١٩٥٦م أصدرت دار الهلال مجلة سمير، وفى عام ١٩٧٨ أصدرت المجلة عددًا شهريًا باسم «كابتن سمير» وكان بداخله صفحة بعنوان وسام، ثم صدر عن نفس الدار مجلة ميكى عام ١٩٦١م، وفى نفس الدار صدرت مجلة كروان عام ١٩٦٤م، ثم اختفت عام ١٩٦٧م، وفى السبعينيات صدر عن مؤسسة الأهرام طبعة مترجمة لمجلة فرنسية «تان تان» ثم أصدرت الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية بالتعاون مع مجلة الشباب وعلوم المستقبل مجلة بعنوان «صندوق الدنيا» وذلك في عام ١٩٧٨م واختفت في أواخر الثمانينات ثم أصدر المركز القومى لثقافة الطفل بالتعاون مع الورشة التجريبية لكتب الأطفال عددًا تجريبيا من مجلة «ياسين وياسمين» وكان ذلك عام ١٩٨٥م ولم يصدر شيء بعد العدد الأول . . وفى عام ١٩٩٣ قام المجلس العربي للطفولة باصدار مجلة المختار حيث لم يصدر بعده شيء . ثم أصدرت مؤسسة الأهرام مجلة علاء الدين وذلك بصفة أسبوعية تصدر كل يوم خميس ومعها مجلة بعنوان حزر فزر وروايات علاء الدين، ومعظم الأعمال المقدمة عليها مترجمة .

وفي عام ١٩٩٨م أصدرت مؤسسة الأخبار مجلة بلبل للأطفال، وبتتبع هذه المجلات نلاحظ أن ثمن البيع للنسخة مرتفع وعندما تم عمل تحليل لهذه المجلات جاء الترفيه في المقام الأول والعلمى ثانيا والرياضى ثالثا مما يعطينا تصورًا عن أن القيم الأخلاقية والثقافة المتنوعة والسير والتراجم بعد ذلك بكثير، الأمر الذى يجعلنا نراجع أنفسنا ونراجع هذه المجلات بدقة .

هناك بعض المجلات الدينية التى تصدر عن المؤسسات الدينية يصدر مع المجلة ملحق صغير لا يشفى غليلاً ولا يقرأه أحد من الأطفال إلا من جاء صورته في ركن التعارف .

لهذا لابد لنا من وقفة لنقول وبصوت مرتفع أين أدب الأطفال في مجتمعنا؟ إن المجلات التى ذكرناها تهتم بسير أبطال الغرب وجغرافية بلادهم وتركز على الدخل القومى والعلاقات الاجتماعية هناك، كما أنها تركز على نجم الكرة الذى فاز بالنصيب

الأكبر من الأهداف، أو المغنى وما حققه من دخل، أو ممثلة وتقاليدها في اللبس وآخر صيحة في الموديلات وتسريحة الشعر ولون المونيكير إلى غير ذلك مما لا يتفق مع طبيعة مجتمعنا ولا عادات قومنا ولا قيم ديننا الأمر الذي كان له المردود النفسى عند الأطفال فشبوا وفي أنفسهم ثورة على العرف البيئى والآداب الاجتماعية وانعكس أثر ذلك مما رأيناه من إقبال الشباب على المخدرات ليغيبوا عن الوعى وشعورهم بالإحباط في معيشتهم الأمر الذى يحمِّل كل مفكر مسئولية التخطيط للنهوض بما يقدم للطفل من كتاب أو مجلة حتى نضمن شبابًا أسوياء.

الخطبة الثانية عشر

نظرة الإسلام إلى المسنين

لقد أقبل الإسلام على الدنيا إقبال الربيع الناضر ليصلح من فسادها ويشد من بنيانها، ويقيم فيها دعائم مجتمع سليم متكافل يتعاون على الخير والبر ويتعاطف بدوافع المحبة والرحمة، والأسرة بلاشك أساس هذا المجتمع ولبنته الأولى، وعماد هذه الأسرة هى رابطة الأبوة والبنوة وما حولهما من صلات القربى ووشائج الرحم، ولذلك عنى الإسلام عناية كبرى برعاية روابط الأسرة، وصيانة حقوق ذوى الأرحام والقرابة، قال الله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[النساء : ١].

إن الإسلام يعنى عناية خاصة، ويحث حثًا قويًا على بر الوالدين والإحسان إليهما والطاعة لهما فيما ليس بإثم ولا معصية؛ لأنهما السبب المباشر فى وجود الإنسان، وهما اللذان تعبا من أجله وسهرا عليه، وصبرا فى تربيته وتنشئته.

وشرعة الإنصاف تقتضى مجازاة الإحسان بالإحسان ومقابلة الجميل بالجميل، وبين الولد ووالديه من الروابط أقواها وأذكاها، ومن المشاعر أسماها وأعلاها، وأى علاقة أوثق من علاقة الجزء بكله، والفرع بأصله، ونحن نرى من حفاوة القرآن بمكانة الوالدين وتساميه بحقوقهما الكريمة وخصوصا وقت كبرهما وشيخوختهما؛ لأنهما فى هذه الحالة يصيران فى حاجة ماسة إلى الرعاية والعطف، ولأن تصرفاتهما حينئذ تحتاج إلى جميل الصبر، وقوى الاحتمال.

إن الإسلام يقوم على الوفاء والشكران، ومن أجمل مواطن الوفاء والشكران أن يحرص الإنسان على الإحسان والطاعة والبر بأب هو أصله وبنيته، وأم هى صاحبة الفضل الأكبر عليه فى هذه الحياة، فليكن كل مسلم من أهل الوفاء المستحقين لخير الجزاء، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون.

دور الشريعة الإسلامية فى تحقيق أهداف المجتمع

تهدف شريعة الإسلام وهى خاتمة الرسالات إلى تكوين مجتمع فاضل يضم الأسرة الإنسانية كلها، فبدأت بتربية ذات المسلم للحفاظ على النفس والدين والعقل والنسل والمال، وذلك عن طريق العقيدة الشاملة والعبادات التى تقوى علاقة الإنسان بربه، وتؤهله لحياة اجتماعية صحيحة. فدور الشريعة الإسلامية فى تحقيق أهداف المجتمع روحيا وماديًا العناية بتربية الفرد المسلم لأنه عماد الخلية الأولى فى المجتمع.

كما أن الشريعة الإسلامية حفظت للإنسان حريته وكرامته وصانت له حقوقه المشروعة التى سادت بها الأمة الإسلامية فهذا هو القرآن الكريم يرسم صورة للمجتمع المسلم الفاضل فى قوله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الاسراء : ٢٣- ٢٤].

يقول الشيخ المراغى : إن الولد قطعة من الوالدين كما جاء فى الخبر أنه عليه الصلاة والسلام قال : «فاطمة بضعة منى»، وإن الوالدين أنعما على الأبناء وهم فى غاية الضعف ونهاية العجز، فوجب أن يقابل ذلك بالشكر حين كبرهما.

وإنه لا نعمة تصل إلى الإنسان أكثر من نعمة الخالق عليه، ثم نعمة الوالدين، ومن ثم بدأ يشكر نعمته أولا بقوله: وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه، ثم أردفها بشكر نعمة الوالدين بقوله: «وبالوالدين إحسانا» ثم فصل ما يجب من الإحسان إليهما بقوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤]. أى إذا وصل الوالدان عندك أو أحدهما إلى حال الضعف والعجز وصار عندك فى آخر العمر كما كنت عندهما فى أوله، وجب عليك أن تشفق عليهما، وتحنو لهما، وتعاملهما معاملة الشاكر لمن أنعم عليه، ويتجلى ذلك بأن تتبع معهما الأمور الخمسة الآتية:

١ - ألا تتأفف من شىء تراه من أحدهما أو منهما مما يتأذى به الناس، ولكن اصبر على ذلك منهما، واحتسب الأجر عليه، كما صبرا عليك فى صغرك.

٢ - ألا تنغص عليهما بكلام تزجرهما به، وفى هذا منع من إظهار المخالفة لهما بالقول على سبيل الرد عليهما والتكذيب لهما، كما هو منع من إظهار الضجر القليل أو الكثير.

٣ - أن تقول لهما قولا حسنا، وكلاما طيبا مقرونًا بالاحترام والتعظيم، مما يقتضيه حسن الأدب، وترشد إليه المروءة، كأن تقول يا أبتاه ويا أماه، ولا تدعوهما بأسمائهما، ولا ترفع صوتك أمامهما، ولا تحدّق فيهما بنظرك.

٤ - أن تتواضع لهما وتتذلل، وتطيعهما فيما أمراك به مما لم يكن معصية لله رحمة منك بهما وشفقة عليهما، إذ هما قد احتاجا إلى من كان أفقر الخلق إليهما، وذلك منتهى ما يكون من الضراعة والمسكنة. وقوله تعالى ﴿من الرحمة﴾، أى أن يكون ذلك التذلل

رحمة بهما، لا من أجل امتثال الأمر وخوف العار فقط، فتذكر نفسك بما تقدم لهما من الإحسان إليك، وبما أمرت به من الشفقة والعطف عليهما، وقد مثل حاله معهما بحال الطائرإذا أراد ضم فرخه إليه لتربيته، فإنه يخفض له جناحه، فكأنه قال للولد: اكفل والديك، بأن تضمهما إلى نفسك، كما فعلا ذلك حال صغرك.

٥ - أن تدعو الله أن يرحمهما برحمته الباقية كفاء رحمتهما لك فى صغرك وجميل شفقتهما عليك.

والخلاصة: إنه سبحانه بالغ فى التوصية بالوالدين مبالغة تقشعر منها جلود أهل العقوق، وتقف عندها شعورهم، من حيث افتتحها بالأمر بتوحيده وعبادته، ثم شفعهما بالإحسان إليهما، ثم ضيق الأمر فى مراعاتهما حتى لم يرخص فى أدنى كلمة تنفلت من المتضجر، مع موجبات الضجر، ومع أحوال لا يكاد الإنسان يصبر معها، وأن يذل ويخضع لهما، ثم ختمها بالدعاء لهما والترحم عليهما، وهذه الأمور الخمسة جعلها سبحانه من رحمته بهما، مقرونة بواحدانية وعدم الشرك به[(١)].

فيا أيها الإنسان إن والديك أحق الناس بحسن معاشرتك وجميل برك وإحسانك، لعظيم فضلهما عليك، وكثرة إحسانهما إليك، وشدة عنايتهما بك فى الصغر، وحرصهما دائمًا على راحتك وسعادتك فى جميع أطوار حياتك بسببهما خرجت من العدم إلى الوجود، وبفضل رعايتهما قوى عضدك، واشتد ساعدك، حتى صرت إنسانًا كاملاً، ورجلاً نافعًا، قويًا على الجهاد فى معترك الحياة.

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى؟ قال: أمك، قال ثم من: قال: أمك، قال ثم من؟ قال: أمك قال ثم من؟ قال: أبوك»[(٢)].

فمن أولى بالبر والطاعة والمعروف والإحسان من أمك الشفيقة البرة الرفيقة، هى التى ذاقت أنواع الآلام مدة حملك، وقاست من الشدائد ما قاست وقت معالجة وضعك، ثم أضعفت قوتها بإرضاعك حولين كاملين، وأضاعت راحتها بحملك تارة على الصدر، وأخرى على اليدين، كم لوثتها بالأوساخ والأقذار! وكم أزالتها عنك بلا ملل منها ولا ضجر، وإذا مرضت باتت ليلها ساهرة جائعة حزينة باكية متألمة لألمك خائفة عليك مما ألم

(١) تفسير المراغى للشيخ أحمد مصطفى المراغى جـ ١٥ ص ٣٣-٣٦ بتصرف ط - مصطفى الحلبى.
(٢) الترغيب والترهيب جـ٣ ص ٢٥٤ ط - وزارة الأوقاف

بك تسأل الله الكريم أن يمن عليها بشفائك ويكشف عنك ما نزل بك، ويسرها تمام صحتك ودوام عافيتك، ويمتعها طول عمرك فى هناء وصفاء. فكيف بعد هذا تؤثر غيرها عليها فى البر؟ وتقدم عليها سواها فى الخير والإحسان، وهى التى تعبت كثيرًا فى تربيتك وبإخلاص خدمتك زمنًا طويلا، ولم تطلب على الخدمة جزاء ولا أجرًا سوى أن تقر عينها بك، وينشرح صدرها لرؤيتك، هذا شأن الأم، وهذا حالها مع الولد.

ثم من أحق بالحنان والعطف والرحمة والإحسان من أبيك العطوف الرحيم الذى أحسن إليك فى ضعفك، ومن نفائس أمواله أنفق عليك ورباك وأرشدك إلى ما ينفعك فى دينك ودنياك[1].

إن الأبوين فى حال الكبر لا يحتاجان إلى كثير من الطعام أو الكساء، أو غيرهما من متع الحياة، وإنما الذى يحتاجان إليه فى تلك الحال هو الإحسان إليهما بالكلمة الطيبة، ولين الجانب، ولطف المعاشرة، ورقة الحديث.

١ - أقبل رجل إلى ﷺ فقال: «أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغى الأجر من الله، قال: فهل من والديك أحد حى؟ قال: نعم، بل كلاهما حى قال: فتبتغى الأجر من الله؟ قال: نعم قال: فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما»[2].

٢ - وعن طلحة بن معاوية السلمى رضى الله عنه قال: «أتيت النبى ﷺ فقلت: يارسول الله إنى أريد الجهاد فى سبيل الله قال: أمك حية؟ قلت نعم. قال النبى ﷺ: الزم رجلها فثم الجنة»[3].

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أى العمل أحب إلى الله ورسوله؟ قال: الصلاة على وقتها. قلت: ثم أى؟ قال: بر الوالدين. قلت: ثم أى؟ قال: الجهاد فى سبيل الله»[4].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجزى ولد والده إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه»[5].

---

(١) هداية المرشدين للأستاذ/ على محفوظ ص ٤٧٢ - ٤٧٣ ط - دار الكتاب العربى.
(٢) الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى جـ٣ ص ٢٤٨ ط - وزارة الأوقاف.
(٣) المرجع السابق ص ٢٤٩.
(٤) المرجع السابق للحافظ المنذرى جـ٣ ص ٢٤٨.
(٥) المرجع السابق ص ٢٤٨.

وعن أبى أسيد مالك بن ربيعة المساعدى رضى الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من بنى سلمة، فقال: يارسول الله هل بقى من بر أبوى بشىء أبرهما به بعد موتهما؟ قال: نعم الصلاة عليهما (أى الدعاء لهما، والاستغفار أى طلب المغفرة والتجاوز عنهما) وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما[1].

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يتفقد أحوال الرعية:

أخرج الخطيب عن أبى صالح الغفارى أن عمرًا بن الخطاب رضى الله عنه كان يتعاهد عجوزًا كبيرة عمياء فى حواشى المدينة من الليل فيستقى لها ويقوم بأمرها، وكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت، فجاءها غير مرة فلا يسبق إليها فرصد بابها حتى يعرف من ذا الذى يأتى لهذه العجوز فإذا هو بأبى بكر الصديق رضى الله عنه الذى يأتيها وهو خليفة فقال له عمر: أنت لعمرى لقد وقع فى نفسى أنك أنت لا غيرك الذى تأتى لهذه العجوز»[2].

ورعاية الإسلام لا تقتصر على المسلمين فقط، وإنما تشمل غير المسلمين من أهل الكتاب وهذا هوأمير المؤمنين عمر بن الخطاب لم يفرق فى كفالة الدولة لبنيها بين مسلم ويهودى، فقد حدث أن مر بباب قوم وعليه سائل يسأل: شيخ كبير ضرير البصر فسأله عمر من أى أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودى، فسأله ما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: «أسأل الجزية والحالة والسن» فأخذ عمر بيده إلى منزله وأعطاه، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال له: «انظر هذا وضرباءه فو الله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم»[3].

كذلك جاء فى كتاب خالد بن الوليد لأهل الحيرة: «جعلت لهم - أى أهل الذمة - أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيًا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت حريته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة[4].

ولعل أقوى الروابط بين الأحياء هى الرابطة العميقة الباقية بين الآباء والأبناء، ولذلك يجب أن نعنى بتوثيقها وإقامتها على أساس وطيد من الخير والبر وتبادل الحب

---

(١) الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى جـ٣ ص ٣٤٨ ط وزارة الأوقاف.
(٢) حياة الصحابة للأستاذ/ محمد يوسف الكاندهلوى جـ٢ ص ٧٥ - ٧٦. ط - دار التراث.
(٣) سماحة الإسلام وحقوق غير المسلمين ص ٢٤ ط - وزارة الأوقاف.
(٤) الأقباط والإسلام للدكتور/ محمد سليم العوا ص ٣٨ - ٣٩ بتصرف.

والإخلاص، وإذا كنا نطالب الآباء بأداء واجباتهم نحو فلذات أكبادهم وثمرات قلوبهم، فلابد لنا من مطالبة الأبناء بواجباتهم نحو هؤلاء الآباء.

ويعلم الله أنه مهما ترخصنا فى رفع الكلفة والتحفظ بين الآباء والأبناء، فلن نستطيع بحال من الأحوال أن نستسيغ تفريط الأبناء فى حقوق الآباء، ولن يطيق عاقل أو وفىّ أن تتنكر الذرية بهذه الصور المروعة لمن أتوا بها وسهروا عليها، وإذا كنا ندعو الوالد إلى أن يكون بولده رحيمًا ومعه كريمًا، وأن يلاعب الأب أبناءه ويداعبهم، ويستجيب لرغباتهم، ويتعرف اتجاهاتهم، ويحترم شخصياتهم، ولا يستبد بهم كاستبداد الملك الأرعن فى ملكه، فإننا مع هذا لا ننسى مطالبة الولد بأن يكون صاحب أدب ووفاء، ولو عرف الأبناء مبلغ الحسرات التى تأكل قلوب الآباء وهم يتخوفون على مصائر أولادهم، ويخشون فشلهم فى الحياة، ويحرصون على نجاحهم بين الناس، لما أضاف الأولاد إلى هذه الأحمال أحمالا أخرى من الجحود والنكران.

وسبحان من بيده الأمر كله.

واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

والله الموفق. والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثالثة عشر

خطبة عيد الأضحى المبارك

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

الله أكبر، كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة واصيلا، لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا أياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

الحمد لله رب العالمين، أسبغ علينا نعمه ظاهره وباطنة، وأشهد ألا إله إلا الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، تنزهت صفاته، وتقدست أسماؤه، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله نبى الرحمة، الداعى إلى الحق، وإلى صراط مستقيم صلى الله وسلم عليه وعلى أصحابه.

أما بعد...

فهذا يوم العيد، يوم الوحدة والتضامن أشرقت شمسه وهتاف المسلمين يتصاعد إلى عنان السماء يربط بين سكان الأرض وألسنتهم تهتف بهذا النشيد السماوى، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر ولله الحمد. وإذا كان هذا النشيد العلوى يتردد هنا فوق هذه الأرض الطيبة ومن الحجيج الذين اجتمعوا فى صباح هذا اليوم على أرض منى يرددونه وهم يذبحون هديهم ويرمون الجمرات بعد أن وقفوا على عرفات، حيث تجد الإنسانية أمنها وسلامتها فى جو ملىء بالأخاء والبر والتعاطف، وحيث لا تنابذ ولا تقاطع، ولا استغلال ولاتفاضل بحسب أو نسب، ولا تسلط بقوة أو جاه، بل الكل هناك خضوع وخشوع لله الواحد الديان، فى يومنا هذا يتَّجه المسلمون على اختلاف ألسنتهم وألوانهم إلى البيت الحرام يؤدون طواف حجهم، ويعلنون ولاءهم لصاحب الملك والنعمة، وهم يرددون من أعماق قلوبهم «اللهم زد بيتك هذا تشريفا وتكريما وتعظيمًا، اللهم أنت السلام ومنك السلام، حينا ربنا بالسلام» ما أروع هذه الكلمات وهى تصدر من قلوب المؤمنين الذين طافوا بالبيت العتيق، أول بيت وضع فى الأرض لعبادة الله، هذا البيت الذى يطوف المسلمون من حوله، يتذكرون الأيدى التى شيدته وأقامت دعائمه، ولم تتزعزع أو تتراجع

عن عقيدتها، عندما ابتليت فى صدق الاعتراف بالله والتجرد له والانقياد لأمره فكانت فى مرتبة من الصدق وسلامة العقيدة واخلاص النية، أهلتها لكى تنال هذا الشرف الخالد وأن يوكل إليها أكمل عمل قدسه الإنسان وتقبله الرحمن.

إنه نبى الله إبراهيم، خليل الرحمن، الذى ألقىَ فى النار وهو يحارب الشرك ويحطم الأصنام فكان ثابت اليقين، مطمئنًا إلى عدالة السماء ورعاية الله التى كانت أسرع إليه من عدوان الآثمين البغاة، قال سبحانه: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الأنبياء: ٦٩]

هذا النبى الكريم الذى أمر أن يذبح ابنه إسماعيل فاستجاب راضيا لأمر ربه واستجاب معه ابنه إسماعيل وقص القرآن علينا نبأهما بقوله: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ [الصافات: ١٠٢]. فيرد إسماعيل فى ثبات وصدق عزيمة ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٢]. تأمل! هل هناك بلاء أصعب على النفس من هذا البلاء؟ والد تقدمت به السنّ وهو يتطلع إلى ولده وقرة عينه، وابن تتفتح عيناه على نسمات الحياة، ومع ذلك يكون الانقياد والاستسلام. ومن هنا يصف القرآن ذلك الامتحان فيقول: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ ﴾ [الصافات: ١٠٦]. ولكن العظائم كفؤها العظائم هذا النبى الذى أمره الله أن يؤذن فى الناس بالحج فصدع بالأمر وأجابته الأرواح ملبية لنداء ربها الذى نادى به إبراهيم، لبيك اللهم لبيك، والإسلام عندما فرض الحج، أرسى للإنسانية دعامتين:

أولاهما: الاعتراف الكامل بالآثار الطيبة للنبوات السابقة؛ لأن الإسلام العظيم هو الذى أحيا الاعتراف بهم جميعًا، وأمر أتباعه أن يردوا فى صدق ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. إن إبراهيم هو الذى سمانا المسلمين؛ لأن الإسلام هو دين الإنسانية كلها، والأنبياء جميعا دعاته.

الثانية: أن الحج ليس مجرد فريضة تهذب النفس وتعصم السلوك فقط، بل هو عنوان للأخوة الإنسانية العامة على مر الدهور، ولذا كان الوقوف على عرفات أعظم مؤتمر شامل يخدم قضية السلام ويفتح باب التفاهم بين الناس جميعا، يقام باسم الله فى جو تسوده الأخوة والمحبة على تقوى الله رب العالمين.

إن هذا المؤتمر الذى دعا إليه الإسلام العظيم، وجعل من فرائضه إقامته على أرض صلبة، وكانت الوسائل والغايات التى التقى عليها المسلمون نظيفة وكلها قربى إلى الله رب العالمين، كما كانت المنطقة التى يتم فيها التجمع يحرم فيها الفسوق والعصيان، قد أظل الجميع روح الأخوة والمساواة، وتحرر فيها من كل زخرف الدنيا وزينة الحياة، ضارعين متجهين لله، ذاكرين قول الرسول ﷺ فى خطبة الوداع: «أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا أيها الناس: إنما المؤمنون أخوة، ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفسه، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد».

أيها المؤمنون، فإذا ما اجتمع المسلمون فى هذا اليوم يتذكرون كل هذا، ويتذكرون معه موقف إبراهيم واسماعيل وثباتهما العظيم، وأن الواجب على المسلم أن يضحى بنفسه وماله فى سبيل نصرة عقيدته، وتحرير وطنه، وأن يجود بكل مرتخص وغال فى سبيل تخليص الأرض المقدسة من أيدى الصهاينة اللئام ليكون له بأبى الأنبياء إبراهيم نسب وبالإسلام اتصال وثيق ويكون من المحسنين، وصدق الله العظيم: ﴿ **وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ (١٠٨) سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [الصافات: ١٠٤ - ١١٠]. وهكذا صارت الأضحية سعة فى الإسلام فاتقوا الله عباد الله والله اكبر ولا إله إلا الله والله أكبر.

عن زيد بن الأرقم قال: قال أصحاب رسول الله ﷺ: قال يا رسول الله، ما هذه الأضاحى؟ قال: سنة أبيكم إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه، قالوا: ا لنا يارسول الله؟ قال: بكل شعرة من الصوف حسنة. أو كما قال ادعوا الله.

الخطبة الثانية

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

أيها المسلمون: إن الأضحية سنة على القادر المستطيع ونحرها بعد صلاة العيد، والأضحية يأكل الإنسان منها ويهدى إلى أصدقائه ولإخوانه الفقراء ﴿**فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ** ﴾ [الحج: ٢٨]. وهكذا يظهر معنى التضامن والتكافل يوم العيد الذى هو يوم السرور والبهجة والسعادة، واعلموا أيها الأخوة أن الله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه، وأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه فاجعلوا من يوكم هذا أخوة وتضامنا ومحبة وتعاونا. وإنا لنذكر بكل فخر واعزاز أن الدين الإسلامى دين يسر وسماحة، ومن يسره على المسلمين أن جعل لهم الأعياد مناسبات طيبة يجددون فيها مودتهم ويتزاورون ويظهرون من الفرح والسرور خاصة عند اجتماعهم لصلاة العيد، ويتبادلون التحية والتهنئة، سائلين الله العى القدير أن يوفقهم ويسدد خطاهم، واعلموا أن أفضل أعمالكم فى هذا اليوم أيضًا هو العطف على اليتامى وادخال السرور عليهم مع اشراكهم فى البهجة مع أولادكم، فاتقوا الله عباد الله واكثروا من ذكر الله ولا تغرنكم الحياة الدنيا، ولا تلهكم عن طاعة الله واكثروا من التهليل والتكبير أيام التشريق ونسأل الله أن يعيد علينا وعليكم وعلى المسلمين أمثال هذا اليوم ونحن جميعًا على أرض منى أن يمتعنا جميعًا بصحة الأبدان وسلامة النفس، وقوة العقيدة ﴿**رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ** ﴾[آل عمران: ٨]. ربنا اشرح لنا أمورنا وأعد علينا أمثال هذا اليوم باليمن والبركات.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا واستر علينا عيوبنا، وأصلح لنا فى ذرياتنا، وبارك لنا فيما أعطيتنا وكن معنا بفضلك وعونك واجمعنا جميعًا على كلمة الهدى، أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

نقدمه إلى رواد الخير، وقائدى الصحوة الإسلامية وإلى المهتمين بشئون الإسلام فى كل مكان، لنقول لهم: إن كل مسلم مكلف بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة فى حدود ما علم. لأن العلم شرط أساسى يجب أن يتوفر فيمن يدعو غيره ولما كان العلماء ورثة الأنبياء، فعلينا أن نحترم مكانتهم، وأن نجل قدرهم ومن لا يعلم يقدم من يعلم. لأنه من الأدب الذى تعلمناه: «من قال لا أدرى فقد أفتى». ولا يليق بالإنسان أن يزج بنفسه فيما لا يعنيه. ولا يتكلم بما لا يعرف وعلينا أن نهتم بالمساجد، وأن نولى وجوهنا شطرها وأن نُعَوِّدَ على التردد عليها أولادنا، والمسلم لا يعرف التعصب، والشديد ليس بالصرعة، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب.

وإن ما قدمناه إليك هو باكورة عمل سنتبعها بالمزيد إن شاء الله ليكون اللقاء دائمًا على مائدة الطهر والنقاء. وأن يتجدد لقاؤنا لله وفى الله، وعلى مائدة الله، ونردد مع الصالحين: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[يوسف: ١٠٨]. ونردد: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ [النمل: ٥٩]. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

منصور الرفاعى عبيد



فهرس الكتاب

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى — ١١٢٣١